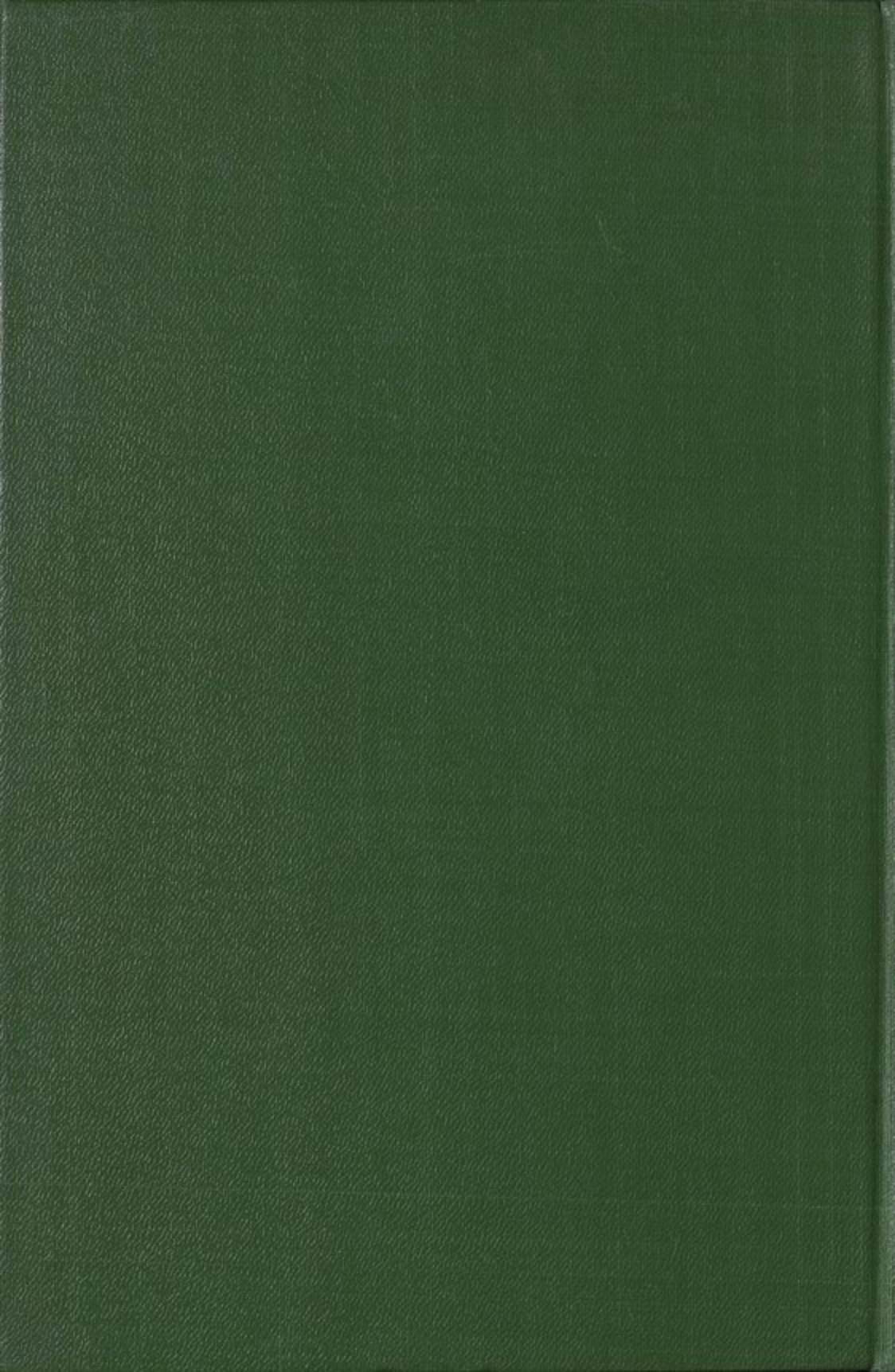
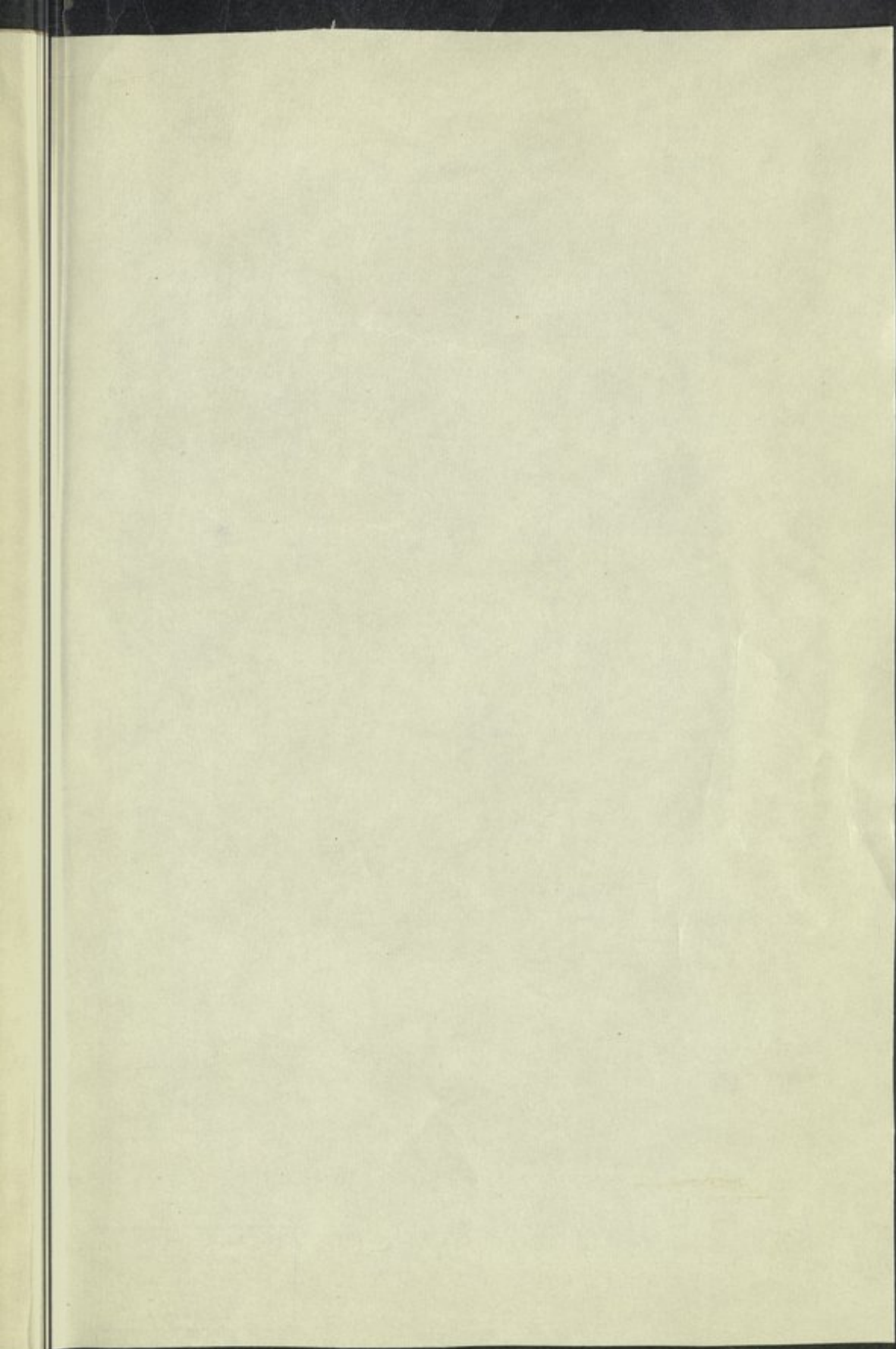




AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY
22 JUL 1972
Tel. 260458



مكتبة

مكتبة

مكتبة

غلام الغفران

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

364.34

B622m A

V.1

C.1

سَعْدِي بَسَيْسُو

دكتور في الحقوق (بدرجة شرف) من جامعة باريس
استاذ علم النفس الجنائي المنتدب في كلية الحقوق العراقية

مَبَاذِي

عِلْمُ النَّفْسِ الْجَنَائِي

دراسة علمية نفسية - بيولوجية - اجتماعية
لمشكلة الجريمة والمجرمين والجانحين والمشردين

الجزء الاول

حقوق الطبع محفوظة

١٩٤٩

مطبعة النفيس - بغداد

الالهراء

الى الأم الفاضلة الواعية
التي تحسن صياغة « نفوس » أطفالها
وتهذيب « أخلاقهم »
وصقل « عقولهم »
وصيانة « أبدانهم »
فتخلق منهم أبناء سعداء أسوياء
ورجالا أشداء أقوياء
يحملون رسالة أمة عريقة كريمة
ترنو الى العلا وذروة المجد.

مقدمة

هذه هي مجموعة المحاضرات التي القيتها على طلاب الصف المنتهي في كلية الحقوق العراقية هذا العام . وهي لا تعدو أن تكون مباديء أولية في علم النفس الجنائي ، لا تزال في حاجة بعد الى كثير من الشرح والتفصيل .

وجدير بالذكر أن أبحاث هذا العلم الفتي هي ، في الواقع ، في مطلع حياتها ، ومحل أخذ ورد بين صفوف العلماء والباحثين . وقد يكون مرجع ذلك ومرده الى أن النفس البشرية ، وهي جوهر غير ملموس ولا منظور ، ليست مما يسهل خصه وسبر غوره وفهم كنهه وتحليله . كما وان البحث فيها تعترضه صعوبات جمة ناجم معظمها عن فقدان الوسائل العلمية الدقيقة التي يمكن الثقة بها والاعتماد عليها .

غير ان هذه الصعوبات مهما عظمت فانها لن تكون ، ويجب أن لا تكون ، حائلا دون مضي هؤلاء العلماء في دراستهم واختباراتهم وتجاربهم . فان ما يعجزون عن ادراكه وتحقيقه اليوم لا بد وأن يبلغوه بالصبر والثبات والمثابرة غدا لا محالة . شأنهم في ذلك شأن رجال العلوم الاخرى ، كالطبيعيين والرياضيات والطب ، الذين لم يحققوا ما وصلوا اليه من رقي وتقدم الا بعد عناء طويل دام مئات السنين .

ومما يسر المرء حقاً ، في هذا الصدد ، أن الاهتمام بهذا الموضوع

الخطير الشأن ، الجليل النفع ، أخذ يقوى ويشتد في الوطن العربي ، لا سيما بعض الجامعات والكليات . ولـكننا لا نزال في أشد الحاجة إلى مزيد من العناية به ، والقيام بدراسات علمية عميقة ناضجة في مشكلة الجريمة في الاقطار العربية المختلفة ، واظهار عللها وعواملها ، وأفضل الطرق في معالجتها واصلاحها . فهذه المشكلة خطيرة هامة كما سنرى ، وقد سرنا حتى اليوم في فهمها ومعالجتها على ما اندثر من أفكار ومبادئ وأساليب ، مما يزيدنا تعقيداً وتأزماً يوماً بعد يوم .

والحقيقة التي لامراء فيها هي انه لا يمكننا استكمال نهضتنا السياسية والاجتماعية والعلمية التي نتطلع اليها اذا نحن لم نعمل ، في جملة ما نعمله ، على استئصال شأفة الجريمة من نفوس الكثيرين الذين ابتلوا بها ، وحماية أولئك الذين أوشكت أقدامهم أن تزل فيها . واذا نحن لم نسع جاهدين لتطهير المجتمع من أدرانها وعللها ، وازالة عواملها وأسبابها المتفشية في جوانبه ونواحيه .

ولعله لا يكون اسرافاً في التفاؤل أن نتجه بانظارنا في بلوغ هذه الغاية نحو علم النفس الجنائي ، عساه ينير لنا هذا الطريق المظلم الوعر ، ويحقق لنا ، في النهاية ، بعض ما نشده من ارشاد وتوجيه .

والله من وراء القصد .

بغداد

سمرى بسيمو

١٨ كانون الثاني ١٩٤٩

مدخل البحث

يعنى علم النفس بدراسة سلوك الانسان في حياته الاجتماعية ،
وطبيعته البشرية ، واجراءات عقله الشعورية والاشعورية ^(١) . وعلم
النفس الجنائي هو أحد فروع هذا العلم ويختص يبحث السلوك الجنائي
وتفسيره ، وفهم علله ، وطرق معالجته .

غير أنه يحسن بنا قبل الدخول في صميم موضوعنا هذا أن نهد
له بكلمة موجزة عامة تتناول ناحيتين : اولاهما تعريف علم النفس ،
وبيان مدارسه المختلفة ، وذكر أقسامه المتعددة . وثانيتهما عرض مشكلة
الجريمة ، وايضاح مبلغ أهميتها وخطورتها .

(١) راجع بعده بحث « العقد النفسية » .

١- علم النفس

(مدارسه وفروعه)

علم النفس

لا تزال « النفس » كالطاقة الذرية والكهربائية والجاذبية والمغناطيسية من الاسرار الغامضة ، والرموز المحيرة ، لم يقو العلماء على ادراك كنهها ، وكشف حقيقتها وماهيتها رغم كل ما بذلوا في سبيل ذلك من جهود ومحاولات شتى منذ اقدم العصور . وكل ما وفقوا اليه حتى اليوم لا يعدو الوقوف على ظواهرها واجراءاتها واختبار أعراضها ومظاهرها .

وعلى ضوء المعارف التي توصلوا اليها ، والبحوث التي قاموا بها تبين أن « النفس » قوة حية دائبة الحركة ، دائمة النشاط ، لا يفتر عملها لحظة واحدة منذ ساعة الميلاد حتى يوم الوفاة ، وهي تظل في تفاعل مستمر بالجسم الذي يشتملها ، والبيئة التي تستنفها .
وانها مصدر كل معرفة وادراك وتميز وتفكير وتذكر وتخيل واتباه وتقدير وإبتكار ، ومنبع كل انفعال وتأثر واحساس وشعور ، ومستودع كل ميل ونزعة ورغبة وشهوة ، والدافع لكل ارادة وعمل وحركة . وبالاجمال فهي قوة كامنة اودعها الله فينا تمحركنا وتسيرنا ، وتوجهنا وتقودنا ، وهي مركز خواطرنا وأفكارنا ومشاعرنا وأعمالنا كافة وسائر أنواع سلوكنا وتصرفاتنا^(١) .

(١) في بحث « العقد النفسية » تعريف فرويد للجهاز النفسي وأقسامه
(الإننا والهيو والآننا الاعلى) .

وعلم النفس ، بعد أن عجز عن معرفة سرها وحل رموزها ، قد قنع أخيراً - كما ذكرنا - بدراسة هذه المظاهر كلها ، وتعليلها وتفسيرها .
ولقد كان هذا العلم قديماً داخلاً في نطاق الأبحاث الفلسفية التي تعمل على تفسير نظام الـكون بأسره ، وظواهر المعرفة والحالات الشعورية ، والعمل الأولى لجميع الموجودات بما فيها الإنسان . واقتصرت طريقة القدماء في أبحاثهم على التأمل الباطني أو الاستبطان Introspection أي على النظر في دخائل نفوسهم ومكنونات قلوبهم ، يصفونها ويدونون ما يجدونه فيها . أما دراسة الدوافع النفسية وانفعالاتها فلم يكثر العلماء بها إلا منذ عهد قريب .

وفي منتصف القرن الثامن عشر انفصل علم النفس عن الفلسفة واستقل بموضوعه ، لكنه ظل حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر يعتمد في دراسته على التأمل الباطني والملاحظة الطارئة دون الاستعانة بآلات ضابطة أو مقاييس خاصة أو تجارب علمية .

وتغيرت هذه الحال بعد أن أنشأ البروفسور فوننت Wundt الألماني أول معمل للتجارب السيكولوجية في سنة ١٨٧٩ لدراسة سلوك الإنسان في حالاته المختلفة .

وبعد ذلك انتشرت المعامل التجريبية في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا ، ولا سيما أميركا .

ومن النتائج الهامة لانتشار هذه المعامل وتعددتها ونشاطها وكثرة

الدراسات فيها أن تكونت مدارس مختلفة ، و تفرعت علوم نفسية عديدة .

المدارس النفسية

فمن أهم هذه المدارس ^(١) .

- ١ - مدرسة علم النفس العنصري (فوندت ، تشنر) .
- ٢ - مدرسة علم النفس الوظيفي (ديوي ، انجل ، كلاباريد) .
- ٣ - مدرسة علم النفس النزوعي - الهوري - (مكدوجال) .
- ٤ - مدرسة علم التحليل النفسي (فرويد) .
- ٥ - مدرسة علم النفس الفردي (أدلر) .
- ٦ - مدرسة علم النفس التحليلي (يونج) .
- ٧ - المدرسة السلوكية الميكانيكية (وطسن ، بالوف) .
- ٨ - مدرسة تحليل العوامل (اسبيرمان) .
- ٩ - المدرسة الجشطتية (فرتهمر ، كوهلر ، كوفكا) .

فروع علم النفس

ومن أهم العلوم النفسية الفرعية :

- ١ - علم النفس التربوي .
- ٢ - علم النفس الاجتماعي .
- ٣ - علم النفس الصناعي .
- ٤ - علم النفس المرضي .

(١) يوسف مراد ، مبادئ علم النفس العام ، ص ٨ . زيادة في التفصيل راجع كتاب المدارس النفسية المعاصرة ، بالانكليزية ، (تأليف ودورث) .

- ٥ - علم النفس الطفلي .
- ٦ - علم النفس التجريبي .
- ٧ - علم النفس القضائي .
- ٨ - علم النفس الجنائي .

ولا يعني لنا نحن ، بين هذه العلوم جميعا ، سوى الاخير منها ، فهو موضوع بحثنا ودراستنا في هذا العام .

٢- علم النفس الجنائي

موضوعه وغرضه

يبحث علم النفس الجنائي سلوك المجرمين ، من حيث هو سلوك شاذ غير سوي ، ويقوم بتحليله وتفسيره وبيان أصله ، كما يبحث شخصية المجرم وطبيعته البشرية والعوامل المختلفة التي أدت الى وقوعه في الجريمة ، وأنجم الوسائل الواجب اتباعها في معالجته واصلاحه ، وأفضل الطرق الواقية من الزيغ والشطط والاجرام .

وغرضه هو المساهمة مع العلوم الاخرى ، لا سيما الحقوق والحياة biology والتربية والاجتماع ، في مكافحة مشكلة الجريمة ، والتغلب عليها ، والوقاية منها .

نشأته

علم النفس الجنائي حديث النشأة ، لا يزال في المهد رضيعا ، لم يتجاوز عمره بضع عشرات من السنين . ولقد بدت اهميته وضرورته واشتدت الحاجة اليه حين ازداد خطر الجريمة في العالم المتمدن ،

واتسع انتشارها وعظمت تكاليفها ، وأصبحت مصدر قلق لكثير من الشعوب ، مما جعل الانظار تتجه اليه لدراسة عللها وعواملها وطرق اصلاحها .

ومما ساعد على ظهور هذا العلم وتقدمه النزعة الانسانية الحديثة ، والمذاهب الجنائية المتأخرة ، التي أخذت تنادي بلزوم الاهتمام بشخص المجرم لا بالجرم ، ووجوب طرح أنظمة العقاب القديمة المبنية على الانتقام والتعذيب ، وضرورة جعل التهذيب والاصلاح والتأديب الهدف الاول لكل عقوبة .

غير أن ما يجب ذكره هو أن علم النفس الجنائي رغم حداثة ، قد قطع في أبحاثه شوطا طويلا ، وتحققت معظم الدول المتقدمة فوائده ، وكرس كثير من العلماء والهيئات وأرباب الاختصاص أوقاتهم وجهودهم ونشاطهم لاستكمال أبحاثه وتجاربه . وما محاكم الاحداث ، والاصلاحيات ، والمؤسسات الجزائية الحديثة ، واصلاح السجون ومحال التوقيف ، والعيادات السيكولوجية ، وانظمة مراقبة السلوك ، والمعاهد العلمية لمعالجة المجرمين والجانحين^(١) ، وكثير من التشريعات الجزائية التقدمية وغيرها سوى بعض ثماره ومنتجاته . عدا ما قدمه من خدمات جلى في مضمار التربية ، لا سيما ما يختص بالاحداث والمراهقين .

فائدته

ولا تقتصر فائدة علم النفس الجنائي على المشتغلين بأمر الجريمة

(١) الجانحون هم المجرمون الصغار والاحداث .

وخدم بل انها تبدو واضحة لكل من يعنيه أمر السلوك اللا اجتماعي بوجه عام . فكما أنه لا غنى عنه للقاضي الذي عهد اليه محاكمة المجرم وتحديد مسؤوليته وتقرير مصيره ، والمحامي الذي يتولى الدفاع عنه ، ووكيل النيابة الذي يهتمه ، والشرطي الذي يتعقبه ، فكذلك لا غنى عنه للنائب الذي يسن قوانين العقوبات ويضع أنظمة السجون والاصلاحيات ويقرر الاموال المخصصة للجريمة في الميزانية ، والوزير الذي يهتمه استقرار الامن والنظام وانتظام الادارة العامة في الدولة . كما يستفيد منه المرشد الاجتماعي في مكافحته للجريمة ، والطبيب الذي يعالج فاعلها ، والمكلف الذي يفرم نفقاتها ، والمربي الذي يحاول تخليص أبنائه منها ، والشاب الذي تهدده اشباحها ، والام المتفانية في تهذيب أطفالها وتنشئتهم نشأة صالحة سليمة .

ولا يتسع لنا المقام لايضاح هذه الفوائد وتفصيلها . وبجمل القول أن علم النفس الجنائي ، وهو علم السلوك اللا اجتماعي، يرشدنا في الوقت نفسه ، بما يكشفه لنا من عوامل الشذوذ والنشوز ، وطرق الاصلاح والوقاية ، الى قواعد السلوك الرضي السوي . وبهذا فهو يساعد كل فرد على اصلاح نفسه ، وتعديل اخطائه ، وتحقيق التوافق الاجتماعي ، وبالتالي بلوغ الهناء والسعادة والنجاح في الحياة .

٣- مشكلة الجريمة

تعريف الجريمة

ليس للجريمة تعريف واحد متفق عليه ، بل ان ذلك يختلف

باختلاف البحث الذي يعنى بها ، والعلم الذي يتصدى لدراستها^(١) . فهي في نظر الدين مثلاً ارتكاب المعصية ومخالفة التعاليم الإلهية ، تستوجب الحد والقصاص^(٢) . وهي في مذهب علم الاخلاق عمل خاطيء فيه خروج على قواعد الخير والفضيلة والآداب والواجبات يستلزم اللوم وتأنيب الضمير . وهي عند علم الاجتماع فعل ضار بالمصالح الاجتماعية فيه انتهاك لحرمة التقاليد والعرف والعادات يقتضي الحساب والمسئولية . وهي في علم الحقوق مخالفة القوانين الموضوعية تتطلب المحاسبة والمجازاة . وفي نظر الطب العقلي تعتبر مظهر مرض أو اختلال يستحق العناية والعلاج . وفي علم النفس تبدو عرضاً ظاهرياً لعملية نفسية غير سوية لها عواملها ودوافعها وغاياتها تستدعي الفهم والتحليل والمعالجة والاصلاح . فالقتل مثلاً ، وهو جريمة ، شأنه في ذلك شأن السرقة والذم والاعتداء وارتكاب الافعال المنافية للحياء والشرف وغيرها ، يعتبر في نظر هذه العلوم جميعاً عملاً غير ديني ، وغير خلقي ، وغير اجتماعي ، وغير قانوني ، ومرضى (احياناً) ، وغير سوي .

وبهذا فانه يبدو لنا أن الجريمة نوع من السلوك فيها أذى ومضرة تخالف احكام الدين ، وقواعد الخلق ، وسنن الجماعة ، وحرمة القانون ، ولا تتفق وصحة العقل وسلامة النفس . ومن أجل ذلك كله فقد أجمعت الشرائع والنظم والقوانين في كل امة على استنكار أمر الجريمة ومحاربتها .

(١) كما ان اعتبار فعل ما جريمة أو غير جريمة يختلف عادة باختلاف الزمان والمكان مثلاً شرب الخمر في اميركا قبل سنة ٩٢٠ وبعدما . والبغاء في اميركا وفرنسا .
(٢) كما في الشريعة الاسلامية .

وانذار فاعليها باللوم والحساب ، والسخط والعقاب^(١) .

والجريمة ، بعد هذا ، ليست ظاهرة قد استجدت حديثا في هذا العالم ، بل انها لا بد قد نشأت مع الحياة الاجتماعية نفسها منذ بدايتها^(٢) ، ولازمتها خلال العصور والقرون التي مرت بها ، ورافقتها في أدوارها كافة ، وصحبتهما في جميع أطوار مدينتها وتقدمها وارتقاها . وانها - في الواقع - ظاهرة قديمة مزمنة قد استعصى حلها ، وأصبح التغلب عليها كليا أمرا مستحيلا .

ومع ذلك ، ورغم اننا نسلم بمعجزنا عن القضاء على جرثومة الجريمة قضاء تاما ، نظرا لما في الفرد والجماعة من نقائص وعيوب وبمد عن الكمال ، فاننا نمتقد أن في مقدورنا ووسعنا العمل على تقليلها وتخفيف حدتها ووطأتها ، والنجاح في وقاية الكثيرين منها ، اذا نحن توسلنا بالعلم والفهم والعمل الجدي المتواصل في مكافحتها ومعالجتها .

(١) ليس حتما أن يكون كل فعل جرمي عملا غير خلقي أو غير اجتماعي أو غير ديني . فالقتل دفاعا عن العرض ليس ، في نظر الكثيرين ، عملا غير خلقي . والصيد في غير موسم الصيد لا يعتبر عملا غير ديني . كذلك فانه ليس شرطا دائما أن يكون كل عمل غير خلقي أو غير اجتماعي أو غير ديني جرما قانونيا فالكذب ، وهو عمل غير خلقي لا يعتبر جرما الا في أحوال خاصة كاليمين الكاذبة أو شهادة الزور . والصيد في أيام الاتحاد عند بعض الديانات عمل غير ديني وهو ليس جرما .

« وزيادة في الايضاح راجع أحمد عزت راجح ، علم الاجرام ، بغداد ١٩٤٢ ، ص ٢٧ - ٤٣ » .

(٢) ونقصد بذلك الافعال التي تستهدف الحاق الاذى والضرر بالآخرين : غير أن فكرة الجريمة ، بمعناها الضيق ، قد نشأت متأخرة عن ذلك العهد الاول حين ظهرت في الجماعة بعض القيود والنظم والمحرمات مما يعتبر الخروج عليها مخالفة غير مشروعة .

فالجريمة والحال هذه ، انما تنشد تعاونا وثيقاً بين مختلف العلماء والباحثين ، ورجال التشريع والادارة والقضاء ، وجهوداً مشتركة منسقة ، وصحلاً موحداً على نطاق عام شامل يقوم على الدرس والبحث والاختبار في سبيل التغلب عليها ، وإزالة عللها واسبابها ، وحل مشكلاتها حلاً موفقاً ناجحاً .

خطورة مشكلة الجريمة

الجريمة حرب مقنعة أو معلنة ضد الفرد والمجتمع على السواء ، وليس بين سائر المشاكل الاجتماعية في الامة ما يضاهي مشكلاتها أهمية وخطورة . وتتجلى لنا هذه الحقيقة واضحة من معرفة مبلغ عدد المجرمين وأصنافهم وأنواع جرائمهم ، ومقدار الخسائر التي يلحقونها بضحاياهم في الحياة والأنفس والاموال ومدى ما يسببونه لأنفسهم ، هم أيضاً ، في النهاية من ألم وتعذيب وحرمان .

(١) كثرة عدد الجرائم والمجرمين

الجريمة وباء خطير فتاك قل أن تجد حياً أو قرية أو مدينة أو اقليماً خالياً من الاصابة به اصابة تكاد تكون مزمنة دائمة ، وندر أن تجد في البلاد بقعة أو منطقة لم يخرج منها عدد قليل أو كثير من المجرمين .

ولقد قدر أحد الخبراء أن عدد المجرمين قد بلغ في اميركا في احد السنين نحو خمسة ملايين ، وأن عدد من حكم عليه منهم قد زاد على المليون مجرم^(١) ، ومن اودع السجون أو وضع في المؤسسات الإصلاحية يربو على ٥٠٠.٠٠٠ شخص^(٢) .

F. E. Haynes, Criminology, N. Y., 1935, p. 9. (١)

J. O. Stutsman, Curing the Criminal, p. 5. (٢)

أما في العراق فقد دلت الاحصاءات على وقوع ما لا يقل عن ١٢٥ ألف جريمة في كل سنة كما يظهر من الجدول الآتي :

جدول رقم « ١ »

بيان عدد الجرائم السنوية في العراق

للسنوات الواقعة بين ١٩٣٧ - ١٩٤٦ (١)

السنة	دعاوى جزائية امام المحاكم	دعاوى جزائية امام الادارة
١٩٣٧	٨٩٤٨٣	
١٩٣٨	٨٠٥٤٩	
١٩٣٩	٨٨١٩٨	
١٩٤٠	١١٤٦٣٥	
١٩٤١	١٠٦٧٠٠	بمعدل ٢٥ ألف دعوى سنويا
١٩٤٢	١٠٤٦٩٤	
١٩٤٣	١٠٢٣٨٥	
١٩٤٤	٩٩٩١١	
١٩٤٥	١٠٤٣٣٣	
١٩٤٦	١١٧٨٢١	

ولا يشمل هذا العدد الكبير اولئك الذين لم يصل نبأ أفعالهم الجرمية للسلطات الرسمية ولا الذين نجحوا في الهروب والافلات من يد العدالة .
والواقع أن كل مجرم قبل أن يكتشف أمره للمرة الأولى لا بد

(١) المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٢٩ - ١٩٣٨ ص ٦٠ ، و ١٩٤٠ ص ٩٨

و ١٩٤٦ ص ٦٩

أن يكون في الغالب قد سبق له النجاح في ارتكاب عدة جرائم دون أن يبلغ عنه من أجلها، أو يقبض عليه بسببها، أو تجري محاكمته عليها. وأما لنستطيع أن نقدر، دون مبالغة، على ضوء معارفنا الخاصة أن معدل ما يبلغ عنه من الأعمال الجرمية ويكتشف رسمياً لا يزيد على ٣٠٪ من مجموع الجرائم الواقعة فعلاً. وإذا كان تقديرنا هذا صحيحاً فمعناه أن عدد الجرائم في المملكة العراقية لا يقل عن ٤٠٠ ألف جريمة في السنة الواحدة.

وتدل الإحصاءات من ناحية أخرى على أن عدد من يودع السجن في العراق من المجرمين كبير يبلغ سنوياً نحو ٣٠.٠٠٠ شخص كما يدل عليه الجدول الآتي :

جدول رقم « ٢ »

بيان عدد المجرمين المودعين في السجون

بين سنة ١٩٣٦ - ١٩٤٦^(١)

السنة	ذكور	إناث
١٩٣٦	٢٠.٦٩٠	٧٢٢
١٩٣٧	١٩.٠١٢	٦٧١
١٩٣٨	٢١.٠٨٩	٦٨٤
١٩٣٩	٢١.٢١٩	٦٥٧
١٩٤٠	٢٤.٧٨٩	٦٨٣

(١) المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٢٩-١٩٣٨ ص ٧٣، و ١٩٤٠ ص ٦٩،

و ١٩٤٦ ص ٧٨

السنة	ذكور	اناث
١٩٤١	٢٤١٠٦	٥٨٠
١٩٤٢	٢٦٨٣١	٩٦١
١٩٤٣	٢٣٨٥١	٩٧٢
١٩٤٤	٢٢٥٢١	٦٦٩
١٩٤٥	٢٩٩١٧	٩٩٢
١٩٤٦	٢٨١٥٣	٩٦٠

وبلغ عدد النساء المحكومات ، في العراق ، بين سني ١٩٢٩-١٩٣٥ نحو ٤٤٢٤ امرأة كما يدل عليه الجدول الآتي :

جدول رقم « ٣ »

بيان عدد النساء المحكومات في العراق بين ١٩٢٩ - ١٩٣٥ (١)

السنة	النساء المحكومات
١٩٢٩	٦٧٢
١٩٣٠	٨٩٤
١٩٣١	٥٢٣
١٩٣٢	٥٩٤
١٩٣٣	٥١٩
١٩٣٤	٤٩٥
١٩٣٥	٧٢٧
المجموع	٤٤٢٤

(١) تقارير مديرية الشرطة العامة ٩٣٤ ص ٤٩ ٩٣٥ ص ٥١ .

غير أن هذه الأرقام لا تدل دلالة صحيحة على عدد الجرائم النسائية الفعلية إذ أن معظم هذه الجرائم ، عدا الخطيرة منها ، قل أن يبلغ عنها للدوائر المدلية ، وإنما يجري كتمانها أو تسوية أمرها بصورة سرية أو غير رسمية . (٢)

(٢) تنوع أصناف المجرمين

يخطيء من يظن أن ارتكاب الجريمة مقتصر على فئة خاصة من الناس دون غيرها ، أو أنه منحصر بفريق معين منهم دون فريق . فلقد دلت الحوادث والاختبارات أن هذه الظاهرة السيئة تشمل أصنافاً كثيرة من الأفراد ، وإنها متفشية بين كثير من الجماعات والفئات والطبقات . فهي تشاهد بين الأحداث والمراهقين والبالغين والكبار ، كما تشاهد بين النساء والرجال ، والفقراء والأغنياء ، والمرضى والأصحاء ، والجهلة والعلماء ، والمجانين والعقلاء . وهي تلاحظ بين أرباب الحرف والضيعة وأصحاب المراكز العالية وذوي النفوذ ، وبين العمال والفلاحين وأبناء الذوات .

وبين لنا الجدول الآتي - جدول رقم ٤ - نسبة وقوع الاجرام ، حسب العمر ، وفقاً للتحقيق الذي قام به الاستاذ سيرل بيرت على ٢٠٠ شخص من الاحداث المجرمين في انكلترا^(١) .

(١) وقد نشر نتائج ذلك في كتابه « الجانح الصغير » .

جدول رقم « ٤ »

بيان وقوع الاجرام حسب العمر (١)

العمر	النسبة المئوية للمجرم المبتدئ	النسبة المئوية للمجرم المكرر [العائد]
٥	٠	٠.٨
١٠	٠	١٣.٥
١٥	٤.٧	٣٩.٠
٢٠	٢١.٠	١٩.٨
٢٥	١٤.١	١٠.٨
٣٠	١٢.٠	٧.٠
٣٥	١٢.٥	٣.٤٢
٤٠	١٢.٩	٢.٦
٤٥	٦.٩	١.٥
٥٠	٥.١	٠.٩
٥٥	٣.٧	٠.٥
٦٠	٤.٨	٠.٣
٦٥	١.٦	٠.١
٧٠	٠.٧	
١٠٠.٠	١٠٠.٠	١٠٠.٠

(١) بورت The Young Delinquent, London, 1931, P. 218
Burt , ملاحظة :- لم يتيسر لنا جمع احصاءات تتعلق بالأحوال الأخرى .

وتدل هذه الاحصاءات على أن معظم الجرائم يقع ، سواء للمرة الاولى أو بطريق العود بين سن الخامسة عشرة والأربعين ، ثم يأخذ عددها في النقصان حتى يكاد يتلاشى في سن السبعين . غير أن ما يزيد على نصف الجرائم يقع عادة بين سني السادسة عشرة والرابعة والعشرين .

(٣) تعدد أشكال الجريمة

الجريمة عدو المجتمع وهي تشمل أنواعاً كثيرة من الأفعال والأعمال التي تستهدف إلحاق الأذى بالحياة أو المال أو العرض أو الشرف أو النظام الاجتماعي . أو ترمي للاخلال بقواعد الخلق والآداب العامة والأمن العام ، أو انتهاك حرمة الأديان والمعتقدات . فهناك جرائم الخيانة العظمى ، والقتل ، والسطو ، والسلب ، والسرقة ، والحرق ، والخطف ، والاختلاس ، والاغتصاب ، وتعاطي العقاقير الخطرة ، وحباسة الاسلحة ، والبغاء ، والقمار . والتزوير ، والاجهاض ، والتدليس ، وإفشاء الاسرار الرسمية ، وخيانة الامانة ، وغيرها .

وفيما يلي بيان بأنواع الجرائم المهمة التي وقعت في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ ، ومنه يظهر ان النسبة مرتفعة في جرائم السرقة والسلب والسطو والاعتداء على وجه خاص ، وأنها أقل كثيراً من ذلك في جرائم القتل والاغتصاب .

جدول رقم « ٥ »

الجرائم الهامة في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ (١)

نوع الجريمة	عدد الجرائم	النسبة لكل ١٠٠,٠٠٠ شخص من السكان
القتل بدون قصد	٣٥١٤	٧,١
القتل قصداً	٢٢٨٥	٤,٨
الاغتصاب	٢٩٢٢	٥,٩
السطو	٥٠٧١٩	١٠٢,٥
الاعتداء	٢٥٠٨٢	٥٠,٧
السلب	١٨٧٥٨٣	٣٧٩,٢
السرقه	٥٣٣١٧٠	١٠٨٢,٤

(١) أما في العراق فقد دلت الاحصاءات على أن أهم أصناف الجريمة موزعة كما يبدو في الجدول رقم « ٦ ». ومنه يظهر لنا بوضوح النسبة العالية في حوادث القتل ، وكثرة انتشار هذه الجريمة الخطيرة ، والحاجة الملحة في ضرورة معالجتها معالجة مجدية سريعة .

(١) J. W. Gillin, Criminology And Penology, N. Y. p. 23.

- وتتراوح نسبة جرائم القتل خاصة في الولايات المتحدة بين ٤٦-٩٠ جريمة لكل مليون شخص من السكان - Haynes, op. cit. p. 9.

جدول رقم ٦ د

بيان عدد كل صنف من الجرائم في العراق بين ١٩٣٧ - ١٩٤٦ (١)

نوع الجريمة	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦
جرائم المرور	٢٥٠١٦	٢٧١١٦	٢٧٧٣٣	٢٧٥٩٥	٤٤١٧٨	٢٠٥٨٧	٢٠٥٨٧	١٧٨٣٥	١٤١٩٢	٢١٩٧١
« السرقات	٢٦٨٤	٢٧٣١	٢١٦١	٢٦٥٨	٢٦٧٨	٣١٧٤	٣٢٧٤	٢٨٩٦	٢٩٥١	(٣) ٢٩٥١
« القتل (١)	١٠٢٧	٩٨٥	٨٩٥	١٠٥٣	١٣٥٢	١٢٢٥	١٣٢٢	١٣٠٠	١٢٤٨	١٣٠١
« الدهس	٧٥٧	٦٥٨	٥٥٤	٥٦١	٥٦٧	٦٣٠	٤٧٤	٤١٢	٤٩٠	٥٦٤
« اصطدام السيارات	٢٨٦	٢٤٥	٤٦٩	٣٥١	٣٦٣	٤٧٣	٣٢١	١٧٧	٣٦٧	٥٠٦
« هتك العرض	١٨٦	٢١٧	٢٥٤	١٨٠	١٧٠	١٧٤	١٤٣	١٢٠	١٤٣	١٣٩
« الخطف	١٤٢	١١٣	٧٥	٧١	٧٠	٦٦	٦٣	٦٠	٨٢	٥٦
« الحرائق	٥٧	٤٢	٤٥	١١	(٤) ٧	١٢	١٨	٩	١٥٥	٦٤
« الرشوة	٧٨	٦١	١٠٤	٩١	٧٧	١٥٨	١٦٣	١٥٧	٢٠٦	١٠٧
« الاختلاس	٢٩	٢٢	٤٢	٢٩	٢٨	٣٧	٥٤	٥٤	٩٧	٣٩

- (١) المجموعة الإحصائية السنوية لسنة ١٩٤٠ ، ص ٦٨ ، وسنة ١٩٤٦ ص ٦٨ .
 (٢) حوادث القتل ذات نسبة عالية جداً تقارب ٢٥٠ جريمة لكل مليون شخص من السكان .
 (٣) لم يرد لها تقدير في المجموعة الإحصائية السنوية .

(٤) فداحة تكاليف الجريمة

الجريمة عبء ثقیل واقع على كاهل الدولة والأفراد ، وعلة قاسية باهظة التكاليف ، يعاني المجتمع ضرباً مختلفة من أهوالها وما تحدثه فيه من آثار سيئة وخسائر وآلام .

جرائم الخيانة العظمى مثلاً كالتجسس والتآمر مع العدو ، ومحاولة الاخلال بالأمن والنظام العام قد تعرض سلامة الدولة وسيادتها ونظمها ونهضتها لأشد الأخطار . وحوادث القتل تؤدي بحياة الكثيرين من أبناء الأمة العاملين النافعين . وأفعال الاعتداء تورث تعطيلاً وتشويهاً وآلاماً في المجني عليهم ، وأعمال الحرق والاتلاف والتخريب تقضي الى زوال كثير من الممتلكات الخاصة أو العامة والحرمان من الانتفاع بها . وجرائم الاغتصاب وهتك العرض تؤدي أحياناً الى كثير من الخسومات والاحقاد ، عدا ما تسببه هذه الجرائم جيماً وامثالها من خوف وقلق واضطراب في النفوس ، وما تورثه من صغائر وحزانات بعيدة المدى بين الأسر والعشائر وأفراد المجتمع كافة .

فضلاً عما ينال المجرم ذاته ، فيما اذا اكتشف امره ، من نتائج خطيرة هامة . فهو ، وفقاً للثمة المسندة اليه ، قد يفقد حياته ، أو يعرض نفسه للسجن والغرامة وأنواع العقوبات الأخرى ، كما يصبح مهدداً بفقدان عمله ، وضياع مركزه الاجتماعي ، سوى ما يحدثه سلوكه الجنائي لأسرته من ضيق وحزن ومتاعب ، وما يولده فيه ، هو أيضاً ، من ألم نفسي وندامة وعذاب روحي وثورة في الضمير .

ولذا فقد رأينا كل دولة اليوم تنهض بواجب محاربة الجريمة وتحاول
مهما كلفها الامر مكافحتها ومعالجة مشكلتها بعناية واهتمام .
وفيما يلي بيان بمقدار أهم تكاليف الجريمة في الولايات المتحدة
الامريكية في احدى السنوات الاخيرة .

جدول رقم « ٧ »

تكاليف الجريمة في الولايات المتحدة في احدى السنين الاخيرة (١)

التكاليف (بالدولارات) (١)

نوع المصروفات

٥٢.٨٨٦.٠٠٠	العدل الجنائي في الولايات المتحدة
٢.٦٦٠.٠٠٠	الشرطة (في الولايات المختلفة)
٢٢٧.٧٠٠.٠٠٠	العدل الجنائي في المدن الكبرى
٥١.٧٢٠.٠٠٠	السجون والاصلاحيات
١٠.٠٠٠.٠٠٠	أعمال الحراسة
٦٨.٠٠٠.٠٠٠	خسائر مادية
١٠٦.٠٠٠.٠٠٠	التأمين ضد الجرائم
٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠	خسارة عمال السجون والمشتغلين في العدل الجنائي
٢٧.٠٠٠.٠٠٠	الخسائر المؤمنة من الجرائم
٤٠.٠٠٠.٠٠٠	الخسارة من أعمال التزوير
٩٢٥.٨٦٦.٠٠٠	المجموع

والجدول التالي يبين لنا مبلغ المصروفات السنوية التي تتكبدها
الدولة المراقبة في مكافحة وباء الجريمة .

جدول رقم (٨)

بيان أهم المصروفات السنوية من تكاليف الجريمة في العراق بين ١٩٣٦ - ١٩٤٥ (١)

المحاكم		السجون		الشرطة	
النسبة المئوية من الميزانية	التفقات السنوية بالدينار	النسبة المئوية من الميزانية	التفقات السنوية بالدينار	النسبة المئوية من الميزانية	التفقات السنوية بالدينار
٢,٣	١١١,٣٧	١,٢	٥٨٨١٩	١٣,٢	٦٢٢٦١
٢,٥	١٢٧,٨٧	١,٢	٦,٢٢٧	١٢,٧	٦٥٨٩١٣
٢,٣	١٣١,٨٨٩	١,١	٦٣٨٠٧	١١,٩	٦٧٤٥٧٥
٢,١	١٣٢,٦٤٢	١,١	٦٧٨٢٤	١٠,٩	٦٨٥٩٥٠
١,٩	١٣٨,٨٥٦	١,١	٧٨٩٤٨	١٠,٢	٧٢٦٧٤٥
١,٩	١٤٥,٩٥٤	١,٤	١١٢,٧٧٩	١٠,٩	٨٣٤٣٥٧
١,٨	١٨٦,١٥٠	٢,٢	٢٣٥,٩١١	١٣,١	١٣٩,٥٣٠
١,٧	٢٢٨,٣٩٤	١,٤	١٩٢,٢٦٣	١٣,٤	١٨٤,٥٣٦
١,٣	١٩٥,٩٢٠	١,٧	٢٤٧,٩٥٢	٩,٦	١٤٤,١٠٧٩
١,٦	٢٤٦,٦٨١	١,٥	٢٣٧,٢٤١	١٣,٢	٢٠٨,٨٤٥٠

(١) المجموعات الإحصائية السنوية ١٩٤٠ ص ٧٨ ، ٧٩ ، ١٩٤٤ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

ولو كانت دائرة الجريمة أقل اتساعاً مما هي عليه الآن لأمكن الاستفادة من أي توفير في نفقاتها لسد حاجات حيوية أخرى كالمعارف والزراعة واشغال الري . والجدول الآتي يوضح لنا مقدار تكاليف هذه المصالح الرئيسية ونسبتها المئوية من الميزانية العامة العراقية .

جدول رقم « ٩ »

تكاليف المعارف ، والزراعة ، واشغال الري

بين ١٩٣٦ - ١٩٤٥ (١)

السنة	المعارف		الزراعة والبيطرة		اشغال الري	
	دينار	النسبة المئوية من الميزانية	دينار	النسبة المئوية من الميزانية	دينار	النسبة المئوية من الميزانية
١٩٣٦	٥٢٣٥٠٠	١١٫١	٦٣٥٣٤	١٫٩	٦٣٠٩٢	١٫٣
١٩٣٧	٦٢٦١٠٢	١٢٫١	٧١٢٩٠	٢٫٠	٧٠١٦٠	١٫٤
١٩٣٨	٧١٨١٠٠	١٢٫٧	٦٢٩٦٥	١٫٧	٦٤٢٣٠	١٫١
١٩٣٩	٨٢٨٤٥٦	١٣٫١	٨٦٣٥٠	١٫٨	٦٣٨٢٧	١٫٠
١٩٤٠	٨٦٥٩٥٤	١٢٫١	١١٤٧٣٤	٢٫٠	١٢٨٣٥٥	١٫٨
١٩٤١	٨٧٣٢٥٧	١١٫٣	١٢٩٩٧٩	٢٫٠	١٠١٩٦٠	١٫٤
١٩٤٢	١١٥٢٨٣٣	١٠٫٩	٢٥٨٩٠٥	٢٫٩	١١٠٧٦٠	١٫١
١٩٤٣	١٥١٥٥٤٢	١١٫٠	٢٧١٠٩٥	٢٫٤	١١٥٤٧٤	٠٫٨
١٩٤٤	١٣٣٥٤٧٥	٨٫٩	٤٤٨٦٢	?	٧١٠٧٤٥	٤٫٧
١٩٤٥	١٦١١٨٤٣	١٠٫٢	٥١٥٨٠٤	٣٫٦	١٠٢٨٣٣	٠٫٦

(١) المجموعات الاحصائية السنوية ٩٤٠ ص ٧٨ و ٧٩ ، ٩٤٦ ص ٢٠٠ و ٢٠١

أما الخسارة المادية التي تلحق بالمجنى عليهم في العراق نتيجة الافعال
الجرمية فكبيرة كما تبدو في الجدول الآتي :

جدول رقم « ١٠ »

الخسارة المادية الناجمة عن الجريمة

بين ١٩٣٦ - ١٩٤٦ (١)

السنة	الخسارة (بالدينار)
١٩٣٦	٤١٢٩٣
١٩٣٧	٣٥٦٩٤
١٩٣٨	٣٨٩٦٣
١٩٣٩	٣٧٥٣٤
١٩٤٠	٣٣٣٤٦
١٩٤١	٢٩٤٤٩
١٩٤٢	٧٥٣٩٤
١٩٤٣	١١٨١٦٦
١٩٤٤	١٢٩٤٤٥
١٩٤٥	٨٩٥١٢
١٩٤٦	٧٤٨٢٣

هذه الحقائق والارقام كلها توضح لنا دون لبس ولا ابهام مدى
أهمية مشكلة الجريمة وشدة خطورتها ، وهي تفسر لنا السبب الذي

(١) المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٤٦ ص ٦٨

يقضي بوجوب فهمها ودراستها والعناية بها عناية خاصة فائقة .
وانه لفوق مقدورنا الآن ، لأسباب عديدة ، أن ندرس
عوامل الجريمة وعللها وطرق علاجها في العراق ^(١) . ويترتب علينا
أن نبحث هذه المشكلة بصورة عامة فيما يلي من الابواب وهي :

الباب الأول : الوراثة

الباب الثاني : اختلال المزاج .

الباب الثالث : انحراف الخلق .

الباب الرابع : شذوذ العقل .

الباب الخامس : اعتلال الجسم .

الباب السادس : فساد البيئة .

أما طرق العلاج والاصلاح ووسائل الوقاية من الاجرام فستكون
موضوع بحثنا ودراستنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(١) و اعلنا نوفق الى ذلك في المستقبل في كتاب خاص .

الكتاب الاول

عوامل الجريمة

ليست الجريمة فعلاً آلياً ولا عملاً عشوائياً ، بل هي وليدة عملية عقلية تلقائية ، لها أسبابها الخفية ، وأغراضها الحقيقية . أنها ناشئة عن حوافز فطرية ، وميول أولية ، واستعدادات مكتسبة ، تنشد اشباع غريزة ، أو سد حاجة ، أو تحقيق غرض معين . وهي تعتبر دائماً رد فعل طبيعي للوضع الخاص الذي وجد المجرم فيه نفسه ساعة ارتكابها نتيجة التفاعلات التي حدثت عنده بين دوافعه الشخصية والمؤثرات الخارجية ، والصراع العنيف الذي دار فيه بين رغباته ونزعاته وميوله وشهواته وضرورات المجتمع الذي يعيش فيه .

لذا فإنه لا يمكن الاقتصار على دراسة أعراض الجريمة الظاهرة والاكتفاء بوقائعها الخارجية منفردة ، بل لابد من دراسة شخصية المجرم نفسه ، والوقوف على أحواله وظروفه كافة . وإن علينا أن نحارب في الأمراض النفسية والخلقية والاجتماعية ، كما تفعل في الأمراض الجسدية ، ليس المظاهر والأعراض بل العلل والأسباب .

وكما أنه لا يمكن في حال حدوث انفجار ناشئ عن اتحاد وتفاعل مادتين كيميائيتين معرفة عناصر المادة المتفجرة من علو الصوت أو لون اللهب ، ووجوب البحث والتحري عن ماهية المادة المتفجرة ومركباتها وعوامل التفاعل فيها ، فكذلك لا بد في حوادث الاجرام من كشف عوامل الاستعدادات العقلية الذاتية ومعرفة كنه المركبات النفسية للمجرم المؤدية باتحادها وتفاعلها مع العوامل الخارجية في البيئة الى

حدوث الفعل الجرمي والسلوك الجنائي . وعندها يسهل علينا امر التوجيه والاصلاح والعلاج .

ولقد كانوا قديما ينسبون الاجرام الى أحد أمور عديدة منها شكل الجمجمة ، والجنون ، والادمان على الخمر ، وضعف العقل . غير أن دراسات هيلي وبرت وايجهورن والكسندر وستاوب وغيرهم قد دلت على خطأ هذا القول ، وإن الاجرام لا ينشأ عن عامل واحد فرد أو يرجع الى فرق ظاهر في العقل أو الجسم بين المجرمين وغير المجرمين . كما أننا رأينا البعض يسند الجريمة ويردها الى عجز رجال الشرطة ، أو عدم كفاءة القضاء ، أو الى الفقر والبطالة ، أو الى الجهل والمرض ، أو الى انتشار المدن وظهور السينما ، أو الى ضعف العقيدة الدينية وفساد التربية المنزلية . والواقع أن هذه العوامل ، بفرض وجودها ، ذات أثر قوي فعال في وقوع الجريمة لكنها لا تكون مؤدية بنفسها اليها الا في أحوال خاصة ، حين يتوافر في ذات المجرم استعداد سابق للشذوذ والاجرام .

ولقد اتفقت كلمة النقات اليوم على أن عوامل الجريمة كثيرة مختلفة^(١) ، تعمل مشتركة مع بعضها . ولوحظ أن هنالك نسبة طردية بين الجريمة والعوامل الرديئة في الفرد وبيئته ، ونسبة عكسية بينها وبين العوامل الحسنة فيه أو في البيئة كما سيأتي معنا .

وبذا فانه يمكننا ارجاع أصل الجريمة الى مجموعتين كبيرتين من

(١) يقول برت ان هناك نحو ١٧٠ عاملا من العوامل المختلفة لحدوث الجريمة .

الدوافع والعوامل والبواعث : مجموعة العوامل الشخصية الكائنة في الفرد ، نفسية وخلقية وذهنية وجسدية ، فطرية ومكتسبة . ومجموعة البواعث الخارجية الكائنة في البيئة منفصلة عن ذاته ، اجتماعية واقتصادية وغيرها .

وتشمل العوامل الشخصية أموراً هامة أهمها : الوراثة ، واختلال الحياة الاتقالية (المزاج) ، وانحراف الخلق ، واعتلال الجسم ، وشذوذ العقل وسنفرد لكل منها فصلاً خاصاً - كما ذكرنا من قبل .



الباب الاول الوراثية

يعتبر قانون الوراثة اليوم من القوانين الثابتة، وهو يفيد أن الفرع يشبه أصله، وإن الأصل ينتج مثله. وبذا فقد جاز لنا أن نتساءل: ترى هل يرث الإنسان الجريمة عن آبائه كما يرث صفاتهم الجسمية وخصائصهم العقلية؟ أي هل يمكن أن يولد المرء مجرماً سالكا في مستقبل حياته سلوك غير الاسوياء والشواذ فلا يجدي فيه اصلاح أو يفيد عقاب؟

اختلف العلماء والباحثون في أجوبتهم. فقريق يؤيد جانب الوراثة وما لها من قوة فعالة في التحكم بسلوك الانسان وخلقه. وفريق ينكر هذا القول وينفي ان يكون للوراثة هذا الدور الهام في تقرير مصير الانسان وحياته غير الاجتماعية. وهؤلاء يقولون بأن العوامل الوراثية التي يبالغ البعض في أهميتها لا قيمة لأثرها اذا قورن بأثر العوامل الاخرى في البيت والمدرسة والمجتمع.

حجج انصار الوراثة

فعلماء الوراثة، أمثال جالتون وكارل بيرسون، يؤكدون ان الناس يرثون عن آبائهم القدرة والحجل والمشاعر والحالات النفسية بالطريقة نفسها التي يرثون بها الشكل واللون وطول القامة وغيرها. وأنه بالوراثة يقدر على الانسان نوع نفسه من يوم ولادته، وبها تصاغ

أخلاقه ، وتحدد بنيته ، وبها يمين مقدار عقله ^(١) .

وقديما قال بعض الفلاسفة ، وعلى رأسهم جون لوك واللورد شافتسبري ، أنه كما يوجد في الانسان حواس للسمع والبصر والذوق والشم واللمس فكذلك يوجد به حاسة الخلق أو الضمير المورث . وهو بهذه الحاسة يميز بين ما هو خلقي وغير خلقي كما يميز الانف بين الرائحة الطيبة والكريهة ، وانها تتأثر بالوراثة شأنها في ذلك شأن الحواس الاخرى .

وأكد الدكتور موزلي وأتباعه أن كثيراً من المجرمين ، وربما معظمهم ، يمانون من نقص ولادي للحاسة الخلقية . وهم يتميزون بانحراف المبادئ الخلقية أو فسادها ، وفقدان القدرة على ضبط النفس ، وهجزم عن السلوك المحتشم اللائق في الحياة ، من دون أن يفقدوا القدرة على التحدث أو التفكير في أي موضوع يعرض لهم . وهم بذلك يشبهون الأولاد الذين لا يستطيعون تمييز الألوان أو التفريق بين أنغام الموسيقى ^(٢) . وقال بعض العلماء أن عته الخلقي ^(٣) حقيقة راهنة . وأن المعتوه خلقياً ل يتميز بنواقص كثيرة وظواهر عدة في الذكاء والاخلاق ، في

(١) الدكتور عبدالعزيز القوصي ، أسس الصحة النفسية ، القاهرة ، ١٩٤٦ ص ٣٠ . وأحمد امين ، الاخلاق ، القاهرة ، ١٩٤٠ ص ٤٩ - ٥١ .

(٢) صبرى جرجس ، مشكلة السلوك السيكوباتي ، القاهرة ، ١٩٤٦ ص ٣٠ .
(٣) يقصد بالمعتوه خلقياً الشخص الذي يظهر فيه منذ ولادته أو منذ سن مبكرة بعض النقص العقلي الدائم مقترنا بانحرافات جنائية فاسدة قوية بحيث لا يكون للعقوبة فيه سوى أثر رادع ضئيل ، أو لا يكون لها فيه أي أثر بالمرة . - برت Burt . المجرم الحدث ، لندن ، ١٩٣١ ، ص ٣١ - ٣٢ .

الجسم والعقل على السواء ، يطلق عليها اسم وصمات الانحلال Stigmata of degeneration مما يدل على أنه رجوع للانسان البدائي ، أو للانسان السابق للبشرية pre-human .

وقال هافلوك ايليس في كتابه « المجرم » انه لمن المتفق عليه أن في المجرم ضعفاً عقلياً موروثاً يؤثر على أخلاقه من غير أن يؤثر على ذكائه . بل اننا قد نجد مجرماً كهذا يتوافر فيه ذكاء عادي أو متفوق . وقد ضرب على ذلك أمثلة عديدة أهمها قصة توماس واينرايت ، وماري شنيدر^(١) . وأكّد لبروزو ومدرسته وجود المجرم بالفطرة ، وأن أمثاله يشكلون طبقة خاصة من الناس تتميز عن غيرها بفروق ظاهرة في أجسامهم وتكوينهم الطبيعي . ويقول أصحاب هذا المذهب أن المجرم قد جاء الى هذا العالم فاقداً ، عن طريق الوراثة ، كل شعور خلقي ، كما يبدو ذلك واضحاً من مجموعة علامات مرضية في الجسم والعقل^(٢) . وتكاد تجمع هذه النظريات على أن سلوك الفرد المضاد للمجتمع مرتبط إلى حد كبير بالتراث الذي ينتقل إليه من أسلافه . فهو سلوك ثابت محتوم لا سبيل إلى تجنبه أو تعديله .

(١) أما توماس فقد كان شاعراً ورساماً ونقاداً فنياً يحب الآثار القديمة ولكنه كان من كبار مزوري الوصايا ، وأعظم من اشتهر بالقتل بالسم في الوقت الحاضر . وأما ماري فكانت بنتاً المانية ذكية ماهرة تبلغ من العمر ١٢ سنة ، ارتكبت جرائم وحشية كثيرة وحُكمت بالسجن ٨ سنوات لقتلها إحدى رفيقاتها . - برت ، المصدر نفسه ، ص ٤٠ - ٤١

(٢) وهذا الوصف ينطبق على ما يسميه الانكليز بالنقص الخلقي أي

ومن الدراسات الكلاسيكية المؤيدة لتأثير الوراثة في حدوث الجريمة ما قام به جودارد لأسرتي الكاليكاك The Kallikaks . وقصة هتين الاسرتين هي ان جنديا يدعى مارتن كاليكاك كان قد أنجب طفلا غير شرعي من فتاة ضعيفة العقل وأمكن تتبع ٤٨٠ فرداً من ذراري هذه البنت في أجيال متتالية . وبعد مدة من الزمن تزوج كاليكاك بفتاة عادية من أسرة طيبة وأمكن تتبع ٤٩٦ فرداً من ذراري هذه الزوجة في أجيال متعاقبة . فكان لدينا بذلك مجموعتان من الافراد تختلفان في الاصل الوراثي من ناحية الام ، يمكن موازنتهما ببعض . ولقد ظهر بين أفراد المجموعة الاولى ٦٤ شخصا فقط يمكن اعتبارهم أشخاصا عاديين . أما الباقيون فقد تبين فيهم حالات الصرع والاجرام والبغاء والادمان على الخمر وضعف العقل . أما في أفراد المجموعة الثانية فوجد أن ٤٩١ شخصا منهم عاديون ، نجح معظمهم في الحياة نجاحا ظاهراً . وقد بدا على أحد الخمسة الباقين ضعف عقلي ، وعلى آخر استهتار جنسي ، وعلى اثنين ادمان على الخمر ، وعلى الأخير جنون التدين . واتضح من دراسة هتين الأسرتين ما للوراثة من أثر محقق في سلوك الانسان وحياته الاجتماعية^(١) .

كما قام البروفسور بوثلمان Poellman بدراسة اسرة انحدرت من امرأة مدمنة على الخمر بلغ أنساها خلال ستة أجيال ٨٠٠ شخص ظهر بينهم^(٢) :

(١) عبدالعزيز القوصي ، المصدر نفسه ، ص ٣٤ .
(٢) كيلين Gillin ، نفس المصدر ، ص ١٢٢ - وقد كلفوا الحكومة الاميركية نحو ١٢٠٦٠٠٠ دولارا .

- ١٠٢ من المتسولين .
١٠٧ أبناء غير شرعيين .
١٨١ عاهرة .
٧٦ محكومون بجرائم خطيرة .
٥٤ يعيشون في الملاهي .
٧ من القتل .

وقام علماء آخرون أمثال ماك كلوش Mac Culloch ، وبلاكمار ،
ومس كايت ، بدراسات حديثة مماثلة جاءت مؤيدة للنتائج السالفة
في بيان أهمية الوراثة وأثرها في تقرير السلوك . وقد ثبت لهؤلاء
العلماء أن كثيرا من الورثة قد ارتكبوا أنواع الجرائم رغم وجودهم
في بيئة حسنة^(١) .

دراسة التوائم

ومن ناحية أخرى فقد وجد الباحثون في دراسة سلوك التوائم
ميدانا طيبا لبيان أثر العوامل الوراثية على الفرد وخاصة على السلوك
الاجرامي ، أو المنحرف نحو الجريمة ، بحكم أنهم متحدون عادة في
الوراثة ، لاسيما التوائم المتماثلة الناشئة من انقسام بويضة واحدة بعد
التلقيح ، فهي تكون متفقة تماما من حيث مورثاتها Genes ، أي حملة
الاستعدادات الوراثية فيها .

فلقد أجرى جوهانز لانج Johannes Lange بحوثه في
الجريمة على التوائم المتماثلة ، والتوائم الاخوية الناشئة من تلقيح

(١) كيلين Gillin ، نفس المصدر ، ص ١٢٢ .

بويضتين مختلفتين في نفس الوقت ^(١) فظهرت له النتائج الآتية : من ١٣ توأماً من التوائم المتماثلة تشابهت النزعة للجريمة ووقت ارتكابها في عشرة منهم . أما في الثلاثة الباقين فقد ارتكب أحد التوأمين دون الآخر جريمة . ومن ١٧ توأماً من التوائم الأخوية لم يرتكب الجريمة معاً سوى اثنين منهم . أما الخمسة عشر الباقون فلم يرتكب الجريمة منهم سوى أحد التوأمين . واستخلص لانج من ذلك أن الوراثة تلعب دوراً بالغ الأهمية في صنع المجرم . وقال ان طريقة التوائم تدلنا على أن النزعات المؤدية إلى السلوك المضاد للمجتمع يمكن أن تنمو في نطاق الوراثة ^(٢) .

وفحص أ . روزانوف وهاندي وج . روزانوف عدداً غير قليل من التوائم المجرمين . ومن ذلك ٣٣ زوجاً من التوائم المتماثلة في الذكور ، فوجدوا ان كلا التوأمين في ٢٢ زوجاً منهم مجرم ، وفي الأحد عشر زوجاً الباقية كان أحد التوأمين فقط هو المجرم . كما لاحظوا أنه لم يشترك في النزعة الإجرامية بين ٢٣ زوجاً من التوائم الأخوية سوى ثلاثة أزواج ، وفي العشرين زوجاً الآخرين كان المجرم هو أحد التوأمين وحده . وجاءت نتيجة بحوثهم في توائم الإناث المجرمات مماثلة للنتيجة في الذكور ^(٣) .

(١) ولا يوجد فرق بين التوائم الأخوية والأخوة العاديين في هذا الخصوص .

(٢) نورود ايسن ، المجرم المراهق ، لندن ص ٣١ - ٣٢ . وصبري

جرجس ، نفس المصدر ، ص ١٧٥ - ١٧٧ .

(٣) صبري جرجس ، المصدر نفسه ، ص ١٦٦ .

ووجد فردريك ستومبفل F. Stumpf في أحد أبحاثه أن ١١ زوجا من ١٨ زوجا من التوائم المتماثلة اشترك في الجريمة معا، بينما لم يشترك فيها سوى ٧ من ١٩ زوجا من التوائم الاخوية^(١).

وظهر لبرت أن حوالي النصف من المشتري حدث الجانحين الذين أجرى عليهم تجاربه كانوا يعانون من تقلب انفعالي شامل عميق يبدو كأنه عيب موروث فيهم، في حين أن ذلك لم يظهر الا في عشرة أفراد من غير الجانحين. وتحقق برت أن وجود مثل هذا العامل الداخلي قد كان سببا رئيسيا لجناح ٣٦٪ من الاولاد، و ٤١٪ من البنات^(٢).

وثبت لباحثين آخرين^(٣) أن هنالك أفرادا لا يقدرّون على التسامي بخوافهم الغريزية السيئة، بسبب وجود عوامل جبلية فيهم، وهي عوامل موروثية. مما يدل على أن مثل هؤلاء الاشخاص قد ولدوا كي يصبحوا فيما بعد من الجانحين أو المجرمين^(٤).

حجج انصار البيئة :

يبدو انه قد تحقق كثير من العلماء والاختصاصيين أن عوامل البيئة أقوى في أثرها ودلالاتها على الجريمة من العوامل الوراثية. وأن الفريق الاكبر من الناس ينشأون نشأة حسنة أو رديئة وفقا لظروف البيئة المحيطة بهم، والتربية التي يحصلون عليها. وليس أدل على قوة أثر البيئة مما يشاهد من أن أبناء الحارات والشوارع

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٧٦

(٢) برت، المصدر نفسه، ص ٦٠٥ .

(٣) أمثال الدكتور هيرش

(٤) الجانحون هم المجرمون الصغار والاحداث .

إذا انتزعوا وهم صغار من بيثهم الفاسدة تغيرت أخلاقهم تغيراً كبيراً ،
وشبوا شباباً حسناً ، وهم لو تركوا في بيثهم الأولى لشبوا مجرمين
أو مشردين ^(١) .

أبحاث هيلي وبيرت :

ودلت الدراسات التي قام بها هيلي وبيرت وغيرهما من الثقات
أن الوراثة ليست بعامل حاسم في تقرير السلوك المضاد للمجتمع ، وأن
العوامل التي تحدد السلوك البشري وتوجهه لمن التشابك والتعقيد بحيث
تجعلنا لا نستطيع الوصول إلى أدلة إيجابية قاطعة عن الدور الذي تلعبه
الوراثة إلا في حالات نادرة جداً ^(٢) .

فالدكتور هيلي لم يجد بين الألف حدث الذين أجرى دراسته
عليهم حدثاً واحداً يمكن اعتباره مجرماً بالوراثة . وتحقق بيرت ، من
ناحيته ، أن عدد المجرمين الذين يمكن أن يقال أنه يسري في عروقهم
دم إجرامي موروث تافه نسبياً . وهو قد صرح بأن الجريمة في ذاتها لا
تورث ، وإنما لا نستطيع أن نمزو للبيئة الوراثة إلا أثراً غير مباشر في
تكوين الخلق ، وتحديد مقدار الذكاء ، والقدرة على ضبط النفس
والتحكم في المزاج ^(٣) .

أما ظهور النزعات الإجرامية المتماثلة بين السلف والخلف فلا
يستقيم وحده دليلاً على وجود العامل الوراثي . وظهور آثار الأجرام
في كل فرد من أفراد العائلة لا يدل على أن الأجرام

(١) أحمد أمين المصدر نفسه ، ص ٤٩ - ٥١ .

(٢) صبري جرجس ، المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .

(٣) بيرت ، المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

دائماً موروثة^(١). فمثل هذه الحالات ، وإن تك تبدو كأنها موروثة ، فهي في الواقع ناشئة عما يسميه علماء النفس بالتمثيل أو التشبه Identification أو المحاكاة بأنواعها المختلفة من تأثير بالإيحاء والتقليد والمشاركة الوجدانية^(٢) ، ومن المحتمل تعديلها بتعديل البيئة وظروفها . فإذا كان الأب لصاً فإن ابنه يمكن أن يرتكب السرقة ليس بتأثير الوراثة بل بالاحتذاء والمثال ، ونتيجة رغبة واعية لأن يكون مثله^(٣).

دراسة أسرة الجوكس

ومن الدراسات المؤيدة لامكان تعديل النزعة الجرمية بتعديل البيئة ما قام به أحدهم من دراسة لأسرة الجوكس فقد نشأ أجداد هذه الأسرة في بقعة مرتفعة مغطاة بالغابات تبعد عن نيويورك بمئتي ميل تقريباً . وقد لفت أفراد هذه الأسرة ومن يتصل بهم نظر الباحثين بسبب كثرة الجرائم الصادرة منهم . فقام أحد العلماء بتتبع هؤلاء الأفراد ودرس من الأسرة تسم طبقات من الاجيال بلغ عددها نحو ٣٠٠٠ فرد ، وجد أن نسبة الاجرام فيهم ٣٤ ٪ .

ورغم أن هذه النسبة عالية فقد استنتج العلماء ، ومنهم جالتون ، أن الجريمة لم تكن متأصلة في نفوس أعضاء هذه الأسرة ، وقد نجم عن تقريبهم وادماجهم في المدنية الأميركية ، وحسن توجيههم أن زالت اتجاهاتهم الجرمية ، مما ينفي أن يكون أصل الجرائم وراثياً .

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

(٢) راجع بعده بحث « الميول الفطرية العامة » .

(٣) برت ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ .

والواقع أن الإنسان وإن كان يرث عن أبويه صفاتهم الأساسية كالغرائز فهو لا يرث هذه الغرائز نامية ناجزة ، إنما يرث جراثيمها والاستعدادات لها . وما ينتقل للشخص إنما هو المورثات genes بما فيها من امكانيات وعوامل مقررّة للصفات وليست الصفات ذاتها .

فالطفل لا يرث نفس المرض إنما يرث الاستعدادات للإصابة به ، فإن صادف هذا الاستعداد بيئة ساعدته على الإصابة به أصيب وإلا فلا .

النظرية الراجعة :

فمن ذلك يظهر لنا أن المورثات لا تعمل مستقلة عن البيئة ، وإن لكل من الوراثة والبيئة أثرا فعالا في توجيه الإنسان وتقرير سلوكه ، وأن الوراثة والبيئة معا تحدّدان قيمة كل جسم حي ونجاحه أو خيبته . فالوراثة مسئولة عن القوى والاستعدادات الكامنة في نفس الشخص ، والبيئة مسئولة عن اظهار تلك القوى وتمهدها بالترية الصحيحة الى أن تصل الغاية المقررة لها من النمو فكان أساس الخلق وراثي ، لكن اتجاهه في الطريق المقبول أو غير المقبول متوقف على البيئة ^(١) .

كما وأن البيئة الصالحة لا تعمل إلا ضمن الحدود التي وضعتها العوامل الوراثية . فالتغذية والرياضة البدنية وما إليها لا تخلقان من الاقزام عمالقة ، والعناية التعليمية والتهديبية لا تجعل من ضعاف العقول

(١) راجع بعده بحث « انحراف الخلق » .

عباقرة ولا عادين . انما يمكن أن تساعد البيئة ، بعواملها المختلفة ، على الوصول إلى أحسن نتيجة يمكن الوصول إليها ضمن الاستعداد الوراثي والخطر انما يكون شديدا عندما تفتقر الوراثة السيئة ببيئة سيئة مثلها ^(١) . ومن جهة أخرى فانه ليسر جدا تحليل أعراض السلوك ونواحيه وارجاعها الى اصولها الوراثية أو البيئية ، أو معرفة نسبة كل منهما فيها . خصوصا وان هذين العاملين قد تشابكا مع بعضهما تشابكا دقيقا وتفاعلا معا منذ اللحظة التي تم فيها تلقيح البويضة الانثوية بالخلية الذكرية بحيث لا يمكننا تفريقهما عن بعضهما ، أو تحديد درجة السلوك وصفته الناشئة عن كل منهما .

فلأجل أن تتكاثر الخلية وتنمو بعد التلقيح وتبدو فيها مظاهر الحياة لا بد لها من بيئة موافقة في داخل الرحم ، من حرارة ورطوبة ووقاية وتغذية . ولولا هذه البيئة واستيفاء شروط معينة فيها لما تمت عملية النمو . فعوامل البيئة ، والحال هذه من الخارج ، وعوامل الوراثة من داخل الكائن الحي تعمل كلها معا من اللحظة الاولى في الحياة . وبعد خروج الجنين الى العالم الخارجي يتأثر في نموه وتكوينه بآلاف الظروف المحيطة به ^(٢) .

فضلا عن أن التفريق بين العوامل الوراثية والبيئية ليس له في الواقع عند العلاج سوى قيمة نظرية ، اذ على الطبيب أو المعالج أن

(١) القوصى ، المصدر نفسه ، ص ٣٩ - ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢ . راجع ودورث ، مبادئ علم النفس ، ص ١٥ ، ١٧ ، ١٨١ - ٢٢٤ .

يعمل دائما على اصلاح اسباب السلوك الجنائي وتعديل احوال البيئة إلا في الحالات اليائسة التي ثبت بصورة قاطعة ، لاشك فيها ، أن لا أمل يرجى منها .

خلاصة البحث :

والواقع الذي يمكننا أن نخلص اليه هو أن الجريمة نادرا ما تورث وان تأثير الوراثة الذي يحصل على الحدث أو البالغ لا يمكن فصله كلياً عن تأثيرات البيئة ، وأن الوراثة والبيئة في السلوك الانساني بوجه عام وفي السلوك المضاد للمجتمع بوجه خاص تعملان معاً لا بالاضافة بل بالتفاعل ، ومن ثم يصعب التفريق بينهما . كما وان أي مظهر من مظاهر الحياة المختلفة ان هو الا نتيجة هذا التفاعل الذي يجري بين مجموعتي الوراثة والبيئة . مثل ذلك مثل القاطرة فان ما يحررها ويسيرها ليس هو الوقود وحده ولا الآلة وحدها ، أو ليس هو اضافة الوقود الى الآلة ووضعها فيها ، بل هو التفاعل المشترك الذي يتم داخلها بين الآلة والوقود ^(١) .

وبنتيجة ذلك كله فلا معدى لنا من دراسة الحالات المختلفة السكائنة سواء في الفرد أو في البيئة ذات العلاقة بالسلوك الجرمي . وهذا ما سنحاوله فيما هو آت .

(١) وقد استنتج برت أن للاحوال الفردية وظروف البيئة أثرا متعادلا في حدوث الجريمة . والاحوال الذهنية ، من الناحية الفردية ، أقل أهمية من الاحوال الانفعالية . والاحوال غير المنزلية ، من الناحية البيئية ، أقل أثرا من الاحوال المنزلية . وفي داخل المنزل فان الفقر أقل أهمية من الجو الخلقي . أما الاحوال الجسمانية فليس لها سوى نصف أهمية ما لكل من الاحوال النفسية وظروف البيئة .

الباب الثاني

اختلال المزاج^(١)

أو

اضطراب الحياة الانفعالية الفطرية

الجريمة في ذاتها غير موروثية وتنشأ ، كما مر معنا ، بفعل مجموعة من العوامل الشخصية والعلل البيئية . ومن أقوى العوامل الشخصية أثر آفي الحث على السلوك الجنائي والجنوح إليه ، الاستعدادات المختلفة الكائنة في نفس الفرد ، وهي اما فطرية أو مكتسبة .

فالاستعدادات الفطرية هي ما ورثها الكائن الحي عن أسلافه ، ويشترك فيها سائر أفراد النوع ، وتهدف إلى تحقيق نفعه أو نفع جنسه . وتشمل الفرائز الأولية كغريزة الفرار ، والمقاتلة ، والجنس ، والتملك وغيرها .

والاستعدادات المكتسبة هي ما استقاها الفرد من البيئة ، وحصل عليها بالخبرة والممارسة والتربية والتعليم والمران . غير أنها تعتمد في نشوئها وتكوينها على اساس من الاستعدادات الفطرية الموروثة . وتشمل نواحي الخلق من عواطف وعادات وعقد نفسية وغيرها^(٢) .

(١) Defective Temperament or Disorders of Inherited Emotional Life.

(٢) راجع الباب الثالث : « انحراف الخلق » .

الفصل الاول

الغرائز والانفعالات الاولى

فمجموعة الاستعدادات الفطرية أو الغرائز الأولية ، هي اذن الدوافع الأصلية للسلوك ، الشاذ والسوي ، ومصدر الطاقة الحيوية للنشاط البشري^(١) ، يولد الانسان مزوداً بها ، وتظل تلازمه طول حياته ، لا تتلاشى بالتقدم والتطور والارتقاء ، وتبقى كامنة في أعماق نفسه تتحفز للانطلاق والظهور بمختلف الصور والاشكال ، ومن الممكن تعديلها وتهذيبها وتصميمها بالتربية الصالحة وحسن التوجيه^(٢) .

جوانب الغريزة :

ولكل غريزة ثلاثة جوانب :

١ - الجانب الحسي - الإدراكي - Cognitive وهو الميل لملاحظة بعض الأشياء ذات الأهمية البالغة في حياة الفرد ونوعه ، والانتباه إليها ، وإدراكها ، وتمييزها^(٣) .

٢ - الجانب الانفعالي Affective وهو الشعور بالسرور أو الألم ، أو التأثير والتهيج ، من هذه الأشياء^(٤) . ويقترن بكل غريزة وبصاحبها في نموها وتطورها انفعال Emotion ثابت لا يتغير ،

(١) والغرائز واحدة في الانسان والحيوان الراقى .

(٢) راجع بحث « العواطف » ، و « العادات » في الباب الثالث .

(٣) كما يحصل في غريزة الفرار مثلاً عند رؤية الانسان وحشاً مفترساً

قريباً منه ، فيتميزه ويدرك خطره .

(٤) أى الشعور بالخوف من الحيوان المذكور .

يعتبر الصورة الظاهرة لها ، كاتفعال الخوف المصاحب لغريزة الفرار ،
وانفعال الشهوة الملازم للغريزة الجنسية ، وانفعال الغضب المقترن
بغريزة المقاتلة .

٣ - الجانب الحركي Conative وهو القيام حالا ، بصورة
اوتوماتيكية ، بحركات جسمية معينة ، أو محاولة القيام بها ، بقصد حماية
الفرد نفسه أو حماية نوعه ^(١) .

طبيعة الغريزة

الغريزة بصورتها الفطرية قوة عمياء مندفعة اندفاعاً وحشياً في
الظلام ، لا تنشأ غير الاشباع والارتواء ، ولا تبغني سوى اللذة
والارضاء . وهي في سبيل تحقيق ذلك لا ترعى حرمة التقاليد ولا
أحكام النظم والقوانين . ولا تعاباً بالزواج الخلقي والمحرمات الدينية
وقواعد الأخلاق والآداب . ولا تكترث بالثمن الواجب دفعه ، ولا
بالنتائج التي تحدثها . ولا تحفل بالأخطار التي تسوق صاحبها لمواجهتها
والتعرض إليها . انها على النقيض من ذلك تحبه أبداً ، بعد كل فشل
يصادفها ، على القيام بتجارب جديدة ومحاولات أخرى علما تبلغ في
النهاية مأربها ، وتصل الى أهدافها وأغراضها . وكلما كان المرء أكثر
ذكاء كانت محاولاته هذه أكثر دقة وتنويعاً وتلويناً . والنجاح الاخير
الذي يصادفه والرضا الذي يشعر به هو الذي يعين الاتجاهات المستقبلية
لسلوكه وتكوين العواطف والعادات الجديدة عنده ^(٢) .

(١) ويتجلى بالهرب والفرار بقصد النجاة ، أو الرغبة بذلك ومحاولة

القيام به على الأقل . (٢) برت ، المصدر نفسه ، ص ٥٢٨ - ٥٢٩ .

وإذا ظلت الغريزة على طبيعتها البدائية وصورتها الفطرية ، لم تتعدل ولم تهذب ، أودت بصاحبها الى مهاوي التعاسة والشقاء ، وسببت له الصدمات والنسكبات ، وحالات القلق والاضطراب ، وساقته مرات كثيرة الى مجالات الزيف والزلل ، أو نواحي الشطط والاجرام .

الغريزة والأفعال المنعكسة والارادية :

وزيادة في فهم ظواهر السلوك المختلفة لا بد لنا من التمييز بين الأفعال الغريزية والعكسية والارادية . فالفعل المنعكس هو ما يبدو على الجسم من حركات ذاتية يكون مصدرها المراكز العصبية غير الارادية الواقعة في الحبل الشوكي أو في النخاع المستطيل ، أو التي يكون مصدرها الجهاز العصبي الذاتي Autonomic Nervous System الذي يتألف من مجموعة عقد عصبية على جانبي النامود الفقري ، وبعض العقد العصبية في الدماغ . مثال ذلك غمض العين اذا ما اقترب منها شيء متحرك وتضييق حدقتها اذا وقع عليها ضياء شديد ، وارتفاع الساق اذا ضرب على أسفل الركبة .

أما الفعل الغريزي فيصدر عن الكائن الحي - كما مر معنا - نتيجة ادراك موقف من شأنه أن يثير نوعاً من الانفعال يؤدي الى القيام بأفعال خاصة أو الشعور بدافع للقيام بها اذا كان هنالك ما يمنعه من اتيانها . ف رؤية الطفل طلياً جميلاً في حديقة الحيوانات مثلاً تثير فيه غريزة حب الاستطلاع ، وتجعله هذه الغريزة يشعر بانفعال الفضول أو التعجب ، وتدفعه لمحاولة التعرف على الطي أو الميل الى ذلك على الأقل ان تعذر عليه اجراء التعرف فعلاً .

لهذا عند ما تكون الاستجابة الحركية لمنبهه الخارجي بسيطة موضعية ، سريعة في حدوثها سريعة في زوالها ، تعتبر فعلا منعكساً . اما اذا كانت الاستجابة مركبة ، صادرة عن حافظ داخلي ، وتستغرق زمنا طويلا نسبيا ، وتمر بمراحل الاجراء العقلي الثلاثة من ادراك وانفعال ونزوع فانها تكون فعلا غريزيا .

ويشترك الفعل المنعكس مع الغريزة في صفتين :

١ - انه مثلها استعداد فطري .

٢ - انه كالغريزة يرمي الى قصد معين أو تحقيق غاية خاصة .

ويختلف الفعل المنعكس عن الغريزة من جملة وجوه اهمها :

١ - يرمى الفعل المنعكس لمنفعة العضو الصادر عنه رد الفعل وحده

أما السلوك الغريزي فيرمي لمنفعة الفرد أو النوع بأسره .

٢ - يتوقف الفعل المنعكس على وقوع تأثير حسي بمنبهه خارجي

لكن ذلك لا يشترط في السلوك الغريزي ويمكن حدوثه

بصورة تلقائية .

٣ - لرد الفعل المنعكس طابع ثابت لا يمكن تعديله ولا تحويره ،

أما الفعل الغريزي فقابل للتغيير والتعديل والتهديب .

٤ - يقتصر الفعل المنعكس على مظاهر الحس والحركة . أما الفعل

الغريزي فيشتمل على المعرفة ايضا .

٥ - الفعل المنعكس اجراء سريع يقصد به دفع الطوارئ

والأخطار المبالغية ، اما التلبية الغريزية فتستغرق عادة زمنا أطول من ذلك نسبيا .

كذلك فان السلوك الغريزي يفتقر من ناحية أخرى عن الافعال الارادية . فالفعل الارادي يقوم به الفرد بعهد تأمل وروية ، وتقدير آثاره وعواقبه ، وهو يصدر عن المراكز الموجودة في القشرة الدماغية أو اللحاء ، ويعتمد على الذكاء والخبرة والتعليم . أما الفعل الغريزي فلا يتوافر فيه شيء من ذلك كله وهو - كما رأينا - فطري ، لا يبصر ولا يعي ، ويسير على وتيرة واحدة داخل كل نوع .

الاختلال الانفعالي : Overemotionality

لقد أصبح اليوم ثابتا أن الفرائز والافعال تورث وحدات مستقلة بدرجات متفاوتة . فاذا ما ورث المرء غريزة منها بدرجة غير عادية كان ذلك كافياً ، في كثير من الاحوال ، لحمله على السلوك المضاد للمجتمع والشذوذ . فمن اشتدت لديه غريزة المقاتلة يحتمل أن يرتكب جرائم العنف والاعتداء والتخريب . ومن جمحت عنده الغريزة الجنسية جنح الى ضروب الشذوذ الجنسي أو الجرائم الجنسية . ومن نمت فيه غريزة التملك نمواً زائداً فقد يكون ذلك باعثاً له على القيام بأعمال النصب والسرقة والسلب والتزوير والاختلاس والاحتيال .

النشاط الانفعالي General Emotionality

كذلك فقد دل الاحصاء وأثبتت الدرس والاختبار على أن نمواً زائداً في إحدى الفرائز واختلالها يكون مصحوباً في الغالب - لاسيما

بين الاحداث والجائحين - بنمو زائد أو اختلال في بقيتها . ويطلق على مثل هذه الحالة ، الانفعالية العامة ، أو الشطط الانفعالي . وتلاحظ عادة في الاشخاص الذين يتميزون بانفعالية عنيفة تفوق الحد الطبيعي ، وظهور أعراض قوية من الحب والغضب والنفور والخضوع والاعتداد بالذات والشهوة الجنسية بدرجة زائدة غير عادية .

ولقد اوضحت التجارب أن الشخص المشتط في انفعالاته يبقى خلال السنوات المبكرة من عمره - على الاخص - خاضعا لسيطرتها وقوتها ، وتسود حياته حوادث القلق والاضطراب وتملأ نفسه الشكوك والخاوف ، ويعيش منطويا على نفسه في عزلة عن المجتمع .

وتحقق برت أن ظواهر الشطط الانفعالي قد بدت في نحو ٢٨ ٪ من حالاته ، وأن ذلك كان من أهم العناصر الرئيسية التي حدث بهم الى السلوك الجنائي ، أي الى التشرذم والجناح والاجرام^(١) .

الخمود الانفعالي Unemotionality

كما اننا قد نصادف أحيانا ، بين الفينة والاخرى ، أفرادا لا تكون عليهم شططا في الانفعالية كتلك التي وصفناها بل على العكس من ذلك ، نقصانا بليغا في الاتفعال بحيث يبدو الشخص معها بليداً Apathetic خاملا ، بلغمي المزاج Phlegmatic . شأنه في الحياة عدم الاكتراث المطلق بمن حوله ، وقلة الاهتمام برأي الناس فيه أو شعورهم نحوه . وفقدان المبالاة في اعماله كافة وتصرفاته جميعا ، وفقر ظاهري حال الأوضاع التي تثير في الأسوياء عادة قدرا معقولا من الاتفعال .

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ٥١٣ - ٥١٥ .

وتشاهد مثل هذه الحالة في الاغبياء وضعاف العقول ، وتكون في بعض القضايا الجنائية من دوافع الجريمة وعواملها الرئيسية . ويطلق عليها الكسل الجبلي الفطري Constitutional Laziness
اثر الاختلالات الفريزية (الانفعالية) في السلوك :

ينشأ عن الاختلال الفريزي ، او النمو الزائد في القوة الانفعالية عند الفرد ، اضطراب حياته الانفعالية ، أو اختلال مزاجه ، وعدم استقراره .

ويعرف برت الشخص المختل المزاج بأنه من يبدو عليه منذ ولادته أو أحداثه حالة انفعالية قوية تستوقف النظر وتستعري الانتباه ، وتجعله في حاجة دائمة للمراقبة والعناية ، وقاية له من نفسه ، وحماية للآخرين منه ^(١) .

أما الشخص غير المستقر فهو من كانت انفعاليته أشد وأقوى مما هي عند الاسوياء ، لكنها اخف حدة وأقل درجة مما هي عند مختلي المزاج .

ولقد ثبت أن المزاج المختل وعدم الاستقرار من أقوى عوامل الجريمة — خصوصاً لدى الاحداث — وأبعدها أثراً وأهمية . ووجد برت ظواهر الاختلالات الانفعالية بين ٦٠٪ من الجانحين ، بينما لم يظهر له مثل ذلك الا بين ٢٠٪ من غير الجانحين . ولهذا فهو يقول : « ان جرائم الاحداث تنشأ بصورة رئيسية ، وفي كل قضية

(١) وهو عادة يظهر ضبطاً انفعالياً أقل مما يظهره ولد متوسط بلغ منتصف عمره الزمني — برت ، المصدر نفسه ، ص ٥١٣ — ٥١٥ .

تقريباً من ردود الافعال الوراثية الصادر عن الغرائز البشرية ، لا سيما
العنيفة Sthenic كالمقاتلة والجنس والتملك واثبات الذات^(١)
تعليل مكدوجال :

غير أن مكدوجال يسند شذوذ المزاج أو اضطراب الحياة الانفعالية
الى عوامل عضوية، ويفسره باختلال في وظائف الاعضاء الهامة على الاخص،
أو لاصابة حلت بها . وهو يقول بأن الانفعالات غير السوية في
الانسان ليست سوى أثر من آثار اختلال جرى في توزيع القوى العصبية
أو في اتزان الجهاز العصبي كما يبدو من ملاحظة حركات المرء عندما
يصيب الغدة الدرقية Thyroid فيه عطل أو يلحق بها اضطراب . انه يكون
عندئذ في حالة تهيج شديدة ، قريبة من الجنون^(٢) .

فالمواد الكيميائية التي تقذفها الالياف المريضة في الجسم الى الدم
تنتقل الى الجهاز العصبي بوساطة الدورة الدموية وتحدث الانفعال المرضي
أي انها تجعل الفرد سريع الانقراض ، شديد الارتعاد ، يستجيب
للمواقف المثيرة استجابات قوية عنيفة ، وتراه يثور لانفه الاسباب^(٣) .
ويؤكد مكدوجال بدوره أهمية المزاج في التحكم بسلوك الانسان،
ونمط تفكيره ، ونظرته الى الحياة والعالم الذي يعيش فيه .

(١) ويرجع برت سبب زيادة الاجرام عند الذكور عما هو عند الاناث الى
قوة غرائزهم واختلالها ونموها نموًا جامحًا . برت ، المصدر نفسه ٤٢٤ ،
٤٩١ - ٤٩٣ .

(٢) W. McDougall, Social Psychology, London, 1943, (٢)
pp. 102 — 103.

(٣) راجع بحث « اعتلال الجسم » .

ونحن في الواقع نرى قبول كلتا الفكرتين ، واعتبار حالات المزاج المختلفة في الفرد ناجمة عن استعدادات فطرية موروثية — وفقا لرأي برت — أو ناشئة عن اعتلال عضوي أو خلل وظيفي في الجسم — طبقا لقول مكدوجال — وان هتين النظريتين في اعتقادنا تتمان بعضهما بعضا ، وتفسران معا عوامل المزاج المختل ، والشطط في الانفعال ، وفقدان الاستقرار .

اصناف الفرائز :

اختلف العلماء في تعداد الفرائز وحصرها ، فمنهم من وصل بها الى الاربعين غريزة ، ومنهم من اكتفى منها باثنتين أو ثلاث^(١) . غير أن جمهرة علماء النفس ، وعلى رأسهم مكدوجال ، يرون انها تبلغ أربع عشرة غريزة ، تتميز كل منها بانفعال خاص ، وهي :

- ١ — الغريزة الجنسية وانفعالها الخاص هو الشهوة
- ٢ — غريزة اثبات الذات (السيطرة) « « « الزهو
- ٣ — « الخضوع « « « الذلة
- ٤ — « المقاتلة « « « الغضب
- ٥ — « الفرار « « « الخوف
- ٦ — « النفور « « « الاشمزاز
- ٧ — « الاستطلاع « « « التعجب
- ٨ — « البحث عن الطعام « « « الجوع

(١) محمد فتحي بك ، علم النفس الجنائي علما وعملا ، القاهرة ، ١٩٤٣ ص ١٠٥ - ١٠٦ .

- ٩ - غريزة الاقتناء (التملك) وانفعالها الخاص هولذة التملك
١٠ - « التركيب والانشاء « « « « الابداع
١١ - « الامومة (الوالدية) « « « « الحنو
١٢ - « الاجتماع « « « « الطمانينة
١٣ - « الضحك « « « « المرح
١٤ - « التجوال « « « « مجرد سلوك غريزي .

ولما كانت هذه الغرائز هي - كما قلنا - منابع السلوك الاساسية ومنبت الطاقة الحيوية البشرية فانه يتوجب علينا أن نلم بها المامة موجزة ، كيما نفق على مدى أهميتها وأثرها في الحياة عامة وفي حالات الجريمة والتشرد والجناح بوجه خاص .

١ - الغريزة الجنسية

Sexual — Instinct

تعتبر الغريزة الجنسية بحق مصدر حياة النوع بأسره ، وسر بقائه وتقدمه ، وغايتها الاصلية الاتصال الجنسي المؤدي للتكاثر والتناسل ، وتظهر مكتملة النمو في دور المراهقة .

والشهوة هي الانفعال المرتبط بها ، المنبعث عنها ، الملازم لها . وتعتبر الشهوة سر مظاهر العدوان والغلظة في الذكور ، والحياء والخفر والانزواء في الاناث .

غير أن الغريزة الجنسية قد انفردت من بين مجموعة الغرائز كلها بصراع عنيف مع المجتمع وتقاليده ، ونظمه وآدابه وتعاليمه . ونالها

بسبب ذلك أعظم قسط من السكبت^(١) ، فاستقرت في جوف
اللا شعور^(٢) تمثل دورها الخطير في الحياة من وراء ستار .

ولقد ظهرت في السنوات الاخيرة مدرسة التحليل النفساني ، بزعامه
العلامة فرويد ، تذهب إلى أن الغريزة الجنسية تبدأ نشاطها منذ ساعة
الميلاد ، وأنها المصدر الأول للطاقة الحيوية البشرية « الليبدو Libido »
ومنشأ كل اضطراب عصبي ، وصراع نفسي ، وشذوذ عقلي ، وعمل غير
اجتماعي^(٣) . ولم تدع هذه المدرسة علة من علل السلوك أو انحرافا من
انحرافات الخلق الا ردتة اليها ، وفسرته بمدلولها .

تعريفها :

ولعل أبسط تعريف للغريزة الجنسية أنها الدافع الذي يستحث
كلا من الرجل والمرأة ، في الحالات الطبيعية السوية ، للاتحاد اتحاداً
جثمانياً . أي أنها عند الرجل حافز يدفعه للاقتراب من المرأة والاتصال
بها ، وعند المرأة رغبة تسوقها للتلف اليه واستقباله .

وليست هذه الغريزة في لحظة دائمة ، فهي لا تظهر الا عند وجود
منبهات نفسية تثيرها ، أو بواعث خارجية تلهمها^(٤) . وتحصل المنبهات
الداخلية نتيجة نشاط الغدد التناسلية وافراز الهرمونات افرازاً كبيراً ،
لا سيما حين يتمتع النشاط الجنسي عند الفرد مدة طويلة .

(١) (٢) راجع بحث « العقد النفسية » .

(٣) راجع بحث « الامراض النفسية » .

(٤) وقد أطلق مول A. Moll على المؤثرات النفسية والجثمانية اسم
« التداعي الجنسي » Act of Contrectation مشيراً بذلك الى نداء الجنس للجنس
الآخر ودعوته للقرب منه ، والاتحاد به .

أما البواعث الخارجية فتعمل على إثارتها بوساطة الحواس الخمس المعروفة وهي اللمس والشم والذوق والسمع والبصر . وحاسة اللمس هي أهمها جميعا في إيقاظها وتنبيهها . وما العناق والقبلات والاحتضان ، بل والعماية الجنسية نفسها ، الا تلامسا .

غير أنه قد يلاحظ في بعض الحالات أن العملية الجنسية تتم دون وجود أية منبهات خاصة ، داخلية أو خارجية ، كما يشاهد في البهائم عند ما يمارسون المادة السرية ، اذ يكون قيامهم بها شبه عمل ميكانيكي محض ، لا يفكرون معه في اي شخص آخر ، ولا تحدوهم فيه رغبة للجماع .

عناصرها :

وتتألف الغريزة الجنسية من عنصرين :

- ١ - الرغبة الموجهة عادة للشريك من الجنس الآخر .
- ٢ - والميل لتحرير هذه الرغبة بتمام العملية الجنسية وحصول الذشوة الكبرى .

أما فرويد فيرى أن النشاط الجنسي لا يقتصر على العملية التناسلية ووظيفة الانسال وحدها ، بل يشمل كل أنواع اللذة بمعناها الواسع الشامل ، ويقول انه يجب التفريق ، لهذا السبب ، بين ما هو جنسي وما هو تناسلي^(١) .

فالجنسي عنده يتناول مجموعة الظواهر النفسية التي تنشذ اللذة بأية

(١) ولقد أبدفرويد في قوله هذا وفي انكاره ان الغريزة الجنسية تظهر في دور البلوغ فقط كل من هافلوك ايليس وستانلي هول وكثير من علماء النفس المشتغلين بالابحاث الجنسية .

وسيلة ، وعن أي طريق ، وفي أي موضوع ، كالتقبل وممارسة العادة السرية والرقص . أما التناسلي فلا يتناول الا احساسات التناسلية الرامية للاتحاد بالجنس الآخر كالجماع ، وتعتبر المرحلة الاخيرة للعملية الجنسية غير ان وظيفة الظواهر النفسية الجنسية هي ، في الأصل ، خلق احساسات التناسلية واشباعها . فان لم تستطع تحقيق هذا الغرض فعلا ، فان ذلك يكون ناشئا بسبب الكبت تحت تأثير ما تفرضه الجماعة على الانسان من تقاليد ومبادئ وتعاليم ، أو لوجود خلل في الجهاز التناسلي ، أو لقيام عائق آخر يحول دونه .

وبناء على نظريته هذه فانه قد استدل على أن المناطق الجنسية في الانسان ، وتعرف بالمناطق الشبقية Erogenous Zones لا تقتصر على منطقة الاعضاء التناسلية بل تشمل أعضاء أخرى من الجسم تتركز فيها اللذة ويستمد منها الفرد الاشباع والارتواء ، كالغشاء المخاطي للشفيتين ، وحلمات الثديين ، والغشاء المخاطي للشرج وعنق المثانة . كما وجد أن الموضوع الذي يتجه اليه الانسان ويتعلق به لاشباع شهوته لا ينحصر بالشريك من الجنس الآخر فحسب ، بل انه قد يتناول الشخص نفسه ، أو أي شخص آخر من الجنس المشابه . واستناداً لهذه المبادئ فقد قسم فرويد حياة المرء ، من حيث مناطق الشهوة ، أو موضوعاتها ، الى مراحل مختلفة يمر بها في نموه وتطوره ونضجه الجنسي .

مراحل المناطق الشبقية :

تذهب مدرسة التحليل النفسي الى أن الأدوار التي يمر بها الفرد في

مراحل حياته المختلفة فيما يتعلق بالمناطق الجسدية التي تحقق له اللذة الجنسية هي كما يأتي^(١):

١ - المرحلة الفمية Oral—Erotic Phase وتستغرق السنة الاولى من الحياة ، وفيها يستمد الطفل لذته عن طريق الفم كما يحصل في الرضاع أو مص الاصابع مثلاً .

٢ - المرحلة الاستتة Anal—Erotic Phase وتستغرق السنة الثانية تقريباً . وينصرف جل اهتمام الطفل فيها عن الفم الى الشرج ، كما يحدث له عند التبرز ، أو الإمساك .

٣ - المرحلة التناسلية Genital Phase وتمتد من السنة الثالثة حتى السنة الخامسة أو السادسة . وهي أهم هذه المراحل جميعاً . وفيها تتركز الميول الجنسية حول منطقة الاعضاء التناسلية . وفي ابتدائها يوجه الطفل اكبر اهتمامه في الحصول على اللذة الى اعضاءه التناسلية بالذات^(٢) ، وفيما بعد يعمل على إيجاد موضوع لحبه في العالم الخارجي . وفي هذه المرحلة تتكون عقدة أوديب Oedipus Complex^(٣) التي تلعب دوراً هاماً في حياة الطفل العقلية .

وبعد ذلك يدخل الطفل في فترة الكمون Latency Period التي تمتد حتى البلوغ ، وفي اثنائها لا يكون للطفل أو الحدث نشاط جنسي جديد ، بل ينصرف الى تمثيل التقاليد والعادات الاجتماعية السائدة في

(١) صبرى جرجس ، المصدر نفسه ، ص ٢١٥ - ٢١٩ .

(٢) وقد ذكر بعض العلماء الفرنسيين أمثال مارك Mark وبيريز Perez حالات كثيرين من الاطفال مارسوا العادة السرية بين الثالثة والرابعة

من عمرهم . (٣) راجع بحث « العقد النفسية » .

بيئته واعداد نفسه لمواجهة اخطار المراهقة في مستقبل حياته .
وفي دور البلوغ تستكمل الفريزة الجنسية نضوجها ونموها ،
وتصبح المركبات الجنسية المختلفة ، نفسية وتناسلية ، مرتبطة في وحدة
كاملة Integrated فلم تكن المنطقة التناسلية قبل البلوغ بقادرة على
الاستجابة للانفعالات النفسية الغرامية . أما بعد البلوغ فالمنطقة التناسلية
تصبح كمواء لاتمام وظيفتها ، ويصبح المرء عاجزاً عن الحصول على
النشوة الكبرى الا منها . ويقتصر عمل المناطق الشبقية الاخرى ، الغير
التناسلية - في هذا الدور - على ايقاظ الرغبة الجنسية ، وزيادة الهياج
الجنسى ، دون أن يكتفى بها عن النشوة التي تحدثها المناطق التناسلية
الاصلية .

موضوعات الفريزة الجنسية :

هذا من حيث مناطق الشهوة ، أما فيما يخص بالموضوعات الجنسية
فان مدرسة فرويد تصف لها ثلاث مراحل وهي :

١ - مرحلة الشبقية الذاتية Auto-Erotic Stage وهي الفترة

الاولى من حياة الانسان المبكرة التي لا تكون فيها ذاته قد تميزت بعد
عن العالم الخارجي تمييزاً واضحاً ، ويعتبر فيها وكأنه لا يزال جزءاً من امه لم
ينفصل عنها ، او انه لم يصبح كائناً مستقلاً بنفسه في عالم الحقيقة والواقع .
في هذه المرحلة يستمد الطفل لذته من حركات شفتيه ، وعملية التبرز ،
وبعض المناطق المنفصلة من جسمه . أي انه يستمد اللذة من ذاته قبل
أن يكون لهذه الذات وجود موضوعي واضح .

٢ - مرحلة النرجسية Narcissistic Stage وفيها تكون الذات قد استقلت بوجودها ، وتميزت عما سواها من الكائنات والمخلوقات ، فتلمس الغريزة الجنسية لذاتها من هذه الذات كوحدة موضوعية^(١) .

٣ - مرحلة الشبقية الغيرية - الموضوعية Allo-Erotic Stage وفيها يتجه الجانب الاكبر من الاهتمام الجنسي نحو موضوعات الع-الم الخارجى ، وهي موضوعات من نفس الجنس Homosexuality فى بادىء الامر ، ثم تصبح فيما بعد موضوعات من الجنس الآخر Heterosexuality

ويذهب فرويد الى أن اضطرابات الشخصية تنجم عن تثبيت طفلى Infantile Fixation عند احدى هذه المراحل وعدم القدرة على التحول منها ، أو من ارتداد اليها ووقوف جديد عندها بعد ان تم الانتقال من قبل الى مرحلة أخرى .

ولا يتسع لنا المقام لسرد الردود التي وجهها خصوم فرويد إليه ، وذكر الحجج التي أقاموها لدحض نظريته وتفنيدها ، وقصارى ما يجب بيانه أن نشير ، في هذا الصدد ، الى أن بعض زملاء زعيم مدرسة التحليل النفسى وأنصاره القدماء قد وجدوا في أقواله كثيراً من الاسراف والمغالاة ، فانشقوا عليه وانفصلوا عنه من غير أن ينكروا - فى الوقت نفسه - ما للغريزة الجنسية من أثر هام فى الحياة ، وقوة عظيمة فى التوجيه والسلوك^(٢) .

(١) وهذه هى مرحلة حب النفس الحقيقى .

(٢) مثل بروير ويونج وأدلر .

ومهما يكن الامر فان الفضل ليرجع الى فرويد بالذات في دراسة الغريزة الجنسية وظواهرها بحرية وشجاعة بعد أن كان يحيط بها من قبل هالة من التقديس والكمّان ، ويعتبر بحنها الصريح نوعاً من المحرمات كما يعود اليه الفضل الكبير في تحليل وتفسير كثير من الاضطرابات النفسية ، والانحرافات الخلقية ، والامراض العقلية ، وغيرها الناجمة كلها أو معظمها عن اختلال أو شذوذ في الغريزة الجنسية نفسها ، وبيان افضل الطرق في علاجها واصلاحها .

الشذوذ الجنسي :

يرى فرويد أن الكبت الشديد الذي تصادفه الغريزة الجنسية في المجتمع ، والصراع النفسي العنيف الذي يحدثه هذا الكبت عند الانسان يؤديان لآلوان مختلفة من الشذوذ في الحياة الجنسية ، يمكن اجمالها جميعاً في مجموعتين كبيرتين :

١ - الشذوذ الخاص بالموضوع الجنسي Sexual Object الذي يتجه اليه الفرد من الحصول على اللذة والنشوة ، ويشمل عشق الجنس المشابه والفسق في الحيوان ، وعشق التائم ، وعشق المسنين ، وعشق الاطفال . ومضاجعة المحارم .

٢ - الشذوذ الخاص بالفرض الجنسي Sexual Aim ويشمل العمليات الجنسية غير الطبيعية التي تدفع الغريزة الشخص اليها ككشف العورة (العرض) ، وحب المشاهدة ، والسادية ، والمازوشية ، وسند كر كلمة عن كل حالة منها .

هذا الانحراف يصيب بعض الشواذ ويجعل المبتلى به ينفر تفوراً دائماً من الاتصال الجنسي بأفراد الجنس الآخر ، وهو على صنفين :
المواط والسحاق .

فالمواط يحدث بين الرجال الشواذ جنسياً . « ولا يقف الامر فيه عند حد اشباع الشهوة الجنسية فحسب بل يتعداه الى ايجاد نوع من الصلات الروحية كاللغة والغيرة حتى الزواج نفسه » (١) ! اذ من المؤلفين بين امثال هؤلاء المنحرفين خطابات تفيض بالحب ، وعهود بالوفاء حتى الموت ، والغيرة الشديدة (٢) .

ويسدو على الرجل المأبون من هؤلاء المنحرفين صفات الانوثة من أول عهده بالنضج الجنسي . فهو يشعر نحو الرجال شعور الفتيات نحوهم ، يحن الى الاستسلام السلبي لهم ، ويهتم بملابسه وزينته كالنساء ، ويقلد حركاتهن ، وتسدو عليه النعومة والترف مثلن . أما اللانط فغالبا ما تكون شهوته الجنسية جامحة ، تبدأ بحب مشبوب نحو الذكور من اصدقائه (٣) .

ويجري السحاق بين النساء وحدهن ، والمرأة المصابة به تحب أن ترتدي ملابس الرجال ، وتشعر مثلهم حيال النساء . وغالبا ما تكون

(١) أحمد عزت راجح ، علم الاجرام ، بغداد ، ١٩٤٢ ، ص ٤١٤ - ٤١٥ .

(٢) ويرى الواحد منهم في منامه رجالا يثيرون شهوته لا النساء .

(٣) وقد يخيل لبعض اللانطين أن في الزواج خلاصا لهم مما هم فيه فيقدمون عليه . غير أن الحوادث لا تلبث أن تثبت بطلان ظنهم وأن زواجهم لم يتففع في اصلاح حالهم ، عدا ما تستهدف له الزوجة في مثل هذه الحالات من العذاب الروحي وخيبة الامل في حياتها الزوجية - راجع أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٤١٦ .

ذات شهوة جنسية متأججة ، وفكرة الاتصال بالرجل تحدث عندها
اشمئزازاً وفجوراً .

والسحاق كاللواط من حيث الصلات الروحية التي تعقد بين
أصحابه ، فالمنحرفات يحبين الزواج بعضهم من بعض ، ويقمن حفلات
رمزية له ، ويقسمن إيمان الوفاء ، وتأخذهن الغيرة ، ويشاهد كثير
الاتشار في سجون النساء ^(١) .

٢ - الفسق في الحيوان Zoophilia

ليس هذا الشذوذ من الامور الشائنة وان كان قد لوحظ وقوعه
أحياناً . وتدفع اليه ضرورة اشباع شهوة موقوتة ، أو يكون
نتيجة لغامة شديدة . ويلاحظ هذا الزيف بصورة خاصة عند البله
والمعتوهين الذين تسخر منهم النساء .

وهذا الانحراف من أخطأ أنواع الزيف الجنسي في نظر القانون
والمجتمع ، وكانت عقوبته في الماضي السجن عدة سنين . أما اليوم فينظر
الى صاحبه من ناحية طبية عقلية ، فقد ظهر أن معظم المصابين به ،
ان لم يكن كلهم ، من ضعاف العقول ، وذوي الأمراض النفسية
الشديدة ^(٢) .

٣ - عشق التماائم Fetichism

التميمة هي « حجاب » يحمله الشخص ظناً منه أنه سيفرغ عليه
الخير والبركات ، أو انه يمصمه من الخطر والشر . وعشق التماائم انحراف

(١) كما قد ينشأ بين الاسر المترفة أو المحافظة ذات التقاليد الاجتماعية
الشديدة - أحمد عزت راجح - المصدر نفسه ، ص ١١٧ - ١١٩ .
(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٤١١ .

يصيب الرجل فلا يدعه يحتاج للمرأة في ذاتها ، أو تصيبه اللذة من الاتصال بها ، بل من عضو خاص من أعضائها كاليد أو القدم ، أو من شيء من ملابسها أو بعض ما يرمز إليها .

وهذا الشذوذ حالة مرضية بالغة في الانحراف^(١) . وأكثر الرموز شيوعاً المناديل والقفاذات والاحذية والشعر والأيدي والأقدام . وفي هذه الحالات يقوم الرمز وحده بالدور الرئيسي في استثارة الرغبة الجنسية دون أن يكون مشفوعاً بصورة المرأة على الإطلاق^(٢) .

ولعشق التامم صلة وثيقة بالأجرام فكثيراً ما يؤدي للاعتداء على الناس وارتكاب السرقات .

٤ - عشق المسنين Gerantophilia

من الشبان أو الفتيات من لا يميلون إلا إلى كل طاعن في السن كأن ترى شاباً في العشرين تجذبه نساء في الخمسين أو الستين ، أو فتاة في ميعه الصبا لا تهيم إلا بالكهول والشيخوخة .

ويغلب أن يكون هذا الشذوذ وراثياً أو ناشئاً عن ضعف عقلي أو مرض نفسي أو نتيجة صرع أو إدمان على الكحول . وصلته

(١) وهو على درجات أشدها أن يحصل المنحرف على كفايته الجنسية بمجرد رؤية الرمز أو لمسه أو وضعه على أعضائه التناسلية . وفي الحالات الخفيفة يستطيع الفرد أن يقوم بالعمل الجنسي على شرط أن يكون الرمز قائماً أمامه .

(٢) وهناك نوع مستور من هذا الانحراف يكون جزءاً من الشهوة الجنسية العادية بمعنى أن بعض أعضاء الجسم كالشعر والتدين واليدين أو بعض ملابس المرأة كالقفاز والمنديل أو بعض الروائح تهيج الرغبة الجنسية عند كثير من الناس فليس الانحراف إذن هو التهيج من أحد أعضاء المرأة أو شيء من ملابسها ، إنما هو عدم التهيج من المرأة نفسها ومن بقية أعضائها التي لا يحتويها الرمز . المصدر نفسه ، ص ٤١١ .

بالاجرام محدودة الا في الحالات التي يصاحبها اندفاع أو اعتداء .

٥ - عشق الاطفال Pedophilia

ومن الناس من تقف الرغبة الجنسية فيهم عند الاطفال فقط من بنين أو بنات فلا تتجاوزها الى غيرهم . ولهذا الشذوذ صلة قوية بالسلوك الجنائي اذ كثيراً ما يكون مصحوباً باعتداء على الصغار والأحداث واغتصابهم وايلامهم وتعذيبهم .

٦ - مضاجعة المحارم Incest

درجت الانسانية في جماعاتها منذ أقدم العصور على النفور الشديد من مضاجعة الأقارب ، بل والزواج منهن . وبقي هذا النفور ملازماً لها ، له من السلطان في النفوس ما للغرائز والافعال الموروثة^(١) .

ويعتبر هذا الشذوذ مظهر مرض نفسي ، وانحطاط خلقي ، وزيف خطير في السلوك الاجتماعي .

٧ - حب العرض أو كشف العورة (٢) Exhibitionism

وهو حالة مرضية غير سوية يتحقق الاشباع الجنسي فيها للانسان عن طريق عرض أعضائه التناسلية ، أو كشف أي جزء من اجزاء جسمه الداخلية الذي جرت العادة على ستره ، واظهار المميزات الجنسية الثانوية فيه^(٣) على بعض أشخاص ذوي جاذبية شبقية بالنسبة له ، ويكونون عادة من الجنس الآخر ، أو من صغار السن ، أو ذوي المظهر البريء .

(١) ليس هذا النفور فطرياً موروثاً بل من الظواهر التي يخلقها المجتمع ويستند في حمايتها ومعاقبتها من يعتدى عليها . وتحريم مضاجعة المحارم هو الاصل في عقدي اوديب والكثير كما سنرى في بحث « العقد النفسية » .

(٢) أول من وصف حب العرض هو لازيج Lasègue

(٣) في أغلب الحالات يكون العضو المعروض هو القضيب ، وفي بعضها يعرض العجز .

وهذا الشذوذ ليس بالنادر الحدوث ، غير أنه أكثر انتشاراً في الرجال منه في النساء . ويرى دوجلاس بريان Douglas Bryan أن النساء يعرضن جسيمهن كاملاً وقوامهن المشوق ، ومنهن من يكشفن صدورهن أو ظهورهن أحياناً ^(١) .

ومصدر لذة العارض فيما يقع أمامه من حركات واتصالات كاحمرار الوجه ، أو الخوف أو الهرب . وقاما يطلب العارض مواجهة المرأة التي يظهر نفسه اليها ، أو يكلمها ، أو يقترب منها . اذ ان شهوته تشبع تماماً من عملية كشف العورة ومن رد الفعل الاتعالي الذي تحدثه في الضحية .

٨ - حب المشاهدة Scopophilia

يصعب التفريق في هذا الامر بين الحالات الطبيعية والمرضية . فكل فرد ، في الواقع ، يحب العرض والمشاهدة بدرجة ما ^(٢) . فالمرأة الجميلة التي تظهر محاسنها هي ، الى حد ما ، تحب العرض . والرجل الذي يجد لذة في رؤية امرأة فاتنة هو محب للمشاهدة ، بمنهاها العام . لكن ما يميز عملية المشاهدة الشاذة عن غيرها انها لا تكون تحضيراً للعملية الجنسية كما يحدث عند الاسوياء ، وانما هي تمارس لنفسها ، وتحصل النشوة منها وحدها .

(١) لاسيما في الحفلات والسهرات بلباس « السواريه » ، حسب المودات الحديثة . ولقد اتفق علماء النفس والمشغولون بالابحاث الجنسية على أن المصابين بهذا المرض يكونون عادة جبناء . يغلب عليهم الحياء والاحتشام . وقد يكون فريق منهم من ذوي المكانة الاجتماعية الممتازة . موريس ابراهيم الديك ، الاضطرابات الجنسية عند الرجل والمرأة ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ١٨٨ - ١٩٠ .

(٢) حب العرض والمشاهدة يسيران غالباً جنباً الى جنب . فكل مشاهد محب للعرض ، وكل عارض محب للمشاهدة . المصدر نفسه ، ص ١٩٠ - ١٩٢ .

وهناك نوع من شواذ حب المشاهدة من لا يجذبهم غير الاطفال ،
ونوع آخر ، سليبوت ، يرغبون أن يُشاهدوا أثناء تأديتهم
المعمية الجنسية .

وهذا الشذوذ كثير الانتشار ، وصلته قوية بالاجرام ، بل انه هو
معتبر في حد ذاته جرماً معاقباً ، وقد يدفع صاحبه أحياناً ، بقوة عنيفة ،
لارتكاب جرائم الاعتداء أو غيرها من الجرائم المخلة بالآداب المنافية
للحياء ، حتى يتمكن من القيام بعملية الشاذة وارضاء جنسيته المنحرفة .

٩ - السادية Sadism

هي انحراف جنسي ^(١) يجعل المرء لا يشعر بأية لذة شبقية الا اذا
قام بتعذيب موضوعه الجنسي أو آلمه في جسمه أو نفسه ، أو شاهد
ذلك الألم والتعذيب فيه . والسادى الرمزي من يقنع بفرض الألم
الروحي - كالتحقير والاهانة - على شريكته ، بعكس السادى الحقيقي
الذي لا يرضيه غير ايقاع الاذى الفعلي بها كضربها وتشويه جسمها ،
أو تمزيق اعضائها أو قتلها . والساديون يجدون في ذلك كله نشوة
عظمى واشباعاً تاماً ، لا يحصلون على مثله في المواقعة والجماع .

والسادية موجودة بدرجة معتدلة عند الاسوياء من الرجال
والنساء ، لكنها في الشواذ انحراف خطير ، ذو اشكال مختلفة أهمها :

سوء معاملة الاطفال وتعذيبهم : وهو شذوذ كثير الشيوع يساعد

عليه أن الطفل مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة امام البالغين والكبار ،

(١) هذا الانحراف يصيب الرجال والنساء لكنه اكثر شيوعاً عند الرجال
منه عند النساء .

وقد يرافقه اغتصاب الفتيات والفتيان ، أو هتك العرض ، وأعمال
الاعتداء والايذاء .

سوء معاملة الكبار : يتعدى التعذيب الأطفال أحياناً إلى الكبار
البالغين من الرجال والنساء . وما حوادث اغتصاب النساء ، وفض البكارة
الناجمة عن الدوافع السادية من الأمور النادرة الوقوع .

القتل الجنسي : لا يوجد في القتل الجنسي عملية جماع جنسي بالمرة ،
بل إن القاتل يحصل على اللذة واشباع الشهوة من القتل نفسه . فالقتل
يقوم عنده مقام العملية الجنسية . وهو من الأمور النادرة الوجود^(١) .

ويقول وولفن في وصف ميكانيكية هذا الانحراف الجنسي :
« اننا نجد في القتل الجنسي شخصاً تثور رغبته الجنسية إذا ما لمست يده
لحم ضحيته ، فيجد نفسه مسوقاً بدافع قوي لأن يضع يديه حول عنقها
ثم يضغط عليه حتى تختنق . وكلما اشتدت مقاومة الضحية له كلما ازدادت
رغبته لأن يرى دمها ينبثق فجأة ويسيل أمام عينيه » .

كما ذكر كورفن Corvin حالة مرضعة اعترفت بأنها قتلت
عدداً كبيراً من الحيوانات والأطفال لأنها كانت تجد في هذا القتل
لذة عظيمة ، وفي منظر احتضار الضحية ، وجشها الهامدة ، اشباعاً
لشهوئها الجنسية . كما يروي التاريخ أن الكونتس باتوري Batory
زوجة الكونت ناداسدي Nadasdy قد قتلت في القرن السابع عشر
نيفا وستمئة فتاة مدعية أنها إنما تفعل ذلك كي تستحم بدمائهن وتظل في
شباب أبدي^(٢) .

(١) ويلاحظ في الرجال أكثر من النساء .

(٢) موريس الديك ، المصدر نفسه ، ص ١٦٥ - ١٦٧ .

وفي جرائم القتل الجنسي يكون التشويه الجنسي ، والتعذيب البدني ، من عناصر الجريمة الرئيسية وأعراضها الهامة .

أكل لحوم البشر Cannibalism : ويندر جداً أن تتحول النزعات الوحشية ، في هذا النوع من الشذوذ ، الى أفعال .

مص دماء البشر Vampirism : كثيراً ما يقنع المرضى المصابون بهذا النوع من الشذوذ بأعمال رمزية فقط كالعض . ومع ذلك فإنه يشاهد أحياناً بشكل فعلي ضعيف ، فقد ذكر هارشفيلد حالة سيدة كانت لا تثور رغبتها الجنسية إلا اذا احدث زوجها جروحاً بذراعه تقوم هي بمص الدم منها قبل العملية الجنسية . ويفسر المشتغلون بالتحليل النفسي هذه الظواهر بأنها ارتداد الانسان الى عصور الوحشية الاولى^(١) .

عشق الجثث : لجثث الموتى تأثير جنسي على بعض الشواذ ، ويكون الارتباط الآتي بين الموت والنوم عنصراً هاماً في حصوله . فالجثة الميتة توقظ في هؤلاء المرضى رغبة جنسية تختلف في شدتها . ولعل هذا يفسر علة بعضهم في ارتكاب جرائم هتك عرض الموتى^(٢) .

١٠ - المازوشية Masochism

هي عكس السادية ، وأغلب الرأي أنها انحراف موروث . ومن أعراضها أن المصاب بها لا يحفل بجسم المرأة ولا يستهويه جاهلها ، وإنما يجد لذته في تعذيبها إياه ، وتحصل النشوة عنده نتيجة سوء معاملتها له . وكثيراً ما توجد المازوشية الى جنب السادية في نفس المنحرف ، فإذا به يحب العذاب والتعذيب مما .

(١) Atavism

(٢) هتك عرض الموتى ليس بالامر النادر الوقوع كما يعتقد البعض .

ومن المنحرفين من لا يقنع من العذاب بأهونه ، كالأهانة والشتم وسماع الالفاظ الجارحة ، ولا يرضيه غير ألوان قاسية من الأذى لا يطيقها الجسم العادي ، كالضرب بالعصي أو الجلد بالسياط .

والمازوشية أقرب ما تكون شيوعا عند النساء ، فللمرأة تنفر من الرجل الضعيف الذي يستسلم لها ، ولا تعجب إلا بالحازم المسيطر في غير عنف أو قسوة . لكن الوقائع تدل على أن هذه الظاهرة المرصنة أكثر انتشاراً عند الرجال ، قل أن تصاب بها النساء .

ومن النتائج السيئة لهذا الشذوذ وقوع بعض الجرائم العدوانية ، وانه يدفع صاحبه أحيانا لارتكاب السرقة بغية الحصول على المال وتقديمه للشريك الآخر^(١) .

وفيما يلي نورد نص الخطاب التاريخي بين كبير المازوشيين البارون ليوبولد فون ساشر مازوش وشريكته واندافون دوناجو ، للدلالة على عنف هذا الشذوذ وشدة أخطاره ، وصلته الوثيقة بالسلوك المضاد للمجتمع .

عبدى المطيع

« اليك الشروط التي اشترطتها حتى أقبل منك أن تكون لي عبداً ، وأن احتمل قربك مني . لا شيء أقل من التسليم المطلق لذاتك . فلا ارادة لك بجانب ارادتي . بل أنت آلة عمياء صماء . لي أن آمر وعليك أن تطيع بغير تردد أو تفكير . فإذا ما نسيت أو غفلت عن انك عبدى الخاضع ، أو ترددت في اطاعة امرى وتنفيذ ارادتي في كل ما اطالب

(١) غير أن هذه النتائج ليست خطيرة خلافا لما همى الحال فى السادية .

كان لي أن أنزل بك من العقوبة ما يصلح به شأنك على الوجه الذي يحلو لي ويطيب . وإن تكون لك شجاعة الشكوى . وكل ما تقتضي مشيئتي أن أغدق عليك من سرور وهناء فهو كرم مني ومنه يجب أن تقابل بالحمد والثناء . وإني لست مرتبطة أزاءك بأي ارتباط أو واجب . إلا أنني لا اعتزم أن أخطيء نحوك .

« ولا تظن أنك ستكون لي ابناً أو أخاً أو صديقاً فلست لي إلا عبداً يتمرغ في التراب الذي تحت أقدامي . وستكون روحك ملكاً لي ، كما كان جسمك لي عبداً . وحتى احساساتك ومشاعرك يجب أن تخضع لي ولو جلب لك ذلك الآلام المبرحة . فإن من حق أن أرتكب معك جميع ألوان القسوة . فإذا ما بترت عضواً من أعضائك ، فليس لك إلا أن تحتمل ذلك بصبر جميل .

« واعلم أنك تعمل عندي كعبد من العبيد مهما أغدقت عليك من نعمة الحرمان . فليس لك إلا أن تقبل القدم الذي يركلك دون تامل أو شكوى . لي أن أطرده متى شئت ، وليس لك أن تترك خدمتي حتى آذن لك . فإذا تجرأت على أن تهرب ، فسلم لي بالحق في أزال العذاب والنقمة بك حتى تسلم الروح . ولي وحدي أن أختار من وسائل تعذيبك كل ما يمكن أن يصل إليه خيالي .

« واعلم أنه ليس لك أمني وحق في الحياة ، كما أنه ليس لك في الحياة سواي . فأنا لك الحياة والموت ، والحاضر والمستقبل ، والسعادة والمذاب ، والشقوة والسرور . فنفذ إرادتي فعمك ذلك أو أضرك .

فاذا ما أردتك على ارتكاب جريمة^(١) فيجب أن تكون مجرماً ارضاء لي ونزولاً عند رغبتى .

« أما شرفك ودمك وروحك وقوتك فكلها ملك لي . فقد امتلكتك ويدي حياتك وموتك . ولا تظن أنني أرد اليك حريتك اذا انقض ظهرك ثقل سلاسل اسارك ، وهجرت ان تتحمل سيطرتي ، بل الموت لك جزاء وفاقا » .

وقد تم العهد بينهما بقبول البارون المطلق بهذه الشروط وفقاً للنص الآتي :

« ألزم بشرفي أن اكون عبداً مطيعاً للسيدة واندافون دوناجو على الوجه الذي ارادته تماماً ، وان اكون خاضعاً لكل ما تفرضه علي خضوعاً تاماً »^(٢) .

الامضاء

الدكتور ليوبولد فون ساشر مازوش

١١ - الغلظة او الشبق : Satyriasis

الغلظة شذوذ جنسي خطير ، من اعراضها جموح الشهوة جموحاً عنيفاً ، والنهيج الشديد الدائم ، والالاح المستمر على الجماع ، وعدم الشعور بالاشباع والارتواء من العمليات الجنسية مهما تعددت ألوانها وتنوعت أشكالها .

(١) ويلاحظ أحياناً أن بعض نزيلات دور الدعارة يرتكبن الجرائم امتثالاً لارادة أصحابها الرجال ، وخضوعاً لرغبتهم .

(٢) موريس الديك ، المصدر نفسه ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

والشبق داء عضال فتاك يكون مصحوبا بكثير من حالات القلق والاضطراب . وهو اكثر شيوعا عند الرجال ، وأعظم حدة عند النساء . وقد يتلى به اناس من ذوي المراتب الرفيعة والمقامات العالية ، دون أن يستطيعوا الخلاص منه ، والتحول عنه . وتوقف درجته وشدة على السن والعافية وطريقة المعيشة وغيرها ^(١) .

ومن الامثلة التاريخية على شدة الشبق عند بعض النساء « مسالينا » زوجة الامبراطور الروماني « كلوديس » التي يذكر عنها أنها لم تكن تكفي بعشرين رجلا في كل ليلة . والمرأة ان احتواها الشبق فقدت كل حس خلقي ، وشـمـور أدبي ، لا تراعي عرفا ولا تحفل بالزواج والروادع الاجتماعية الراقية ^(٢) .

ومن عوامل الاصابة به في الرجل أو المرأة الوراثية ، والافراط في الجماع العادي ، والادمان على الخمر ، والافراط في ممارسة العادة السرية ، والانفجار الناجم عن الكبت الشديد والامتناع التام عن القيام بالعمليات الجنسية .

وصلته بالاجرام كبيرة ، فهو يدفع صاحبه لانتهاك القواعد الخلقية المرعية ومخالفة الاحكام القانونية والاجتماعية . وكثيرا ما يسـوـقه لارتكاب جرائم العنف ضد الاطفال ، واستعمال القسوة والتهديد مع النساء ، والسـرقة للحصول على المال الذي يسـتـخدم في تبسير الاتصالات الجنسية .

(١) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ٤٠٣ - ٤٠٥
(٢) والمثريات من النساء المصابات بهذا المرض يلجأن لاستئجار الشبان ، اما الفقيرات فسبيلهن الفجور وبيوت الدعارة .

هي عملية جنسية تتم بهيج المنطقة التناسلية أو المناطق الشبقية الأخرى^(١) ، وتؤدي في الطفولة الى النشوة الأولى - الاحساسات الغرامية أو الشعور باللذة - وبعد البلوغ الى النشوة الكبرى .

هذه العادة كثيرة الانتشار بين الفتيان والفتيات في سن المراهقة ، غير أنه من الجائز ظهورها في الطفولة حين يدو على الطفل نضوج جنسي مبكر . ولقد ذكر دونر Donner حالة طفل عمره ثلاث سنوات كان ينطح على الارض الى أن يتم تهيجه الذي يعقبه لذة شبقية محققة ، وكان يمارس هذا الاحساس اللذي من ثمان الى عشر مرات يوميا^(٢) .

وقد اختلف الاطباء والعلماء منذ القديم في تعليل هذه العادة وبيان نتائجها وآثارها ، وكان الرأي الشائع من قبل يقول بشدة خطورتها وأضرارها ولو كانت تمارس دون افراط ، ويمزو اليها الاصابة بكثير من الاضطرابات العصبية والعلل العقلية والامراض النفسية . أما اليوم فقد اخذ العلماء يصرحون بعدم وجود اضرار للعادة السرية نفسها ، وان الضرر الذي ينجم عنها ليس الا نتيجة الاعتقاد الخاطيء باضرارها ، والشعور بالذنب الذي يعقبها .

ولقد اكد بيركهام Berkham أنه لم يعثر في أبحاثه في الامراض النفسية حالة واحدة كانت العادة السرية سببا مباشراً فيها . وصرح

(١) كحلمات الثديين - راجع موريس الديك ، المصدر نفسه ٣٠٩-٣١٩ .
(٢) يشدد المشتغلون بالتحليل النفسي على الآباء أن يتجنبوا كل ما يشير نشاط المنطقة التناسلية للطفل قبل الاوان ، حين يغسلونه وينظفونه كما يجب عليهم أن يتجنبوا تقبيله بشوق وحرارة والربت على عجزه .

فوجل Vogel ومول Moll وامنجهانز Emminghans ، واوفلمان Uffellmann وغيرهم من كبار علماء الابحاث الجنسية بأنه لا يوجد لهذه العادة بالذات أي ضرر في الانسان . وذكر أرب Erb بعد ذلك أن تأثير الاستمناء على النخاع الشوكي لا يتعدى تأثير الجماع الطبيعي ، وان ممارسته في البلوغ لا تؤثر على القدرة التناسلية في مستقبل الحياة . وتدل الدراسات العلمية الحديثة على أن كل ما قيل ونسب للعادة السرية من امراض وبيلة كالسل الرثوي وسل النخاع الشوكي ورخاوة المخ والضعف الفيزيقي العام واضطرابات الجهاز الهضمي ليست الا اخطاراً وهمية لا وجود لها من الناحية الاكلينيكية . والخطر الوحيد الذي ينتج عنها هو الخوف من نتائجها ، وما تولده في النفس من احساس بالذنب والخطيئة بعد ممارستها .

لهذا فان علماء النفس يرجحون اعتبار هذه العملية طبيعية ، ويقولون انها النتيجة الحتمية التي لا يمكن تجنبها ، في كثير من الحالات ، حين لا يجد الدافع الجنسي القوي ، خاصة في فترة البلوغ ، مسلكاً طبيعياً آخر له ، وحين يبدو الزواج متعذراً لاسباب اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها .

والواقع انه لا يمكننا القول بأن العادة السرية عملية جنسية طبيعية ، ولا الحكم بانها غير طبيعية ، ويحسن اعتبارها على الحد الفاصل بين هتين الصورتين ، لا يستغرب وجودها حين يعوق الممارسة الطبيعية للموظفة الجنسية عوائق خاصة أو ظروف معينة . ولا يمكن منعها منعاً

باتا من غير أن ينتج مثل هذا المنع جرائم جنسية خطيرة ، أو اضرارا
صحية بالغة الاهمية^(١) .

رغم هذا كله ، ولما كان الاعتقاد سائدا لدى الناس كافة تقريبا باعتبار
هذه العادة رديئة غير خلقية ، ومن الصعب احيانا كثيرة
التحرر من الشعور بالاثم الذي يصاحبها فانه يجدر بكل من يمارسها
الاقلاع عنها^(٢) ، وخلق به التخلص منها ، ومحاولة التسامي بالانزعة
الفريزية وتصعيدها نحو مسالك راقية يرتاح لها ضميره ، ويرضى عنها
المجتمع كهواية الفنون الجميلة ، والمطالعة ، والرياضة ، وسياى تفصيل ذلك
معنا في بحث اصول التربية الجنسية فيما بعد^(٣) .

الفريزة الجنسية والجريمة :

ثبت لنا مما مر بحثه أن للفريزة الجنسية أهمية عظيمة في حياة
الانسان وتوجيه سلوكه ، وأنها من العوامل الرئيسية في شذوذه
وانحراف خلقه ووقوعه في الجريمة والاثم . ونظرة واحدة نلقها على
قوانين الجزاء - العقوبات - في كل امة متحضرة ترينا قائمة طويلة
بأفعال جنائية منبعثة عن الفريزة الجنسية نفسها ، أو ناشئة عنها ، منها :
الاغتصاب ، والخطف ، وهتك العرض ، والبغاء ، وتعدد الأزواج

(١) فلقد ثبت أن العادة السرية كانت احيانا بديلا عن ارتكاب جرائم
مروعة فكانت بذلك نوعا من حماية المجتمع ضد الدوافع الاجرامية ، والنزعات
الخارجة على الجماعة والقانون . - الديك ، المصدر نفسه ص ٣٠٩ - ٣١٩ .

(٢) أو التخفيف منها ما أمكن - على الاقل - .

(٣) فى المجلد الثانى من هذا الكتاب .

والزوجات^(١) ، والخيانة الزوجية ، ومواقعة المحارم وافراد الجنس المشابه والحيوانات ، وكشف العورة ، والاعتداء على الاطفال والفتيات ، والاعمال المخلة بالشرف المنافية للحياء والآداب ، وحوادث القتل أو الاعتداء دفاعا عن العرض أو بسبب الغيرة ، والسرقه وغيرها .

ولقد لاحظت برت أن ١٦٪ من حالاته نشأت عن اختلال الغريزة الجنسية وجوحها ، لا سيما في المراهقين .

وبلغ مجموع الجرائم الجنسية (الرسمية) في انكلترا سنة ١٩٣٨ : ٥٠١٨ جريمة ، وعدد من حكم عليهم بتهم جنسية فيها ٣٣٠٣ مجرما^(٢) . والجدول التالي يبين لنا نسبة هذه الجرائم حسب الاعداد المختلفة .

جدول رقم « ١١ »

نسبة الجرائم الجنسية في انكلترا سنة ١٩٣٨ حسب الاعداد المختلفة^(٣)

٥ ٪	من الجرائم ارتكبها اشخاص تقل اعمارهم عن ١٤ سنة						
١٥ ٪	تتراوح اعمارهم بين ١٤-١٦ سنة	«	«	«	«	«	«
١٥ ٪	«	«	«	«	«	«	«
٩ ٪	«	«	«	«	«	«	«
١٢ ٪	«	«	«	«	«	«	«
٤٤ ٪	«	«	«	«	«	«	«

(١) تعدد الزوجات لا يعتبر جرما لدى بعض الديانات ومنها الديانة الاسلامية .
 (٢) يبدو أن عدد المحكومين أقل من عدد الجرائم لاسباب كثيرة أهمها : عدم اكتشاف بعض الفاعلين ، أو عدم محاكمتهم بالرغم من اكتشافهم ، أو لارتكاب عدة جرائم من قبل شخص واحد - نورد ايبست ، الشدوذ العقلي للجريمة (بالانكليزية) ، لندن ، ١٩٤٤ ، ص ١٨١ .
 (٣) المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

وفي الجدول التالي نرى عدد المحكومين بالجرائم الجنسية وغيرها في انكلترا بين ١٩٣٤ - ١٩٣٨ ، حسب أعمارهم المختلفة .

جدول رقم « ١٢ »

المحكومون بجرائم جنسية في انكلترا بين ١٩٣٤ - ١٩٣٨ (١)

العمر	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨
دون الـ ١٧ سنة	٣٥٣	٣٤٧	٤٢٩	٣٩٧	٤٧٥
١٧ - ٢٠ سنة	٢٣٢	٢٣٥	٢٣٢	٢٩٤	٣٥٤
٢١ - ٢٩ سنة	٤٠٠	٣٧٩	٤٢٩	٣٩٤	٤٧٨
٣٠ سنة فأكثر	٨٢٩	٨١١	٨٣٨	٩٥٠	١٠١٤
المجموع	١٨١٤	١٧٧٢	١٩٢٨	٢٠٣٥	٢٣٢١ (٢)

والبيان الآتي يعطينا احصاءات مقارنة ، للمجرمين العائدين في أنواع شتى من الجرائم الهامة حسب الأعمار المختلفة في انكلترا .

جدول رقم « ١٣ »

نسبة المجرمين المكررين في انكلترا سنة ١٩٣٨ (٣)

العمر	الجرائم الجنسية	جرائم الاعتداء على الأشخاص	النصب والاحتيال	السطو	السرقه
١٦ و ١٧ سنة	٢٢٠٩	٢١٠٤	٤٨٠	٣٥٠١	٢٨٠٨
١٨ - ٢٠ سنة	١١٠٣	٢٨٠٦	٣٠٠٥	٢٨٠٥	٢٦٠٣
٢١ - ٢٩ سنة	١٦٠٦	١٩٠٦	٢٤٠٤	٢٨٠٠	٢٣٠١
٣٠ - ٣٩ سنة	١٣٠١	١٠٠٥	١٥٠٨	٣٠٠٧	١٤٠٩
٤٠ سنة فأكثر	٥٠٦	٨٠٣	٩٠٩	٣٢٠١	١٠٠٠

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٢ (٢) هؤلاء من حكم عليهم في المحاكم الصغرى ، وبلغ عدد المحكومين سنة ١٩٣٨ في المحاكم الكبرى ٩٨٢ فيكون المجموع ٣٣٠٣ اشخاص . (٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .

والجدول رقم ١٤ يبين لنا النسبة لكل ١٠٠.٠٠٠ شخص من السكان ، ممن تزيد أعمارهم عن السابعة عشرة الذين صدرت ضدّهم أحكام في تهمة جنسية وغيرها في انكلترا بين ١٩٣٤ - ١٩٣٨ .

جدول رقم « ١٤ »

نسبة الجرائم الجنسية وغيرها لكل ١٠٠.٠٠٠ شخص من السكان فوق الـ ١٧ ، بين ١٩٣٤ - ١٩٣٨ (١).

السنة	الجرائم الجنسية	جرائم الاعتداء على الاشخاص	النصب والاحتيال	السطو	السرقه	الجرائم الأخرى
١٩٣٤	٤.٩	٣.٩	١٥.٦	١٠.٨	١١.٠.٢	٥.٨
١٩٣٥	٤.٧	٤.٤	١٥.٠	١٠.١	١٠.٧.٧	٥.٦
١٩٣٦	٥.٠	٤.٣	١٤.٩	١٠.٠	١١.١.٣	٥.٧
١٩٣٧	٥.٣	٤.٩	١٤.١	١١.٢	١١.٦.٥	٥.٨
١٩٣٨	٥.٩	٤.٧	١٥.٣	١٣.١	١١.٧.٣	٦.٢

والجدول رقم ١٥ يبين لنا عدد الاشخاص الذين حكموا من المحاكم الكبرى في انكلترا في الجرائم الجنسية المختلفة سنة ١٩٣٨ .

جدول رقم « ١٥ »

الاشخاص المحكومون في انكلترا بجرائم جنسية سنة ١٩٣٨ (٢).

نوع الجريمة الجنسية	ذكور	اناث
افعال جنسية غير طبيعية (٣)	٥٨	٠
محاولة ارتكاب افعال جنسية غير طبيعية	٧٦	١

(١) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ . ملاحظة : اننا لم نجد احصاءات

مقارنة شبيهة بهذه الاحصاءات في العراق . (٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٣ .

(٣) كاللواط والسحاق ومضاجعة المحارم والفسق في الحيوان .

الاشخاص المحكومون

ذكور انثى

نوع الجريمة الجنسية

افعال مخلة بالحياء ضد الذكور

١٤١

٠

اغتنصاب

٤٠

٠

اعتداءات مخلة بالشرف ضد الاناث

١١٥

٠

هتك عرض بنات دون ١٣ من العمر

٣١

٠

هتك عرض بنات بين ١٣-١٦ من العمر

١٧٩

٠

مضاجعة المحارم

٤٠

٤

البغاء

١٥

٢

الخطف

٤

٠

تعدد الزوجات

١٩٥

٨١

المجموع

٨٩٤

٨٨

ولقد أخذت بمض الدول أخيراً تشدد العقاب على بمض الجرائم الجنسية، وتحققه في أخرى حيث يكون أذاها يسيراً هينا، غير أن التجارب قد دلت على أن شدة العقاب أو تخفيفه لا يجدى حيل هذه الجرائم قتيلاً، ولا يجمع فيها غير العلاج النفسي كما سيأتي معنا^(١).

كما أن هذه الحقائق والأرقام التي أوردناها تؤكد مدى أهمية التربية الجنسية السليمة وضرورتها منذ أيام الطفولة المبكرة، ووجوب حماية الصغار من تكوين عادات فاسدة، تورثهم الشقاء والتعاسة،

(١) في الجزء الثاني في هذا الكتاب .

وتهدد حياتهم بالانهيار في مستقبل العمر وسني الشباب .
وسنأتي على ذكر اهم اسس هذه التربية وقواعدها الصالحة في
الجزء الثاني من هذا الكتاب .

٢ - غريزة اثبات الذات Self-assertion

أو حب الظهور والتفوق or Self-display

هذه الغريزة اجتماعية ، أي انها لا تبدو الا عند وجود اناس
آخرين ، وغايتها أن يشعر الانسان بأهمية نفسه ، وقيمته ، وارتفاع
شأنه في المجتمع . ويقترب بها انفعال الزهو Elation الذي يحفز
الفرد الى محاولات الظهور والاعلان عن النفس ، وأخص ظواهره
الخيلاء التي تبدو على الذكور ، والغرور الذي يلاحظ في الاناث ، وهو
بلا نزاع مصدر كثير من سلوك الاطفال حين يأتون فعلا تم عن
المهارة أو تدل على الشجاعة والاقدام^(١) .

ويرى أدلر^(٢) أن الانسان مسوق في حياته ومختلف أنواع سلوكه ،
وجميع أعماله وتصرفاته ، ليس بقوة الدافع الجنسي Sexual Libido ،
بل بدافع غريزة أخرى ، هي غريزة اثبات الذات ، أو حب الظهور
والسيطرة والتفوق . فهو سعيد ما دام قادراً على ارضائها واشباعها ،

(١) فكثيراً ما نسجع الطفل يقول : « أنظر كيف أعمل هذا الشيء » ! أو

« كيف أحسنه ! » .

(٢) ألفرد أدلر Alfred Adler أحد تلامذة فرويد وأعوانه وقد انفصل
عنه في سنة ١٩١٢ وأسس له مدرسة خاصة يطلق عليها مدرسة علم النفس

الفردى School of Individual Psychology.

- راجع كتاب علم النفس الفردى ، للاستاذ اسحق رمزي ، القاهرة ١٩٤٦ .

شقي حين يفشل في تلبية طلباتها ومجاراة رغباتها .
بل ان أدلر ليذهب الى أبعد من ذلك في معارضته لفرويد اذ هو
يعتبر الغريزة الجنسية نفسها مظهراً من مظاهر السيطرة ، وأن ليس
الحب إلا أحد أعراض هذه الغريزة .

وكل واحد ، في نظر زعيم مدرسة علم النفس الفردي ، يتوق لأن
يثبت وجوده في هذا الكون ، ويدل على أهميته في هذا العالم ، وأن
يرى الناس محاسنه ، ويعجبوا بمزاياه ومواهبه ، وان ينصرفوا عما فيه
من نقائص وعيوب ، يسعى هو جاهداً لتغطيتها واخفائها . كما يروم أن
يبرز غيره في مظاهر الحياة المختلفة ، في القوة والجاه والمكانة والنفوذ ،
وأن يظل الآخرون دونه أهمية ومقاماً^(١) . وهو ان اصابه الفشل في
بلوغ ذلك كله أو بعضه ، بطرق شرعية وأساليب سوية ، تولد فيه
احساس بالنقص ، وشعور بالعجز والدونية ، وعمد الى تعويضه بافعال
شاذة ، وظواهر عدوانية ، واندفاعات غير خلقية او إجرامية .

ذلك انه يلوح من الخلال الملازمة للطبيعة البشرية أن الافراد ،
صغاراً كانوا او كباراً ، اذا أحسوا بالضعف والقصور شعروا بالخيبة ،
وغلب عليهم النفور من التقيد بالواجبات الاجتماعية ومراعاة المصالح
العامة ، وانصرفوا عندئذ في السعي للتفوق الشخصي وتحقيق المنفعة

(١) لهذا فاننا نرى الاطفال الذين يشعرون شعوراً قوياً بالنقص
Feeling of Inferiority
يبتعدون عن الصغار الذين هم أقوى
منهم ويلعبون مع الضعفاء الذين يستطيعون اخضاعهم والتفوق عليهم .
كما تفسر لنا هذه الغريزة ميل فريق من الناس للقسوة والتلذذ بالآلام
الآخرين .

الذاتية دون ما اكتراث بحقوق الجماعة ، وقواعد الخلق والآداب العامة . ويشمل هذا الصنف من الناس الاطفال المشكلين Difficult or ^(١) Problem Children والمعتهوين ، والمتحرين ، والمجرمين وأمثالهم ، الذين غلبت عليهم صفات الانانية ، وطففت على نفوسهم معالم حب الذات . وتكون هذه الفريزة في معظم المجرمين نامية نمواً زائداً ، تساعد الكثيرين منهم على انفاذ أعمالهم العدوانية ، وتقوية استعداد المغامرة الكامن فيهم . وتعتبر عند بعضهم الدافع الرئيسي ، أو العامل الوحيد للسلوك الجنائي .

فالمجرم لا يروم من ارتكاب جريمته ، في الغالب ، الا تحقيق مطمع يساعده على البروز والتفوق في الحياة ، أو تلبية حافز يسوقه لظهور البطولة والمهارة ، خصوصاً حين يتخيل نجاحه في تنفيذ خطته ، وتضليل الشرطة ، والافلات من يد العدالة . وهكذا فاننا نرى الاجرام نوعاً من وسائل اثبات الذات ، وصورة من اشكال السيطرة والتفوق ، لاسيما لدى الاحداث .

والواقع الذي تؤيده الدراسات العلمية والاختبارات الصحيحة أن الأعمال الجرمية أبعد ما تكون عن البطولة ، وانها لا تدل الا على الجبن ونقص في الشجاعة والقدرة السليمة ، والعجز عن الاتجاه القويم في

(١) يتولد الشعور بالنقص لدى الاطفال بسبب حرمانهم من الحنان الابوي والمحبة والعطف ، أو نتيجة معاملتهم بقسوة وصرامة ، أو تدليلهم وتدليلهم ، أو لوجود عاهة جسمية فيهم .

نواحي الحياة النافعة الراقية^(١).

ان جميع المجرمين بحن جنائهم ، فهم يتجنبون مواجهة مشاكل الحياة بصبر وجلادة كما يفعل الاسوياء ، وهم يميلون الى طلب النجاح الهين اليسير دون كفاح أو عناء^(٢) ، متسترين بأجنحة الظلام ، نخورين بقدرتهم على الأثم والشر ، والطمع من الخلف ، ومفاجأة من كانوا عزلا من كل سلاح^(٣).

ومما هو جدير بالذكر أن الاعتداد بالذات ليس من الضروري أن يكون ضرباً من الشذوذ بل هو حافز يدفع الانسان السوي لأعمال الخير والسعي المجدي وبلوغ الاهداف السامية ، ويحثه على مواصلة الكفاح ، وتحقيق المقاصد النبيلة والغايات العليا في الحياة . ولا يصبح هذا الشعور مرضاً ضاراً الا حين يطفئ على الفرد فيجعله يخطئ تقدير نفسه والنظر اليها نظرة التفوق حين لا تكون كذلك ، أو حين يقعده مثل هذا الشعور عن السعي الشريف المقبول ، أو يدفعه لأعمال

(١) تشاهد هذه الظاهرة نفسها في المصابين بجنون العظمة الذين يعتقد الواحد منهم أنه نبي أو ملك أو امبراطور ، ويضع نفسه في الناحية المظلمة من الحياة ، ويمثل دوره كأنه الحقيقة بعينها . لكنه في الواقع في عزلة عن المجتمع ضحية شعور قوى بالنقص ، وقد نمى فيه شعور وهمي بالتفوق بطريقة عقيمة لا خير فيها . الحياة النفسية ، أدلر - الترجمة العربية - القاهرة ١٩٤٤ ، ص ٥٩ .

(٢) ويرى أدلر أن خير طريقة لمنع الاجرام أن يقنع كل انسان أن الاجرام دليل على الجبن والندالة .

(٣) وقد ذكرت بعض جرائم نيويورك خيراً عن لص مسلح سطا على بيت بعض المدرسات وأخبرهن أن اللصوصية أسهل عليه من العمل الشريف والسلوك الخلقى الذي تعترضه المتاعب والصعوبات . (٧)

الشذوذ والنشوز عن سبل الحياة السليمة ، ومحاولة الحصول على نجاح مزيف موهوم^(١) .

لهذا يجب أن يتعلم المرء ويتعود منذ حداثة على إثبات ذاته وتحقيق تربيته للسيطرة والتفوق بوسائل شرعية وطرق صالحة اجتماعية^(٢) ، وإن يتوافر في نفسه اعتقاد راسخ بأن الصبر والجد والثبات لا بد وأن تؤدي أكلها في النهاية .

٣ - غريزة الخضوع Self-abasement or Subjection

تظهر غريزة الخضوع في الإنسان حين يجد نفسه في موقف يشعره بالعجز والقصور والاستكانة ، وبصاحبها افعال الذلة Subjection أو Negative Self-feeling ، وتعتبر غالباً علة الانكماش والارتواء والحياء والاطراق ، ومنبت عقدة الشـمور بالدونية أو الاحساس بالنقص Inferiority Complex^(٣) .

ولقد تحقق الباحثون أنه يشاهد على بعض المجرمين قابلية فطرية

(١) يقول برت أن حب الظهور في الأولاد باعث على أعمال المنافسة والجرأة ، وكل ما يساعدهم على البروز والتفوق . أما في البنات فإنه يؤدي إلى الغرور والكذب الرومانتيكي - الحيالي - . وقد يسوقهن في الطفولة أو الكبر للسرقات والأعمال غير الخلقية للحصول على الجواهر ، واللباس الفاخر ، وكل ما يشبع النهم والغرور - برت المصدر نفسه ، ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

(٢) يشاهد الصغار أحياناً يعذبون بعض الحيوانات . والدافع لذلك

كما يقول بين Bain هو حب إثبات الذات أو بقصد الظهور . فتعذيب الآخرين وتحقيرهم أو إيذاؤهم يعتبره بعض الناس من أسباب إثبات ذاتهم ، وعوامل الشعور بقوتهم ، وإظهار تفوقهم * - برت ، المصدر نفسه ، ص ٤٧٢ - ٤٧٥ .

(٣) راجع بحث العقدة « النفسية »

زائدة للانقياد للآخرين ، والانسياق وراء تياراتهم الجارفة . وكثيراً ما يقع الصغار منهم ، بوجه خاص ، في هوة الجريمة نتيجة اغراءات من كانوا اكبر منهم سناً ، وتحريضهم ، والخضوع لأرادتهم ، وعدم القدرة على التحرر من سيطرتهم .

وتبين لبرت أن في ٤٦٪ من حالاته استعداداً عظيماً للتأثر بالاستهواء Suggestibility^(١) . والايحاء Suggestion الصادر من اشخاص ذوي تأثير ونفوذ عليهم ، وان غريزة الخضوع قد كانت فيهم من العوامل الهامة التي ساقهم الى الشذوذ والاثم والجناح^(٢) .

٤ - غريزة المقاتلة (Combat) Pugnicity

تعتبر غريزة المقاتلة بعد غريزة الجنس من أقوى الغرائز قوة وشيوعاً . ويصاحبها انفعال الغضب Anger ، وأكثر ما تنور حين يقوم عائق حيال احدى الغرائز الاخرى أو الاتفاعلات المقترنة بها . وهي موجودة عند الانسان والحيوان ، وتظهر منذ الطفولة ، ويمرّز لها قيام الحروب ونشوب المعارك في العالم .

فكلمياً وجد الانسان نفسه ازاء ما يعوق تحقيق رغباته ، أو يمنع تلبية حاجاته ، انتابه شعور الغضب ، وعمد الى ازالة العوائق والعقبات من طريقه ، ومحاربة الصعوبات الماثلة أمامه ومقاتلتها . وهذا يفسر لنا سبب كثرة جرائم الأحداث الحاصلة بعامل الغضب . فالصغار نظراً

(١) راجع بحث « الميول الفطرية العامة » .

(٢) برت المصدر نفسه ، ص ٤٧٥-٤٧٦ .

لقصورهم الطبيعي وعجزهم الاجتماعي يصادفون حوائل كثيرة تقف سدّاً دون اشباع طامباتهم الطفلية ، وارضاء ملذاتهم ومسرّاتهم التي لا حد لها ولا حصر .

ومن الجرائم التي تقع بدافع هذه الغريزة القتل ، والاعتداء ، والأذى الجثماني ، والجرح . كما انها المحرك الرئيسي لأعمال التهديد والتخريب والشجار ، واتلاف الأموال والتخريب .

ولاحظ برت أن الأولاد بين سن العاشرة والحادية عشرة يميلون لاتلاف الأموال أكثر من ميلهم لايقاع الأذى بالاشخاص أو الاعتداء عليهم . غير أنه كلما اقترب عهد المراهقة اتجه الاحداث نحو العنف الشخصي أكثر من التخريب والاتلاف . وقد وجد أن الغضب قد كان سبباً رئيسياً أو مساعداً في وقوع ١٢٪ من جرائم الاطفال والاولاد^(١) .

٥ - غريزة الفرار Flight (Escape)

هي استعداد يستثار في الانسان ساعة الخطر بقصد تخليص نفسه منه واتخاذها بالهرب ، وتظهر فيه منذ الطفولة . والخوف Fear هو الانفعال الملازم لها ، ويحمل المرء أولاً على الفرار ثم على الاختفاء أو الاختباء^(٢) . ويعتبر الخوف من أشدّ الاتفاعلات البشرية أثراً في

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ٤٣٤ - ٤٤٣ ، القوصي ، المصدر نفسه ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) ولاخفاء الذات أو لاخفاء العمل الجرمي يعتمد عموم المجرمين تقريباً الى الكذب . ويكذب اللصوص عادة أكثر من فاعلي جرائم العنف ، ويكذب من يرتكبون العنف المادي - أي ضد الاموال والاشياء - أكثر من الذين يرتكبون العنف ضد الاشخاص . برت ، المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .

السلوك ، وأعظمها سيطرة على العقل والجسم .
 وإذا اشتد الخوف واستحال رعباً شل أحياناً حركات الفرد ،
 وأهجزه عن الفرار ، وأرغمه على البقاء في مكانه والاستسلام ، أو الثبات
 والصمود والدفاع قدر المستطاع . وقد يدفع المرء ، في مثل هذه الحال ،
 الى معاودة الهجوم ، ويحمّله على الاستماتة في القتال ، والقضاء على
 بواعث الخطر قضاء مبرماً .

ولست كل مخاوف الطفولة بموروثة . إذ الأطفال لا يخافون في
 حياتهم المبكرة سوى شيئين هما : الوقوع وسماع الأصوات المرتفعة فجأة
 أو الأصوات الرفيعة الصافرة . أما المخاوف الأخرى فيكتسبونها فيما بعد
 بالايحاء ، أو التداعي ^(١) Association of Ideas . فلا تخيفهم في بادئ
 الأمر الحيات والأفاعي وما إليها ، إنما تخيفهم الرعد ، كما تخيفهم العواصف .
 ويقول علماء النفس أن الدافع للخلاص والنجاة عن طريق الفرار
 هو عامل رئيسي في جرائم الحرب والتشرد . وما التشرد - في
 الواقع - سوى نوع من الهروب أو الفرار ^(٢) .

(١) تداعي الافكار هي تنبيه الافكار والحواس بعضها بعضاً في نفس
 الانسان بسبب ارتباطها في العقل من قبل برابطة مشتركة . أو بعبارة
 أوجز هي تنبيه فكرة بأخرى تجمعها ممارسة عقلية سابقة . - محمد فتحي
 بك ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٥ .

(٢) سادلر ، العقل الباطن - ترجمة عباس حافظ - القاهرة ، ١٩٤٦ ،
 ص ٥٨ - ٥٩ .

واتضح لبرت أنه يبدو على كثير من المجرمين ليس الخوف الشديد كما هو
 متوقع بل فقدان الخوف فيهم بالمرّة . وهو يصف أمثال هؤلاء بقوله
 « أنهم طائشون ، عنيدون ، مغامرون » - برت ، المصدر نفسه ، ص ٤٧٧ -
 ٤٧٩ .

٦ - غريزة التملك Acquisition

غرض هذه الغريزة حيازة الاشياء ، والانفعال المصاحب لها هو لذة الاقتناء . وهي تعتبر أداة طبيعية للحصول على ما يحتاجه الفرد ولا يملكه . أو وسيلة لاقتناء ما يساعده في التغلب على ما يعترض سبيله من صعوبات في الحياة وتظهر في الطفل بصورة قوية بعد سن الخامسة ، لكنها تبدأ عنده قبل ذلك ، منذ أن يستطيع مديده والقبض على ما يراه . فكل شيء صغير قريب من الطفل ، ذي لون أو بريق ولمعان ، يجلب انتباهه ويثير رغبته لامساكه ووضعه في فمه . وهذا هو السبب في أن معظم جرائم الاحداث سرقات الاطعمة والمواد الغذائية^(١) .

وغريزة التملك أقل الفرائز انفعالية ، وبعضهم ينفي أن يكون لها أي انفعال بالمره ، ويكتفي بالقول انها مجرد سلوك غريزي . وهي من الفرائز التي لا يمكن اشباعها كلياً ، وتبدو كالغضب وثيقة الاتصال بالفرائز الأخرى^(٢) .

وهذه الغريزة من اكبر الدوافع للعمل والجدواقتناء الاموال والاشياء ، وينشأ عنها حب الادخار والتخزين . فاذا أصابها اختلال أو انحراف حملت صاحبها على ارتكاب السرقات أو غيرها من الجرائم ، والوقوع في بعض الحالات في مرض الولوع بالاختلاس Kleptomania .

ولقد وجد برت ونورود ايسر وغيرهما من الثقات أن السرقات تشكل من ٨٠ - ٩٠٪ من الجرائم التي يرتكبها الاحداث والبالغون ، وهي ولا شك نسبة عالية لا مثيل لها في الفرائز الأخرى^(٣) .

(١) سادلر ، المصدر نفسه ، ص ٦٦ . (٢) برت ٤٤٦-٤٥٢

٧ - غريزة الوالدية (الامومة) Parental

تنجبه الغريزة الوالدية بصورتها الفطرية نحو حماية الذرية ، وتنجبه بصورتها المعدلة نحو وقاية الفقراء والمعجزة وأفراد المجتمع . وتستثار عند ادراك حالة ضعف في الآخرين ، وحاجتهم للمساعدة والعون . وهي تصبح ، في بعض الحالات ، مصدر الغيظ والسخط عند الانسان حين يشاهد الاطفال الصغار يعذبون ، والنساء عرضة للاهانة ، والضعفاء مهملين بالشر والاذى ، دون أن يجدوا لهم حاميا أو نصيراً .

والانفعال المصاحب لهذه الغريزة هو الحنو Tender Emotion ويعتبر مظهر سائر ضروب الغيرية والايثار ، واكثر ما يتجلى في اندفاع الام وتفاניה في حماية اطفالها والعناية بهم ، وانصراف الآباء للتضحية بالباهظة من اجل ابناءهم .

غير أن الاسراف في هذه الغريزة يردها مصدر الم وشقاء . والمغالاة فيها قد تحمل البعض ، وخاصة الاحداث ، على السرقة لاجل شراء الهدايا وتقديمها لأقربائهم واصدقائهم واساتذتهم الذين يحبونهم ويتعلقون بهم . وبهذا تصبح هذه الغريزة الفطرية عاملاً من عوامل الجريمة ، وحافزاً من حوافز الاثم والخطيئة ^(١) .

٨ - غريزة النفور Repulsion

تستثار غريزة النفور من دخول بعض المواد الغريبة أو الكريهة

(١) ساحلر ، المصدر نفسه ، ص ٦٢ - ٦٤ ، القوصي ، المصدر نفسه ،

ص ٧٧-٧٩ . برت ، المصدر نفسه ، ص ٤٨٠ - ٤٨٢ .

في الفم ، أو من الرائحة المؤلمة للشم ، والالتفات المنبثق عنها ، الملازم لها ، هو الاشتمزاز Disgust .

وكما تقدم تطور الفرد العقلي أحس بالاشتمزاز من الأشخاص الذين لا يوافقون ميوله ولا يلائمون ذوقه . وإن هو أفرط في حساسيته نحو توافه الأشياء التي لا تروقه ولا تعجبه في أصحابه ومعارفه والبيئة التي يعيش فيها عرض نفسه لكثير من الهموم والمنغصات . من هذا يظهر لنا أن لهذه الغريزة أثراً غير مباشر في السقوط في الجريمة والخطيئة أحياناً كثيرة .

٩ - غريزة البحث عن الطعام Food-Seeking

هذه الغريزة من أقوى الغرائز البشرية ، وتظهر بعد الولادة مباشرة سواء في الإنسان أو الحيوان ، والالتفات المتصل بها هو الجوع . ويعتبر الجوع في البيوت الفقيرة من أقوى عوامل الاجرام ، كما تعتبر شدة الجشع والشراسة ، هي الأخرى ، من اسباب الجريمة عند عدد غير يسير من الافراد . وتحقق برت آثار ذلك في ١٠٪ من قضاياه ، وثبت له أن الشراسة كانت عاملاً قوياً من العوامل المساعدة في وقوعها^(١) .

١٠ - غريزة الاستطلاع Curiosity

تهدف غريزة الاستطلاع للوقوف على المسائل المجهولة التي يهتم الإنسان معرفتها ، واكتشاف بواطن أمورها . والالتفات المصاحب لها

(٢) برت ، المصدر نفسه ، ص ٤٢٨ .

هو التعجب أو الفضول Wonder ، وهو نوع من بواذر الخوف ومظاهره الأولى ، ويشاهد قويا في الأطفال والحيوانات . ولا ريب في أن هذا الاحساس هو سر البحوث العلمية والدراسات الدينية ، واليه ترجع معظم ألوان المشاكسة في الأطفال .

ووجدت أن الأحداث الذين فخصهم قد ارتكبوا عدة جرائم جنسية خطيرة بدافع حب الاستطلاع وحده ، دون أن يكون لها عندهم أي باعث سواه ، أو أن تكون مقترنة بأي انفعال غيره .

١١- غريزة الاجتماع Gregarious

ترمي غريزة الاجتماع لدوام الاتصال والتقارب بين أفراد الجنس الواحد ، والانفعال المقترن بها هو الطمأنينة . فالإنسان اجتماعي بطبعه ، لا يحس بالأمان والسلامة إلا إذا كان في جمع من بني جنسه . لهذا كان أكثر الناس يخشون الوحدة ، وأقصى ما تكون العزلة عقابا .

ولا تقتصر هذه الغريزة على ما انطبع في النفس من ميل فطري للاندماج في وسط الجماعة بل تشمل ما في النفس من استعداد خاص لتلقي تعاليمها ، والتأثر بتقاليدها وأساليبها ، بالرغم من كونها تحد من استقلال الفرد وحرية . ومن هنا كانت ميزة الآداب العرفية على القوانين الوضعية . فالأولى يستند مبعث احترامها والرضوخ إليها إلى دافع غريزي أو فطري ، بينما يكون الباعث على اطاعة القوانين في غالب الأحيان مجرد الخوف من العقاب^(١) .

(١) محمد فتحي بك ، المصدر نفسه ، ص ١١٦-١٢٦ .

وظهر لبعض العلماء أن نسبة كبيرة من الجرائم ترتكبها عصابات مؤلفة من عدة اشخاص ، خصوصاً جرائم السرقات ، واتلاف الأموال والسطو ، واللاواط ، والقمار ، وإن كثيراً من الأفعال المضادة للمجتمع قد وقعت ليس بسبب طمع في ربح تجره على فاعليها ، ولا بقصد جاب الأذى لضحاياها ، بل للحصول على اللذة والمسرة التي تصاحب المغامرة المشتركة ، والمفاخرة فيما بعد ، أمام الآخرين ، بما تم عمله افراديا أو جمعياً^(١).

١٢ - غريزة الانشاء Construction

تدفع غريزة الانشاء الانسان لمحاولة التركيب والبناء ، والاحساس الذي يرافقها هو لذة الابتداع . فكل انسان مولع بأن ينشيء من المواد الأولية شيئاً من صنعه وتفكيره ، ورسمه وتصميمه . وهذه الغريزة هي سر الاستعدادات والمواهب التي نشاهدها عند البرعة من الصنائع والحاذقين . حتى الاطفال انفسهم مولعون ببناء قصور وبيوت وابراج من قطعهم الخشبية كما تبني الطيور او كرها والنمل قراها ذات القباب والسراديب . وهي تعتبر في بعض الحالات من الأسباب غير المباشرة في وقوع جرائم الاحداث^(٢).

١٣ - غريزة التجوال

تحت غريزة التجوال صاحبها على التنقل بين الامكنة والبلدان ،

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ٤٦٥-٤٧٠ .

(٢) سادلر ، المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

واستبدال المقام بمقام غيره ، وتغيير البيئة ، ودوام الترحال . ويعتبر الهروب من المنزل أو المدرسة ، بعد السرقة ، من أكثر أعمال الاحداث - خاصة - شيوعا وانتشارا . وهو ابتداء الخطوة الاولى نحو حافة الجريمة . وظهر لبرت ان ٣٣٪ من احداثه الجانحين تجوالون ، وان السبب الرئيسي في ٥٪ من جرائمهم هو الهروب .

ومن عوامل اثارة غريزة التجوال حجب الانسان ساعات طويلة داخل مكان واحد ، كالبيت او المدرسة او المكتب او المعمل . عدا ما لرفاق السوء ، وصرامة الأبوين ، وشدة النظام المنزلي وغيره من اثر قوي في حمل فريق من الناس - الصغار بوجه خاص - على التشرّد والتجوال والهروب . وكثيراً ما تكون هذه الغريزة السبب الرئيسي ، أو الاوحد ، للجريمة بين الاطفال ، وضعاف العقول ^(١) .

١٤ - غريزة الضحك Laughter

أما غريزة الضحك فيرافقها انفعال المرح Humour ، وقلما تكون سببا للافعال غير الاجتماعية .

غير اننا نشاهد مرات كثيرة بعض المجرمين لا يشعرون ، لاختلال هذه الغريزة فيهم ، بأي تأنيب ضمير أو ندامة نتيجة أعمالهم الفاسدة ، وما اقترفوه من خطايا وآثام . ويندو عليهم استعداد فائق للطرب والمرح يجعلهم لا يعبأون بالآلام التي يحدثونها في المجتمع ، أو التي تصيبهم هم انفسهم . قترام والبشر يعلو وجوههم دائماً ، لا يفارقهم

(١) بريت ، المصدر نفسه ، ص ٤٥٥-٤٥٨ .

الابتسام والابتهاج ، يبحثون عن أسباب الهناء والسرور في كل مكان^(١) .
ومثل هؤلاء الاشخاص لا يتأثرون بالعقوبة الا نادراً ، أو
قليلاً . لا ينفع في علاجهم غير المنح والمكافآت ، ولا يجدي في
اصلاحهم غير ما يبعث في نفوسهم الفرح والسعادة^(٢) .

خاتمة :

اتضح لنا مما تقدم أن الفرائز هي الاساس المكين الذي يقوم عليه
السلوك البشري ، ويستند اليه نشاط الفرد الاجتماعي واللا اجتماعي ،
ويتوقف على ضعفه وقوته ، وصلاحه وفساده ، نجاحه في التوافق مع
البيئة ، والتقيد بأحكام النظم والقوانين ، ومراعاة قواعد الخلق والاجتماع
والآداب ، والعيش سعيداً في الحياة ، أو خيبته في ذلك كله أو بعضه ،
بصورة دائمة أو موقته ، ومواجهة كثير من المشاكل والاعطال ،
والوقوع في الويلات والصدمات والنكبات .

ولقد دلت الدراسات التي أجعلناها ، والاختبارات التي أشرنا اليها ،
والاحصاءات التي قدمناها ، أن نسبة عالية من الجرائم تنشأ بصورة رئيسية
أحياناً كثيرة ، بسبب اختلال أصاب هذه الفرائز ، أو شذوذ حل فيها ،
لا سيما العنيفة منها : كالجنس ، والتملك ، والمقاتلة ، والاعتداد بالذات .
غير أن بعض علماء النفس ، والمستغلين في الميادات السيكلوجية ،
قد لاحظوا أن الفرائز وإن كانت تفسر السلوك وتحت عليه إلا أنه
يصعب غالباً ادراكها وتحديددها ، وحاولوا الوصول إلى تفسيرات أكثر

(١) برت ، المصدر ، نفسه ص ٤٨٩-٤٩٠ .

(٢) مع هذا فهناك حالات لا بد فيها من استعمال وسائل اللم والعقوبة
في معاملتهم .

وضوحاً منها أطلقوا عليها اسم الحاجات النفسية Psychological Needs وعددها ست هي ^(١):

١ — الحاجة للأمن Need for Security

٢ — « للتقدير Need for Recognition

٣ — « للمحبة Need for Affection

٤ — « للحرية Need for Freedom

٥ — « للنجاح Need for Success

٦ — « لسلطة موجهة Need for Control

لكن هذه الحاجات ليست بالدوافع الأولية لأعمال الإنسان وسلوكه ، ولا بد من ارجاعها للأصل الغريزي وتعليلها به .

وبجمل القول ان الغرائز ، والاتفاعلات المقترنة بها ، الملازمة لها ، المنبثقة عنها ، هي دائماً المذابغ الأساسية للطاقة البشرية ، والمحرك الأول لأنواع السلوك كافة . لهذا فمن الواجب الاهتمام ، منذ أيام الطفولة الأولى ، بتوجيه هذه الغرائز وجهة صالحة مقبولة ، وتعديلها تعديلًا يتلاءم ومقتضيات البيئة ، ومطالب الحياة وظروفها ، والعمل على تصعيدها وإعلائها ، وتجنب بترها أو قمعها واقتلاعها .

بمثل هذه العناية ، والتصرف الحكيم ، وحسن التربية والتهديب ، يستطيع الفرد أن يظفر في مستقبل حياته بالسعادة ، ويحظى بالنجاح ، ويصبح عضواً نافعاً يعتمد عليه المجتمع في تقدمه وارتقائه ، والتفوق الذي ينشده ويصبو إليه .

الفصل الثاني

الانفعالات المركبة والمشتقة^(١)

والميول الفطرية العامة

١ - الانفعالات المركبة

Complex Emotions

لا تظهر الانفعالات الأولية Primary Emotions ، التي عددناها ووصفنا حالاتها ، في الانسان منفردة بنفسها ، مستقلة عن بعضها بعضاً ، بل انها تبدو في الحياة الواقعية مترابطة متشابكة متلازمة ويتكون من اصطحابها واختلاطها واقترانها ببعضها مجموعة اخرى من الانفعالات تدعى الانفعالات المركبة . مثلاً في ذلك مثل المواد المركبة في علم الكيمياء ، كالماء فانه يحصل من اتحاد عناصر أولية هي الاوكسجين والهيدروجين مثلاً .

فاذا شاهد فرد عالماً شهيراً ، أو أديباً كبيراً ، أو كاتباً عظيماً ، كلطفي السيد والشيخ محمد رضا الشيباني وطه حسين ، فان ذلك يثير في نفسه انفعالين أوليين في وقت واحد ، هما انفعال التعجب المقترن بفرحة حب الاستطلاع ، وانفعال الذلة أو الاستكانة المصاحب لفرحة الخضوع ، وباتحادهما عنده ينشأ فيه انفعال جديد ، مركب من كليهما ، هو الإعجاب Admiration .

(١) ماكس دوجال ، علم النفس الاجتماعي ، المصدر نفسه ، ص ١٠٤

١١٧ - سادلر المصدر نفسه ، ص ٦٨-٦٩ .

كذلك اذا اتخذ طيب عيادة له في جوار طيب آخر فان ذلك يحرك في نفس كل منهما انفعالين أوليين أيضا ، هما انفعال الزهو الملازم لغريزة الاعتداد بالذات ، وانفعال الغضب المقترن بغريزة المقاتلة وينجم عن اختلاطهما ببعضهما انفعال مركب هو انفعال المنافسة . Competition

واذا صادف المرء في طريقه مرة حيوانا كلسرا خطرا يقترب منه فانه يشعر بالرعب Threat ، وهو انفعال مركب من انفعال الخوف المرافق لغريزة الفرار أو الهرب ، وانفعال الاشمئزاز المقابل لغريزة النفور .

وهكذا فانه يحدث من اتحاد الانفعالات الاولى وارتباطها ببعضها مجموعة جديدة من الانفعالات المركبة . كما أن عدداً من هذه الانفعالات قد ينجم احيانا من اشتباك واختلاط بعض الانفعالات الاولى بانفعالات مركبة من صنف آخر كما هو الحال في انفعال الرهبة الذي يظهر عند اثاره انفعالي الخوف - وهو انفعال أولي - وانفعال الاعجاب - وهو انفعال مركب - في وقت واحد .

ومن اهم الانفعالات المركبة ما يأتي :

انفعال الاعتزاز Pride ، ويتألف من ارتباط انفعال الزهو ، بانفعال الاقتناء (غريزة التملك) .
وانفعال الغرور Vanity ، ويتركب من انفعال الزهو ، وانفعال الشهوة (الغريزة الجنسية) .

وانفعال السخرية Contempt ويحدث من اتحاد انفعال الزهو
بانفعال الاشمئزاز .

وانفعال العرفان بالجميل Gratitude ، ويحصل من ارتباط
انفعال الخنو (غريزة الامومة أو الوالدية) ، بانفعال الخضوع .

وانفعال التبجيل Reverence ، وينجم عن اختلاط انفعال
الخوف ، بانفعال العرفان بالجميل .

وانفعال المقت Hate ، ويتألف من انفعال الخوف ، وانفعال
الاشمئزاز ، وانفعال الغضب .

وانفعال الاحتقار Scorn ويتم من اشتراك انفعال الغضب ،
بانفعال الاشمئزاز .

وانفعال الحسد Envy وهو مركب من انفعال الغضب ،
وانفعال الخضوع .

وانفعال المطف Sympathy ويتكون من تشابك انفعال الخنو ،
بانفعال الطمأنينة (غريزة الاجتماع) .

وانفعال السحر Fascination ويتألف من انفعالات اولية ثلاثة
هي : انفعال الخوف ، والاشمئزاز ، والتعجب .

وانفعال الشجاعة Courage ويحصل نتيجة اتحاد انفعال الزهو
بانفعال الغضب .

أو

الثانوية

Derived or Secondary Emotions

وهناك نوع آخر من الانفعالات يطلق عليها الانفعالات المشتقة أو الثانوية ، وهي ليست من دوافع السلوك الغريزية ، ولا من عوامل النشاط الاساسية ، وانما تبدو ملازمة للانفعالات الاصلية ، ووصفا من اوصافها في بعض الحالات والظروف الخاصة .

ذلك انه حين تثور الغريزة في الانسان فان امرها ينتهي عنده اما بارضائها واشباعها ، أو صدها وكتبتها في اللاشعور ودخولها حيز النسيان . لكنها اذا ما ظلت حية في نفسه ، قائمة في شعوره ، لم يمكنه تليتها ولا ارجاعها الى مكمنها الاول ، فانها تتحول عندئذ الى رغبة Desire ملحة تستحثه على تحقيق اهدافها ، وتدفعه الى مواصلة العمل طلبا للنجاح والفوز في بلوغ مراميها .

فلو ان شابا أراد الزواج من فتاة احبها ، وتقدم لطلب يدها ، فان ترعته هذه اما أن تتحقق بالنجاح ، وانجاز رغبته ، أو بالفشل وانصرافه عن التفكير في فتاته ، ودفن حبه في صدره . واما أن يظل طلبه فترة قيد البحث والتفكير رهن الدرس والسؤال ، وفي هذه الحالة تبقى ترعته تلك قائمة في نفسه لا تفارقها ، وتنقلب الى رغبة تسمى الى وصول هذا المرمى ، وتصطبغ في مراحل سيرها نحو هدفها المقصود بطوابع

شتى ، تعرف بالاتفاعلات المشتقة أو الثانوية ، أو النفات الوجدانية Affective Tones . وهي تختلف باختلاف الصعوبات ، أو عدمها ، التي تعترض سبيل الرغبة ، والمراقيل التي تقف في وجهها ، قوة أو ضعفاً ، والاتجاه الذي تسير فيه النفس سواء نحو المستقبل وما هو آت ، أو رجوعاً بها الى الماضي وما قد انقضى وفات .

أما الاتفاعلات المشتقة المتعلقة بالمستقبل Perspective فهي :

١ - الثقة .

٢ - الرجاء .

٣ - القلق .

٤ - القنوط .

٥ - اليأس .

والاتفاعلات المشتقة المتصلة بالماضي Retrospective هي :

١ - الاسف والندامة .

٢ - تأنيب الضمير .

وسنذكر وصفا موجزاً لكل حالة منها .

الثقة Confidence : عندما لا يبدو في وجه الرغبة صعوبات

أو موانع تهددها ، يشمر المرء بالثقة في النتيجة المظفرة ، ويظل يسير نحو هدفه - بقوة الرغبة ذاتها - بهدوء بال واطمئنان خاطر ، كما يشمر بالسرور يغمر نفسه من الفوز الذي يرتقبه ، والنجاح المحقق الذي ينتظره ويتوقعه .

فإذا كان جواب والد الفتاة الخطوبة ، للشباب ، في المثال الذي

ذكرناه ، أنه يوافق مبدئياً على طلبه ، ولا مانع لديه شخصياً من قبوله صهر آله ، لكنه يود فقط معرفة رأي ابنته نفسها ، ويعلق جوابه النهائي على رضاها فان « الخاطب » يشعر عندئذ بالثقة من النجاح الأخير ، والسرور العظيم ، اذا كان متأكداً - من قبل - من ميل الفتاة اليه ، ورغبتها هي الأخرى للاقتراح به . وتراه في هذه المرحلة الأولى لا يحاول القيام بأي عمل خاص في سبيل تحقيق الرغبة - سوى انتظار الموافقة النهائية التي لا شك فيها عنده .

الرجاء Hope أما اذا لاحت ، بعد ذلك ، غيمة بسيطة في جو الرغبة ، وظهرت بعض العراقيل الهينة أمامها ، كما لو أرادت والدة الفتاة تزويج ابنتها من شخص آخر ، غير كفؤ لها ، ولا تميل هي اليه ، تحولت حالة الرغبة عندئذ من الثقة الى الرجاء ، بزوال هذه الغيمة ، وعودة الجو الى صفائه الاول ، والتغلب على العقبة الوحيدة الماثلة في طريق الظفر والنجاح . ويظل المرء في هذه المرحلة ، رغم ذلك ، يتابع نشاطه نحو هدفه والأمل يعمم قلبه في وصوله وبلوغه .

إلا أن الخوف من الفشل ، ولو كان ضعيفاً ضئيلاً ، فانه يدفع الفرد لزيادة التفكير في الغاية التي يرنو اليها ، والاهتمام بالمرمى الذي يصبو اليه ، ويجعله ينصرف عن اتفاق كل وقته وقواه في نواحي أخرى لا تتعلق برغبته . فقد يحاول الشاب ، عند ادراكه موقف الوالدة ، أن يقابلها بالذات أو يبعث لها بوسيط يعمل على ارضاها ، واقناعها ، لا سيما وان الفتاة نفسها تتمناه ووالدها يقف في صفه .

والامل ليس قوة جديدة قد انضمت الى الرغبة الاولى ، بل هو لون جديد من الوانها ظهرت به عند ما اصبحت الثقة بالنجاح المحقق غير تامة . وما دام خطر الفشل قليلا ، بعيد الاحتمال ، فان الرغبة تبقى مطبوعة بطابع السرور المتوقع حصوله من الفوز المنتظر ، وبلوغ القصد .

القلق Anxiety : واذا ما عجز المرء عن التغلب على الصعوبات التي بدت في وجه رغبته اخيراً ، أو حدثت عراقيل جديدة اخرى ذات أهمية ، تبدل الحال عنده الى قلق ، قد يحل محل الرجاء ، أو يظل يتناوب الشعور واياه . كما لو أصرت والددة الفتاة على عنادها وفشلت الوساطة الاولى ، أو ظهر « خاطب » جديد ذو نفوذ ينافسه .

وعند ظهور القلق يبقى الانتباه ملازماً للمهمة الأصلية ، لكنه يتجه نحو الوسائل التي تضمن تحقيقها اكثر من اتجاهه نحو الغاية نفسها . عندئذ يفكر الفرد بمجد في الخطر الذي يجابهه ، ويحاول ابتكار مختلف الوسائل والاساليب التي تمكنه من مكافئته والتفوق عليه .

وسرور النجاح الذي كان يصاحب الثقة ، ويرافق الامل ، قد ينقلب في حالة القلق الى شعور بالألم من الفشل المحتمل حدوثه ، ونتائج السيئة . أو يبقى يتناوب واياه في الشعور .

القنوط Despondency : واذا ما اشتدت الصعوبات وتقوت في طريق الرغبة انتاب المرء شعور بالقنوط ، الدال على التشاؤم والفرع . كما لو ظهر اخيراً بأن والددة الفتاة امرأة عنيدة جبارة ذات سلطة ونفوذ

ليس على ابنها فحسب ، بل على زوجها ايضاً ، ولم يمكن اقناعها بلزوم تغيير موقفها العدائي « نحو الخاطب » المتيّم الذي كان ، وما يزال ، يعلق على هذا الزواج اكبر الآمال .

في هذه المرحلة يصيب النشاط فتور ملحوظ ، وتضعف فعالية الانسان ، وتقل حيويته عما كانت عليه من قبل نتيجة الألم الشديد الذي حل به من أثر تعاضل أخطار الفشل ، والعجز عن حل المشكلة القائمة في تحقيق رغبته ، وبلوغ قصده وهدفه المنشود .

اليأس Despair : واذا ما تحقق الشخص في النهاية ، أن الفشل واقع لا محالة ، وأن كل أمل بالانجاح قد خاب ، بلغت الرغبة فيه مرحلة اليأس . واليأس يذهب حينئذ بقوته كلها ، ويضيع حيويته وفعاليتيه بكاملها ، ويجعله يقف أمام رغبته هذه مكتوف اليدين ، مستسلماً للاقدار والنتيجة المحتومة^(١) . وقد تؤثر فيه الخيبة المرة أحياناً فتفقده رشده وصوابه ، وتجعله يبكي وينوح ويولول ، كالاطفال ، وينسحب سوء طالعاه ، كالصغار .

أو ان الفشل الذريع الذي انتهت اليه رغبته قد يدفعه مراراً للانسحاق وراء غرائزه الوحشية ، فينقلب حيواناً خطراً ، عاجزاً عن ضبط نفسه ، يرتكب الاتم عن غير وعي ، ويقترب الجريمة دون تبصر ومن غير اكترأث بآثارها وعواقبها ويعتبر. اليأس نقطة تحول خطيرة في سير الرغبة يجعل اليأس يتحول بنظره وفكره الى الخلف بعد أن كان متجهاً بها

(١) فقد ثبت أن الألم يضعف النشاط ويقلله . أما السرور فيضاعفه ويزيده .

من قبل دوماً الى الأمام ، وينتقل الى البحث عما مضى وفات بدلا من العناية في امور المستقبل كما كان يفعل في المراحل الاولى .

الأسف والندامة Regret : لكن بلوغ مرحلة اليأس لا يعني

دائماً أن الرغبة الأولى قد اندثرت من النفس وطمست معالمها فيها ، فهي قد لا تموت ، رغم الفشل ، وتظل دائبة الحركة والنشاط ، رغم الخيبة وزوال الأمل ، ويتحول عملها الى التأسف على ما وقع ، والحسرة على ما حصل ، والندامة على ما فات . وقد يسترسل المرء عندئذ فيلوم نفسه أو غيره على ما بدا من قصور في السعي والمحاولة ، أو تراخ وإهمال في مقارعة الصعوبات والعقبات وتذليلها والقضاء عليها . فتراه يخاطب نفسه قائلاً : لو انني فعلت « كذا » ، وصنعت « كذا » ، وسلكت طريق « كذا » ، واتبعت نصيحة « فلان » ، ولم أخالف رأي « فلان » لما تم الأمر على هذا الوجه المؤسف المحزن ، ولكانت النتائج ، في أية حالة خيراً من هذه الخاتمة وأفضل كثيراً .

تأنيب الضمير Remorse : واذا تمالى الانسان في محاسبة

نفسه على فشلها ، وعتابه لها على ما وقع منها ، فقد يصل في النهاية الى توبيخها وتأنيبها والقاء اللوم كله عليها ، الأمر الذي يدفعه أحياناً الى الاقدام على الاقتصاص منها ، ومجازاتها ، ومعاقبتها بقسوة وصرامة كما يفعل المتنحرون الفاشلون في مضمار الحياة ، العاجزون عن تحمل المصائب والصدمات بصبر وشجاعة .

ولقد فات هؤلاء وأمثالهم أن الحياة كفاح مستمر ، وجهاد دائم ،

ونضال لا ينقطع . انها كر وفر أبداً ، لا تبقى على حال واحدة ، كثيرة التقلب والتحول والتغير والتبدل ، وأن من يصيبه الفشل فيها مرة فقد يسمده الحظ فيما بعد مرات ، ومن أخطأ المرمى حيناً فقد يصيبه بعد ذلك ويبلغه دون عناء . وأنه لن يبلغ في الحياة أحد مرتبة أو مقاماً ، ولن يحقق امرؤ أملاً أو غاية الا اذا تحلى بالصبر ، والثبات ، والاناة ، وتابع السعي الكرة بعد الكرة ، والمرة تلو المرة . يمثل هذا يتم النصر ، في هذا العالم ، ويتحقق الفوز ، ويبلغ الانسان النجاح والظفر في الحياة ^(١) .

خاتمة :

فهذه الافعالات ليست اذن ، كما قلنا ، من الافعالات الأولية ، أو المركبة ، الدافعة الى السلوك والنشاط ، ولا تعبيراً مباشراً لأي تهيج غريزي أو فطري ، انها اشكال خاصة للرجبة المقترنة ببعض الافعالات القوية التي لم يتم اشباعها أو كبثها ، وفقاً للمراحل المختلفة التي تمر بها هذه الرغبة ، والظروف والأحوال التي تكتنفها .

والقائدة من دراسة الأفعال المشتقة كبيرة في الحياة الاجتماعية . فهي قدرات تساعد الفرد على تمييز حالاته الشعورية في الظروف المختلفة

(١) اذا انتج الفشل خسارة حبيب ، أو فقد عزيز ، أو تلف شيء . غال نفيس شعر الانسان عندئذ بالحزن العميق Sorrow . واذا أنتج النجاح كسب حبيب ، أو بقاء عزيز أو سلامته ، أو ضمان شيء . غال نفيس شعر بالفرح Tender Feeling وهو يقترون غالباً بانفعال « الثقة » ، ويدل على أن الرغبة تسير في طريقها دون مقاومة ، بنجاح محقق .

التي تعترض سيره وتقدمه في حياته ، وتيسر له أسباب التبصر Insight في آثار نزعاته وعواقب رغباته ، وتعيين السبل التي ينتهجها في تحقيق ميوله وتلبيتها ، وتنفعه في ضبطها وتوجيهها ، وتحمله على أن يعد للمستقبل عدته ، ويتأهب للملاقاة الشدائد برحابة صدر ، ومقابلة مفاجآت الأيام بشجاعة وصبر ، وترشده الى اجتناب ما يحدته القنوط من أحزان وآلام . وتحذره مما قد يدفع إليه اليأس من شذوذ ونشوز وشطط واجرام ، وتفرض عليه اهتبال الفرص ، ومعاودة الكرة من جديد ، فذلك خير من الأسف والندامة على ما فات ومات ، وأولى من الشكوى والقعود عن السعي .

كما تفيد هذه الاقترانات في أن يفقه الفرد حالات الآخرين ، ويدرك طبيعة ميولهم الحركية ، وكنه اتجاهاتهم ، وضمايرهم^(١) . فيسهل عليه التعامل والتفاهم معهم ، والاندماج بهم ، والانسجام فيهم .

وهي ، من ناحية أخرى ، أعظم ما تكون نفعاً وفائدة للطبيب أو المعالج في بحث روح الامل في مرضى النفوس ، وذوي الاجسام المعتلة والعقول المختلة ، والاخلاق المنحرفة ، وتقوية ثقتهم بشفايتهم ، وإيمانهم برجوعهم يوماً الى جادة الصواب والرشد ، وبلوغ الصحة والعافية والسعادة ، والتوافق السليم مع البيئة ، والعيش بنجاح في المجتمع .

٣ - الميول الفطرية العامة

General Innate Tendencies

الى جانب الفرائز الخاصة التي عددناها ، والاقترانات الاولى والمركبة التي ذكرناها يوجد في الانسان استعدادات فطرية اخرى لها

أعظم الاثر في تحديد سلوكه ، وتعيين أعماله وسبل نشاطه ، تعرف بالميل الفطرية العامة ، أو الميل البدائية . وأهمها ثلاثة هي : الانحاء والمشاركة الوجدانية ، والمحاكاة وهي جميعها أشكال من تفاعل عقلي يحدث بين شخصين على الأقل يكون أحدهما هو المؤثر ، أو القائم بالعمل الاصيل Agent والآخر هو المستقبل أو الوسيط Patient ، وتكون نتيجتها نوعاً من تمثيل Assimilation ، الافكار الموحى بها أو الانفعالات المقبسة ، أو الحركات المقلدة . واليك تفصيل كل منها .

الايحاء Suggestion

الايحاء عملية اتصال عقلي ينتج عنها تسليم الشخص بآراء وافكار ومعتقدات موجهة إليه من الغير ^(١) ، تسليماً مطلقاً من غير نقد أو تحليل ، وقناعته بها قناعة تامة دون جدل أو تمحيص .

مثال ذلك أن يقول أحد اصديقه : « انظر هذه الصورة كيف أنها جميلة ساحرة ! » فيجيبه الصديق على الفور : « حقاً انها كما تقول بديعة فاتنة » من غير دليل ظاهر فيها يبيح له قبول هذا الرأي وتصديقه . أو كأن يقول له : « ان فلاناً سيء الخلق » فيجيبه « صحيح انه فاسد قبيح » مع انه لم يره من قبل ، ولم يسمع عنه في حياته كلمة رديئة واحدة . ولم يدرك علماء النفس اهمية الايحاء في الحياة الاجتماعية . وشيوعه

(١) أما في الايحاء الذاتي Auto-Suggestion فان الافكار والآراء تأتي للإنسان من نفسه ذاته ، أي يستمدّها من عقله وتفكيره . (راجع بتر فلتشر ، الايحاء الذاتي ، - الترجمة العربية - بقلم شكري محمد عياد ، القاهرة . ووليم فيلدنج ، (راجع بتر فلتشر ، الايحاء الذاتي ، - دار العلم للملايين ، بيروت ، شباط ١٩٤٦) .

في الناس جميعا الا حديثا . فقد كانوا قديما يمتبرون القابلية للاستهواء
Suggestibility^(١) ظاهرة من ظواهر الحالات غير الطبيعية كالتنويم
المغناطيسي والتعب والمرض والنوم . أما اليوم فقد ثبت ان هذه القابلية
تظهر في كل فرد باستمرار ، وتتراوح عنده قوة وضعفا باختلاف
حالات صحته أو مرضه ، يقظته أو نومه ، صحوه أو غفلته ، ثقافته
وغزارة علمه أو جهله وقلة معلوماته^(٢) ، وباختلاف شخصية الموحى
واعتباره عنده Prestige Suggestion .

ولهذا فاننا نرى القابلية للاستهواء عظيمة في الأطفال لصغر عقولهم
وضعف ادراكهم ، وقلة تجاربهم ، وما يتمتع به الكبار في اعينهم ، من
تفوق ونفوذ ، وشعورهم في حضرتهم بالاستكانة والخضوع^(٣) ،
مما يحملهم على قبول ابياءهم وأفكارهم دون جدل أو نقاش وهم
استنادا الى وجود هذه القابلية فيهم ينجحون غالبا في اقتباس المعارف
والمعائد ، وتمثيل تقاليد البيئة وأفكار الجماعة .

كما يلاحظ ان الكبار أنفسهم يتصفون بمثل هذه القابلية ،
لا سيما ازاء الايحاء الجمعي Mass Suggestion ، وانها تدفعهم الى قبول
الآراء والمعتقدات الموروثة عن الاجيال السالفة ، ومراعاة العرف السائد

(١) العملية التي يقوم بها المؤثر تدعى ايحاء ، والعملية التي تجرى
عند الوسيط تدعى القابلية للاستهواء .

(٢) فالرجل البسيط الجاهل تكون قابليته للاستهواء أعظم مما هي
عند طالب الجامعة الذي لا يأخذ الافكار على علاتها ، ويحاول تمحيصها
وتحليلها . (٣) أما من قويت عنده روح
المشاكسة ، واعتاد على العناد والجدل فانه قلما يقبل الايحاءات بسهولة .

في المجتمع ، والتقييد بأحكام النظم العامة وقواعد الآداب والأخلاق .
وهناك نوع طريف من الإيحاء يعرف بالإيحاء المعاكس
Contra Suggestion وهو يفيد أن الوسيط يقبل عكس الآراء
والأفكار التي يوحى المؤثر إليه بها ، دون أن يتوافر لديه سبب منطقي
معتول يبرر له اتخاذ مثل هذا الموقف الغريب ازاءها .

مثال ذلك أن يأمر والد ابنه الصغير بالابتعاد عن النافذة ، فتراه
بدلاً من اطاعته ، يقترب منها ، ويلتصق بها . أو أن يرى شخص
رفيقاً له يعد العدة للسفر في قطار الظهيرة فينصحه بأن يسافر في قطار
الصباح ، وما أن يسمع رفيقه هذه « النصيحة » حتى يغير رأيه الأول
ويعتمد السفر في قطار المساء . أو أن يحذر استاذ تلاميذه من
مطالعة بعض الكتب أو المجلات الرخيصة المتبذلة فيندفعون من فورهم ،
بعد ذلك ، لشراؤها ومطالعتها .

وتبدو هذه الظاهرة العجيبة على فريق من الأطفال ، بعض
الأحيان ، ثم لا يلبثون أن يقلعوا عنها . لكنها قد تصبح في بعضهم ،
مرات ، عادة مستحكمة تنشأ عن جموح غريزة الاعتداد بالذات فيهم ،
أو نتيجة « عقدة » نفسية تكونت عندهم من أثر سوء استعمال السلطة ،
لا سيما الوالدية^(١) ، أو بسبب تقورهم بقوة وشدة من مداخلات الغير
في شؤونهم الشخصية ، وأمورهم الذاتية .

(١) راجع بحث « العقد النفسية » .

ومن محاسن هذا الميل البدائي في الانسان أنه يساعده على تحقيق الاستقرار والطمأنينة في نفسه ، ويزيل منها التوتر الذي يحدثه الشك والتردد ، وينفعه في مواصلة نشاطه بثقة وحزم .

المشاركة الوجدانية Primitve Sympathy

وهي تعني أن تنتقل الى الشخص نفس الاحساسات والانفعالات البادية على الآخرين عند ادراكه ظواهرها فيهم ، ومشاركته اياهم في مشاعرهم وحالاتهم الوجدانية عند ملاحظة أعراضها الخارجية . مثال ذلك حالات الضحك ، والابتسام ، والبكاء ، والتصفيق ، والركض ، والخوف^(١) التي تعتري الانسان ، ساعة يرى معالمها ماثلة عند غيره ، أو يشاهد مظاهرها بادية أمامه . أو كما يبدو واضحا في الحيوانات الجماعية Gregarious ، فما أن تصيح بعضها من أثر الخوف حتى تسمع صدى هذا الصياح تردده بقية أفرادها في كل مكان وصل اليه ، وترى معالم الخوف عندئذ بادية عليهم جميعا .

وتلاحظ ظواهر هذا الميل الفطري في الاطفال منذ سن مبكرة حين لا يكون تفكيرهم قد نما بعد الى درجة تمكنهم من ادراك معنى الانفعالات والوجدانات ، وفهم حقيقتها ومدلولها ، كأن يندفعوا في البكاء ساعة يشاهدون الأطفال يبكون ، أو تفر ثغورهم عن ابتسامة عذبة اذ يرون أمامهم الوجه الباسم الضحوك^(٢) .

(١) ان انتقال الانفعالات النفسية في الجماعات الكبيرة أسهل كثيرا من انتقالها في الجماعات الصغيرة .

(٢) وحين يتقدمون في العمر قليلا تبدو عليهم آثار المشاركة الوجدانية في الخوف ، وحب الاستطلاع . والغضب .

واقعد حاول بعض علماء النفس ، من جمله البروفسور جيمس ، أن يرجعوا المشاركة الوجدانية الى أصل غريزي ، واعتبارها انفعالا أوليا . الا أن مكدوجال وغيره من الثقات أبوا التسليم بهذا الرأي ، وهم يرون أنها من الميول الفطرية ناشئة عن تكيف خاص Special Adaptation للجانب المستقبل (Cognitive) لكل من الاستعدادات الغريزية الرئيسية ، تكيف يجعل كل غريزة قادرة على الاستثارة والظهور عند ملاحظة الحركات الجسمية الحاصلة بسبب تهيج الغريزة نفسها عند الآخرين .

ولا تدل المشاركة الوجدانية على صفات خلقية عالية ، فهناك أشخاص يظهرون شعور الحزن أو السرور الذي يلاحظونه بادياً على غيرهم ، من غير أن يحركهم ذلك لمحاولة تخفيف أثر هذا الحزن في نفوسهم ، أو استبقاء أسباب السرور عندهم . وان حساسيتهم تلك لا تدفعهم في مثل هذه الحالات إلا للانصراف عن أماكن الألم ، والابتعاد عن حلت بهم الفجيعه ، أو مصاحبة ذوي الحظ والمرح ، وأهل السرور والطرب ، طلبا للذة واللهو والفرح .

المحاكاة Imitation

هي تقليد الفرد تقليداً ايجابيا فعليا ، أعمال فرد آخر ، وحر كاته ، وأساليب سلوكه ، كالأكل ، والمشي ، واللباس ، والحديث . ويظهر هذا الميل الفطري قويا بين المجتمعات البشرية - خصوصا الأطفال

والصغار^(١) . وما أعمال الأطفال وأفعالهم وحركاتهم ، في الغالب ، سوى نتيجة هذا الميل البدائي فيهم^(٢) .
ومن فوائد المحاكاة أنها تساعد الشخص على اقتباس التقاليد السائدة في بيئته ، وتمثيل العادات الصالحة ، وتحقيق التوافق السليم بينه وبين المجتمع .

خاتمة

لهذه الميول الفطرية العامة أثر كبير في حدوث الجريمة ، وأعمال التشرد ، لاسيما جناح الأحداث . فالصغار سريمو التصديق ، ذوو قابلية عظمى للاستهواء ومشاركة الغير في مشاعرهم الوجدانية ، ومحاكاة من يتصلون بهم ، ونسخ حركاتهم وأفعالهم . وهم كثيراً ما يشتركون في الجريمة بوحى من أفراد آنسوا فيهم السذاجة والضعف والقصور فاستغلوهم تحقيقاً لما ربههم ، وتنفيذ غاياتهم ومطامعهم .

فضلاً عما لهذه الميول نفسها من أثر كبير في عمليات التربية والعلاج والاصلاح . فإذا كانت الأفكار التي توجه للصغار والمرضى والجانحين والمتشردين والمجرمين صالحة نافعة ، والافعال التي تبدو أمامهم سليمة

(١) ويشاهد هذا الميل البدائي واضحاً في الحيوانات الجماعية كالقردة والنمل والنحل والكلاب

(٢) وهناك نوع

آخر من المحاكاة ينشأ عن التأثير الفكرى - الحركى Ideo-Motor كما يشاهد في حالة الوسيط أثناء عملية التنويم ، فهو يقلد كل حركة يقوم بها الطبيب المنوم اذا طلب اليه ذلك . ويقال أن بعض سكان الملايو مصابون بمرض يدعى « لاته » Latah يجعلهم يسلكون سلوكاً مشابهاً للوسيط المغناطيسى .

سوية ، والأعمال التي تمارس في حضورهم سارة مفيدة ، سلكوا مثلها
واقتبسوها ، ونسجوا فيما بعد على منوالها . الأمر الذي يقضي على الآباء
والمربين أن يتجنبوا الإيحاءات المؤذية لأطفالهم وأبنائهم ، ويمتنعوا
عن سرد القصص الخرافية التي تورث الرعب والفرع فيهم ، كحكايات
الجن ، والغيلان ، والعفاريت ، ووجوب العناية والاهتمام باختيار البيئة
الحسنة لهم ، يحصلون فيها على التربية الصحيحة الراقية ، والنشأة الحميدة
الفاضلة ، وإلا فسدت طباعهم ، وانحرفت أخلاقهم ، وساء سلوكهم ،
وجنحوا للأنثم والرذيلة والخطيئة .

الباب الثالث

أنحراف الخلق

من الاستعدادات الفطرية التي أتينا على بحثها وتفصيلها تنبت الاستعدادات المكتسبة ، أو القوة الخلقية في الانسان . وهذه لا تقل بدورها أثراً عن القوة الفطرية في توجيه سلوكه ، وتعين سبل نشاطه وتوافقه مع البيئة ، وتعامله مع المجتمع تعاملاً ناجحاً ، أو فاشلاً .

تعريف الخلق

لم تتفق كلمة العلماء على تعريف الخلق . فمنهم - مثل برت - من لا يميز بينه وبين المزاج ، ومنهم - مثل ماكدوجال - من يشير إلى كثير من الفوارق بينهما ، أهمها أن الأحوال المزاجية موروثه قلما يمكن تغيير أصلها وتعديل جوهرها ، في حين أن الخلق برمته مكتسب ، من الميسور تعديله أو تبديله .

ويعرف ماكدوجال الخلق بأنه جزء هام من الشخصية ، يتألف من جهاز نفسي منظم للجوانب الوجدانية - الحركية - Affective Conative للفرائز البشرية ، يقوم على أساس من الاستعدادات الفطرية من جهة ، وعوامل البيئة الشخصية والاجتماعية والطبيعية والتاريخية والاقتصادية وغيرها من جهة أخرى . وهو إما أن يكون قويا ، منظماً ، منسجماً مع بقية أجزاء الشخصية ، متجهاً نحو أهداف رفيعة ومثل

راقية ، أو يكون ضعيفا ، مفككا ، منحرفا نحو الشر والذيلة ،
والغايات الفاسدة الرديئة^(١) .

ويرى وليم براون أن الخلق جهاز ينظم الحياة الفردية ، ويعتبره
- بهذا المعنى - مرادفا للإرادة Will^(٢) .

ويقول نورود إيست أن الخلق هو القوة السائدة التي تنظم
السلوك البشري ، وأنه عنصر أساسي في حياة الفرد ، يشاهد منحرفا
لدى المراهقين والاشخاص ذوي المزاج الغير المستقر ، ويعتبر من أسباب
جرائم القتيان والكبار ، وعلة عدم توافقهم في المجتمع .

من هذه الأقوال يتبين أن الخلق جهاز مكتسب يتكون بفعل
التجارب التي يمر بها الفرد في أدوار حياته ، والخبرات التي يمارسها في
مراحل نموه وتطوره ، والتربية التي ينالها ، والعلم الذي يحصل عليه ،
وظروف البيئة التي يعيش فيها .

ففي بدء حياة الانسان تبدو حركاته وأفعاله بدائية ، تتفق وطبيعة
الفرائز الوحشية وانفعالاتها الأولية كسرعة الغضب ، والعنف ، والبكاء
والتخريب ، وأعمال الاعتداء ، وطلب اللذة بأي ثمن . غير أنه كلما
كبر ، ونما ذكاؤه ، يعمد الى تغيير هذه الردود الطفلية ، اذ يراها ضارة
غير ملائمة ولا مجدية ، ويستبدلها بأخرى جديدة توافق الضرورات
الاجتماعية ، ومقتضيات البيئة والواقع ، وقواعد السلوك والآداب العامة .

(١) ماكدوجال ، علم النفس الاجتماعي ، المصدر نفسه ، ص ٤٣١

(٢) نورود ايست ، المصدر نفسه ، ص ٣٦-٣٧ .

ويتم تكوين الخلق عند المرء بتأثير الانطباعات المختلفة المتكررة التي تحدث في نفسه سواء في المنزل أو المدرسة أو المجتمع ، وغلبتها في الصراع الدائر بينها وبين الغرائز الأصلية ، والميول الفطرية .

عناصر الخلق

يتألف الخلق من عناصر كثيرة أهمها : العواطف ، والمعادن ، والعقد النفسية . وهي جميعا تعتبر ، في بعض الحالات ، من عوامل الجريمة الرئيسية ، وعلل كثير من الأمراض النفسية والعصبية كما سيأتي معنا .

الفصل الاول

العواطف

Sentiments

تعريف العاطفة

العاطفة استعداد وجداني مكتسب ينشأ عن اتحاد مجموعة من
الاتصالات المتعددة، وانتظامها حول موضوعات خاصة معينة ، كالأشخاص
والجماعات والأشياء والأفكار المجردة ، تدفع صاحبها للقيام بسلوك محدد
معلوم ، ثابت تقريباً ، ازاء هذه الموضوعات وفق ما تقتضيه الظروف
والأحوال المختلفة . انها ، والحال هذه ، اذن نمو حادث في التكوين النفسي
Psychic Structure لم يكن موجوداً في التكوين الفطري الموروث
كحب الولد أمه ومدرسته والعبه ، والشاب امته وبلاده ، والشعب
أمليكه وولي عهده ، واحترام التلميذ استاذة والموظف رؤساءه .

أوجه الفرق والشبه بين العاطفة ، والانفعال (الغريزة) ، والعادة

تشبه العاطفة الانفعال في انها تعتبر من دوافع السلوك مثله ، وتكون
مصحوبة عادة بتجربة انفعالية ، تكون اما ضعيفة هادئة ، أو عنيفة ثائرة .
وتفترق العاطفة عن الانفعال من جهة وجوه أهمها :

١ - الانفعال فطري وراثي ، ينبعث دون تبصر أو تدبر ، ولا
يعتمد على تجربة ، أو يتوقف على خبرة أو تعليم ، كانهمال الخوف من
زئير وحش كاسر ، أو الغضب نتيجة استفزاز مباشر . أما العاطفة فلا تنشأ

إلا من الممارسة والتجارب والمران . فحب المليك والوطن عاطفة تتكون بفعل التربية الوطنية ، وحب الفضيلة والخير عاطفة تنبت وتنمو بقوة التهذيب والتثقيف .

٢ - الاتفعال مجرد استجابة معينة لموقف عارض طارئ ، يزول بزواله ، في حين أن العاطفة استعداد دائم - تقريبا - للقيام بنوع خاص من الاستجابات المنظمة وفقا للحالة الشعورية الراهنة ، وطبيعة المنبه الخارجي . فاتفعل الشهوة مثلاً تهيج عابر وقتي يستثار عند وجود مؤثر عرضي ، أما عاطفة الحب فتكون جزءاً من النفس ، وشطراً من تكوين العقل Mental Structure ، تقترن بحالات كثيرة من المشاعر المختلفة إزاء الموضوع Object ذاته ، ولا تقتصر على الشهوة فحسب . أنها - كما قلنا - جهاز منظم للاستعدادات الاتفعالية في مجموعات Systems تركزت حول موضوعات خاصة .

فالولد الصغير الذي يشاهد في طريقه حصاناً جامحاً قد يشعر باتفعال الخوف منه ، ثم لا يلبث أن يعود إلى الهدوء والطمأنينة عند تقييده ، أو الابتعاد عنه . أما حبه لوالدته فعاطفة قوية ثابتة تدفعه باستمرار لأن يشعر بالسرور في قربها منه ، والالم في ابتعادها عنه ، والقلق عند مرضها ، والفرح بشفاؤها ، والسعادة لهنائها ، والحزن إذا أصابها مكروه أو حلت بها خسارة .

٣ - المواطن أقوى فعلاً وأعظم تأثيراً في تكوين الشخصية

من الافعال . فالشخصية القوية المتكاملة انما تركز على دعاء من العواطف الطيبة ، وحسن تنظيمها . ومن تكونت فيهم عواطف حب الحق ، والخير ، والفن ، والجمال ، والعلم ، والوطنية وأمثالها يبدون - لا شك - في نظر المجتمع ، الذي يقيس الرجال بمعايير الخلق والكفاءة والعمل الصالح ، لامتياز « الثروة » و « العائلة » و « الكراسي » ، أقوى شخصية ، وأرفع قدراً ومقاماً من أولئك الذين نمت فيهم عواطف حب الظلم ، والشر ، والقبح ، والجهل فشبوا جناة أشراراً ، يعيشون في الارض فساداً^(١) .

وتشبه العاطفة العادة الحركية في أنها ليست ، في الواقع ، سوى عادة وجدانية مكتسبة ، توجه الشخص ، كالعادات ، لتحقيق غرض خاص ، وانتهاج طريق معين في شعوره وتأملاته وعلاقاته بالمجتمع . غير أن العاطفة اذا لم تستأثر بمشاعر الفرد وملكاته وتحول في نفسه إلى هوى Passion فلها تبقى أكثر مرونة من العادة ، وأيسر تعديلاً وأسهل تبديلاً^(٢) .

تكوين العواطف

تتكون العواطف نتيجة الخبرة المتكررة المتصلة بموضوعاتها . فعاطفة الطفل نحو امه انما تنشأ عنده بسبب ملازمتها له ، وسد حاجاته وتلبية طلباته ، وتحقيق رغباته ، والعناية به ، والحدب عليه ، وتدليله ،

(١) يوسف مراد ، المصدر نفسه ، ص ١٤٣-١٤٦ ، ومحمد عطية الابراشي وحامد عبدالقادر ، في علم النفس ، الجزء الثالث ، ص ٢١٦-٢١٩ .
(٢) راجع بحث « العادات » .

والنفاني في خدمته وتربيته . انه يمر في صلته بها في خبرات متعددة
تتكرر صورتها في كل منها ، وبذا تنمو في نفسه عاطفة خاصة نحوها ،
تكون هي مركزها ، وعنصرها ما فيها . وتستثار هذه العاطفة عنده
في مواقف مختلفة ، تتعلق بها ، ويتبع هذه الاستثارة الشعور بانفعال
يختلف باختلاف الموقف ، والقيام بسلوك يلائمه ويوافقها ^(١) .

ولا تنشأ العاطفة منفردة ، منفصلة عن غيرها ، بل انه يرافقها
ويصاحبها عواطف كثيرة أخرى ، منها ما يؤيدها ويوافقها ، ومنها ما
يناهضها ويعارضها ، وتظل في صراع دائم بعضها مع بعض . فقد
يتكون لدى الفرد عاطفة حب لبلاده ، وعاطفة حب لنفسه ، وعاطفة
حب لأبويه ، وعاطفة حب لزوجته وأولاده ، وعاطفة حب للمال ،
وعاطفة حب للمجد والشهرة ، وعاطفة كره للشر والذيلة ، وعاطفة
احترام لاصدقائه ، وعاطفة شفقة على الضعفاء ، وعاطفة حب الخير
والاحسان ، وغيرها .

كما ان كل عاطفة من هذه العواطف ، مهما سمت ، لا بد ان تحمل
في ثناياها بذور العاطفة المناقضة لها . فالشفقة تكون دائما ممزوجة بشيء
من القسوة . والمطف بشيء من التعذيب ، والحب بقابل من البغضاء ^(٢) .
فالعواطف اذن تبدو اما ممزوجة مترابطة Mixed أو متناقضة
Ambivalent ، وتبقى ذات وجهين أو حدين ، وكلما توجد عاطفة

(١) القوصي ، المصدر نفسه ، ص ٩٩-١٠٠ .

(٢) يوسف مراد ، المصدر نفسه ، ص ١٤١-١٤٥ .

حب كاملة أو كره بسيطة . وانه ليظهر على الطفل الصغير ، غير المستقر ، كلا هذين المظهرين بوضوح وتساو تقريبا ، فهو قد يبدي نحو مربيته يوما حبا متناهيًا ثم لا يلبث ان يواجهها بكره شديد في اليوم التالي . كما نلاحظ أن الوالد يصفع ابنه أحيانا اذا اذنب ، والبنت تغضب من امها اذا أذنبها على أخطائها .

وهذا الصراع الذي يحدث في داخل الانسان بين مشاعر الحب والبغض ، والنفور والاحترام أو غيرها ، يسبب توترا في النفس قد يصبح يوما ما صعب الاحتمال ، ويجد الانسان أن عاطفة الحب القديمة قد تحولت في النهاية ، عند أول شرارة ، الى كره ونقمة شديدين .

تطور العواطف

لكل عاطفة حياة تاريخية ، ككل نظام حيوى . انها تتكون ببطيء ، وتزداد قوة وتمقيدا ، أو هي قد تدخل في دور الانحلال ، ويصيبها الفتور ثم لا تلبث أن تنجو بعد ذلك سريعا وتمحي معالمها من نفسه ، وتزول آثارها .

وتتطور العواطف بنمو الشخص ، ونمو خبرته ، فتكثر وتزداد كلما اتسعت دائرة تجاربه ومرانه واتصاله بالحياة والمجتمع . فعواطف الطفل الاولى تقتصر في بادئ الأمر على امه ثم تشمل أباه ، فبقية افراد الأسرة ، فالأقارب ، فزملاء اللعب ورفاق المدرسة ، فالاساتذة

والأصدقاء والرؤساء والزوجة والأولاد والبلدة والوطن ، وقد تشمل العالم بأسره (١) .

أنواع العواطف

العواطف اما ايجابية أو سلبية ، أي انها اما عواطف حب وجاذبية او عواطف كره ونفور . لهذا فان العواطف الرئيسية في الانسان هي الحب ، والكراهية ، وتتخذ أشكالا مختلفة تبعا لموضوعها Object ، فيما اذا كان شخصا كحب الطفل والديه أو كره أحد زملائه ، او جماعة كحب الفرد أسرته وأمته وأساتذته أو بغض احدى الطوائف أو الجمعيات ، أو فكرة معنوية مجردة كحبه للعلم والخير والفضيلة أو كرهه للشر والذيلة ، أو شيئا من الاشياء كحبه كتابا من الكتب العلمية ، أو مجلة من مجلات الفنون الجميلة ، أو حديقة من حدائق المدينة ، أو نقوره من أحد الافلام أو احدى دور السينما .

فالموضوع الذي يرتبط تكراره بخبرات في مجموعها سارة تتكون حوله عاطفة حب ، والموضوع الذي يلاقي الفرد في تكراره خبرات في مجموعها مؤلمة تتألف حوله عاطفة كراهية .

ومن العواطف الأخرى المألوفة في حياتنا عواطف الاحترام والاعجاب ، والصدقة ، والاحتقار ، وغيرها .

العواطف المادية والمعنوية

والعواطف على وجه العموم اما ان تكون مادية أو معنوية .

(١) ماكدوجال ، علم النفس الاجتماعي ، المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .
 • برت المصدر نفسه ، ص ٥٣٨-٥٤٠ ، القوصي ، المصدر نفسه ص ٩٩-١٠٠ ، يوسف مراد ، المصدر نفسه ، ص ١٤٣-١٤٥ .

فالمادية تتعلق بالأشخاص والجماعات والأشياء والمحسوسات ،
والمعنوية تختص بالأفكار المجردة والمسائل المعنوية الصرفة كالفن والجمال
والصدق والشرف والحق والعلم والخير والاحسان .

والمواطف المادية نوعان : فردية وجمعية . فالفردية ما تتجه نحو
كائن خاص بعينه ، والجمعية ما تشمل مجموعة من الكائنات أو الأفراد .
مثال الاولى عاطفة الزوج نحو زوجته والأخ نحو أخيه ، أو الجد نحو
حفيدة . ومثال الثانية عاطفة حب الاطفال او المستشفيات أو الكتب
أو المساجد ^(١) .

العاطفة السائدة Master Sentiment

توجد لدى الفرد عادة عاطفة رئيسية واحدة ، يطلق عليها العاطفة
السائدة ، توحد وجهة المواطف والنزعات الغريزية المختلفة ، كحب
المال ، أو العلم ، أو الوطن ، أو حب الذات .

فمن سادت في نفسه عاطفة قوية نحو المال مثلاً تراه لا يهتم في
حياته إلا بجمع المادة وادخارها ، يسعى إليها دون كلل أو ملل ، ويعمل
جاهداً في الاحتفاظ بها وعدم انفاق شيء منها . وهو يصادق من
يساعدونه في كسبها وتوفيرها ، وينفر ممن لا يجد عندهم منفعة أو فائدة
وغنى . وبالأجمال فإن نشاطه العقلي ، وسائر ضروب سلوكه ، وعلاقاته
الاجتماعية تتجه جميعاً نحو هدف رئيسي عنده ، هو اشباع العاطفة
السائدة فيه .

(١) القوصى ، المصدر نفسه ، ص ٩٩-١٠١ .

ومن أحب العلم حبا وافرا ، وجعله غاية هامة في نظره ، انصرف الى طلبه بلذة صحيحة ، ورغبة أكيدة ، فهو دائب الدرس والبحث والالتاج ، لا تؤثر فيه الصعوبات والمتاعب التي يواجهها ، ولا يجد الكلل أو السآمة الى نفسه سيلا .

عاطفة اعتبار الذات Self-Regarding Sentiment

أما العاطفة التي مركزها فكرة المرء عن نفسه فتدعى عاطفة اعتبار الذات ، وهي التي يشعر الانسان ، عند استئثارها ، بالغضب من نفسه وحقنه عليها ان هو ارتكب خطيئة ، أو اقترف اثماً ، أو فعل جرماً ، وبالسرور ان حقق ما تريده ، وجلب لها الرضا والارتياح ، كمحافظته على الآداب ، ومراعاته للنظم والتقاليد ، واتباعه أحكام الدين والقانون . ويمتبر مكدوجال هذه العاطفة المنظم الأساسي لنشاط الانسان وسلوكه ، وانها القائد الأعلى لنزعاته ورغباته كافة ، تتوقف عليها قوة شخصيته ، ووحدته أفعاله ، وتكامل ميوله واتجاهاته^(١) .

وتربي عاطفة اعتبار الذات هذه الى الظهور بالمظهر اللائق في البيئة وبين الجماعة ، سواء في اللبس ، أو الحديث ، أو الذكاء ، أو الخلق ، أو السلوك بوجه عام .

فمن قويت عنده هذه العاطفة ، وتكونت فيه بشكل راق ، أُنقمت نفسه الدنيايا ، وعافت كل ما يجلب لها الخزي ، وانصرفت عن طلب

(١) وهذه العاطفة قريبة من « الانا الاعلى » في مدرسة التحليل النفسي ، و « الضمير الاجتماعي » في رأي أدلر .

الذات العابرة في سبيل تحقيق لذات آجلة أشرف مقصداً ، وأنبيل غاية . وضحت بكل مرتخص وغال من أجل السكرامة الذاتية ، وطماً نينة النفس . وتقبلت عن رضا وطيبة خاطر كل ما تلاقيه من مكاره وصعوبات في سبيل المثل الأعلى .

ويتوقف نشوء هذه العاطفة ، البالغة الاهمية في سلوك الانسان وتقرير مركزه الاجتماعي ومصيره ، على التفاعلات المستمرة الحاصلة بينه وبين عوامل البيئة التي تكثفه ، لا سيما الوالدين في زمن الطفولة المبكرة - وخصوصاً الام - والمعلمين والمربين والرفاق ، في أيام الصغر والحدانة . وهي تتكون من أثر اللذة والألم ، والثواب والعقاب ، والمدح والذم وعلامات الرضا والاستياء ، والتفكير الذاتي ، في المراحل المختلفة التي يمر بها الفرد في حياته .

ففي المرحلة الاولى من مراحل الحياة البشرية يتعدل سلوك الفرد بعامل اللذة أو الألم من الأشياء ذاتها التي يقوم باختبارها . فالولد الصغير يحب كل ما يكون ساراً ، حلواً ، لذيق الطعم ، بهيج المنظر كقطع الحلوى ، والدمى ، وبعض الألعاب ، وينفر من كل ما يحدث له الألم والاشمزاز كالأطعمة المرة أو المقاقير ذات الرائحة الكريهة .

وفي المرحلة الثانية يتأثر السلوك ويتعدل نتيجة الثواب والعقاب . فبعد أن يكبر الولد قليلاً يلاقي ثواباً على أعماله الحسنة وأفعاله الرضية وعقاباً على اساءاته وشروره . فهو ان حافظ على النظافة ، واطاعة والديه

لم يؤذ اخوانه ، ولم ي تلف ألعابه قابله والداه على ذلك بشراء ألعاب وهدايا جديدة له ، أو احضار بمض الحلوى اليه . وان هو لم يفعل شيئاً من ذلك لقي جزاءه الحرمان من هذه المكافآت ، أو تأديبه ومعاقبته . عندئذ يتهذب سلوكه نتيجة اللذة الناجمة عن المكافأة ، أو بفعل الألم الذى أحدثته المجازاة فيه . ويراعي فيما بعد تكرار ما يجلب له السرور والثواب ، ويتجنب ما يعود عليه بالتكدير أو العقاب .

وفي المرحلة الثالثة ينتاب السلوك تطور جديد من أثر المدح أو الذم ، وعلامات الرضا والارتياح أو إمارات الغضب والاستياء . فترى الطفل يقدم على الأفعال التى تلاقي قبولا ورضاً ، ويحجم عما يورث السخط والاستنكار ، ويهتم بالسلوك الذى يوافق الجماعة ويلائم أفكارها ويطابق نظمها وتقاليدها ، ويتجنب ما يخالف ذلك مما يعود عليه بالنقد واللوم والتقريع والعقاب .

في هذه المرحلة الاخيرة تتكون عاطفة اعتبار الذات ، أو فكرة المرء عن نفسه ، مشتقة من تفاعلاته المستمرة مع المجتمع . فكل فعل صالح في نظر الجماعة كالصدق والامانة والنظافة يراه هو صالحاً يجب عليه عمله ، وكل عمل فاسد في رأي المجتمع كالسكذب والسرقة والغش يعتبره هو فاسداً يتحتم عليه الامتناع عنه . وهو حين يفعل الخير ويتجنب الشرور يشعر بالارتياح والمسرّة من نفسه ورضائه عنها ، ومحافظته على اعتبارها في نظره ونظر غيره .

أما اذا اجتنب الخير وفعل الشر فانه يحس بالاثم ، ويشعر بالخطيئة ومنافاة ذلك لاعتباره الشخصي ، ومخالفته لقيمة نفسه ، وفكرته عنها .

ويقف كثير من الناس عند هذه المرحلة فلا يعملون إلا ما يرضى عنه المجتمع ، يتحاشون سخطه ونقده ونقمته . إلا أننا نلاحظ أحيانا أن البعض منهم يرتقون الى مرحلة أعلى منها ، يعملون فيها ما أمرهم الله وأنزله عليهم ، أو ما أوحى به اليهم أفكارهم الخاصة ومبادئهم الذاتية ، وعقائدهم الفردية ، من غير اكتراث بالشواب الذي يستحقونه عليها أو العقوبة التي تنزل بهم بسببها ، ومن دون اهتمام بما ينالهم من مدح أو يصيبهم من ذم ، ومن غير مبالاة برضاء المجتمع عنهم وتقديره اياهم أو تنكره لهم وسخطه عليهم . وان هذا ما يتصف به عادة الأنبياء والرسل والفلاسفة والمصلحون^(١) وإلى هؤلاء وامثالهم من القادة والزعماء ورجال الفكر وعظماء التاريخ ، وما تحلوا به من جرأة تفوق حد الاعجاب ، وتحمل لما يعجز عنه الانسان العادي من الأذى والاضطهاد ، وثبات على العقيدة الصالحة حتى النهاية ، والصبر على المكارة والآلام دفاعاً عن المثل السامية والمبادئ الراقية والاهداف النبيلة التي أمر الله بها وحض عليها ، ليرجم الفضل الأكبر في انتقال البشرية من أدوار الكفر والاحاد التي مرت بها ، الى عصور الايمان والتوحيد ، ومن مراتب المهجية والوحشية والجهل والعسف والاستبداد الى درجات الرقي والتقدم والمدنية والحضارة والديمقراطية التي وصلت إليها .

(١) القوصي ، المصدر نفسه ، ص ١٠٦-١٠٨ .

عاطفتنا الاحترام والحب

لا تتضمن عاطفة الاحترام الحب ، ولا تشمل عاطفة الحب على الاحترام . فهاتان عاطفتان مختلفتان ، تتميزان عن بعضهما بعضاً .
فالاحترام عاطفة تتكون من انفعال مركب يتألف من اقتران انفعال الاعتداد بالذات بانفعال الخضوع ، ولا يشغل فيه انفعال الحنو Tender Emotion إلا حيزاً ثانوياً ، أو هو قد لا يشغل فيه حيزاً بالمرّة .
كاحترام التلميذ أحد أساتذته مثلاً فإنه ينشأ فيه نتيجة احساسه بقيمة نفسه من جهة ، وتفوق استاذة عليه من جهة أخرى . ولا يدل ذلك وحده على حبه له ، بل ان هذا التلميذ قد يكون كارهاً لاستاذة لسوء معاملته له أو لتقصيره في واجباته نحو طلابه ، واهماله في المحافظة على خيرهم ومصالحهم .

أما عاطفة الحب فإن انفعال الحنو هو أهم عناصرها الرئيسية ، وقواها الأساسية ، لا يمتزج به انفعال الخضوع إلا قليلاً ، أو هو قد لا يصاحبه بالفعل أبداً كحب المليك أو الوصي شعبه ، وحب الأم أطفالها ، وحب الأب أبناءه .

لهذا فإنه يجوز أن يحترم المرء شخصاً لا يحبه ، أو أن يحبه دون أن يحترمه . كما يجوز أن توجد عنده العاطفتان معاً ازاءه . مثال ذلك الموظف الذي يحترم رئيسه الذي يعجب بأخلاقه وصفاته ومزاياه ، وفي الوقت نفسه يحبه لحسن معاملته له ، وعطفه عليه .

ومما يجب الانتباه إليه ، في هذا الشأن ، أن الحب لا يتوقف على الشعور بانفعال الخنو فحسب ، بل على الفكرة التي كونها الانسان في نفسه عن موضوع حبه بأنه خير الناس ، وأحسنهم ، وأطيبهم ، وأفضلهم ، وأكرمهم ، وألطفهم . . . وما شاكل ذلك . فالألم تعتقد ، أو هي تحب أن تعتقد دائماً ، أن طفلها - أو طفلتها - هو أجل الأطفال خلقته ، وأوفرهم ذكاء ، وأخفهم حركة ، وأرقهم خلقاً وتهذيباً ، وأكثرهم كمالاً وآداباً ، وأنه يفوقهم كافة ، ويرجح عليهم جميعاً^(١) .

عاطفتا الهوى ، والمشاركة الإيجابية

إذا اقترن الحب بانفعال الشهوة ، وصاحبه الدافع الجنسي ، انقلب الى غرام أو هوى Tender Passion اذا كان موضوع الحب - عادة - من الجنس الآخر . كعاطفة « الخطيب » نحو خطيبته ، والزوج لزاء زوجته . ويرى الحب « المتيم » أبداً الى خير محبوبه وسلامته ، ويعمل على تحقيق هنائه وسعادته ، وتأمين نفعه وراحته ، ويود الاختصاص به وحده^(٢) .

وإذا كان الهوى ثنائياً ، متبادلاً بين الطرفين ، أصبح مشاركة وجدانية إيجابية Active Sympathy ، تدفع كلا منهما لظهار

(١) وهذا هو سر القول المأثور « القرد في عين أمه غزال » .

(٢) يقول ماكديوجال أنه يجوز أن تتعدد عواطف الغرام لدى الانسان فيكون له أكثر من موضوع واحد في آن واحد . لكن الغرام الذي يقتصر على شخص فرد يكون أشد وأقوى من الغرام الآخر الذي يشمل أشخاصاً متعددين - ماكديوجال ، مبادئ علم النفس ، (بالانكليزية) ، لندن ١٩٤٣ ، ص ٤٢٣ .

الاتصالات والاحساسات والتأثرات عنها التي يديها الفريق الآخر .
مما يؤدي إلى زيادة اللذة والسرور عندهما ، أو تخفيف الألم والحزن
في كليهما .

مثال ذلك : لو ان طالبا في الصف المنتهي من هذه السكينة قد نجح
في امتحاناته فاستحق بذلك الشهادة فإنه لا شك يطرب لهذه النتيجة
كثيراً ، وتراه عندئذ يسارع الى نقل هذا الخبر المفرح الى
« خطيبته » التي تنتظر فوزه وتمنى ظفره . وهو حين يبلغها اياه يعقد
أنه سيكون مدعاة لفرحها وابتهاجها ، وأن ذلك سيؤدي ، الى مضاعفة
فرحه الأول ، أو متماله على الأقل . انه ينشد اذن باخبارها عن
نجاحه ايجاد اللذة في نفسها من جهة ، ومضاعفة لذته هو أو
استكمالها من جهة أخرى . انه يرغب أن يشاركها في سروره ، ويستمد
من مشاركتها هذه مزيداً من السرور الجديد يضاف الى سروره الأول
فيتزايد عنده ويتضاعف .

وهي بدورها تغمرها موجة من البشر والغبطة ، حين تتلقى نبأ
ظفره وفوزه ، وتروم أن تزيد في فرحه ومسرته فيتهلل وجهها طرباً
ومرحاً . وما أن تلاحظ عليه علامات السرور المتزايدة بمشاركته له ،
المتضاعفة بسرورها ، حتى تزداد فرحاً وبهجة ، ويتعاضم السرور الأول
عندها ويتكامل .

فالشاركة الوجدانية في هذه الحالة قد كانت مدعاة لزيادة الفرح
والبهجة والسرور عند كل من « اليسانسيه » الشاب ، و « خطيبته »

التي تبادله الهوى ، وتعلق على زواجها به أعذب الأمانى ، وأطيب الآمال والأحلام .

ومثال آخر : لو أن موظفا قد بلغه نبأ إحاطته على التقاعد في وقت هو أحوج ما يكون فيه الى استمرار العمل فانه يشعر عندئذ بشيء غير قليل من الألم والحزن . وما أن تلاحظ زوجته الوفية الواعية آثار الهم بادية على وجهه ، إثر عودته الى المنزل ، حتى تبادره بالسؤال عما به ، والاستفسار عن سر كآبته ، فيعلمها الخبر اليقين ، ويشاهد في الحال آيات مشاركتها له في شعوره وألمه وحزنه ، وما كان لهذا الحادث المؤسف من وقع شديد في نفسها ، وتأثير عظيم عليها . ورغم انقعالها هذا فهي تتقدم ، من دون توان ، الى مواساته ، وتهوين الأمر عليه ، وتشجيعه على احتمال هذه الصدمة المفاجئة ، واعدة اياه بأن تعمل من جانبها على تخفيف آثارها ووطأتها ، وتوقي نتائجها وعواقبها ، وتسترسل في سرد أحاديث تكفل زوال ألمه ، ومحو معالم الأسى من فؤاده . فلا يلبث أن يشعر أن آلامه ، بالفعل ، قد خفت ، وأن الحياة لم تعد مظلمة كما كانت تبدو لناظريه منذ هنيئة . وقد لا تمضي عليه برهة حتى تعاوده ابتسامة وادعة خفيفة ، تتبعها عبارات تدل على الصبر والثقة بالمستقبل .

وهي ، من جانبها ، وقد أخذ منها الألم في بادئ الامر كل مأخذ تشعر من جديد بعد أن نجحت في مشاركة زوجها في همه وانفعاله وتهوين الصدمة في عينيه - أن ألمها ذاك قد قل عما كان عليه من قبل كثيرا ، وأن

قسطاً وافرآ من الهم الأول قد فارقها وهبط عن كاهلها .
فالمشاركة الوجدانية قد كانت مدعاة ، في هذه الحالة ، لتخفيف
الآلم عند الموظف « المتقاعد » ، وزوجته الحكيمة ، التي تتمنى له ،
على الدوام ، كل سعادة وهناء .

من ذلك يظهر لنا أن المشاركة الوجدانية الايجابية لا يمكن أن
تنشأ إلا بين شخصين قريين من بعضهما ، وهي حين تشاهد فيها فإن
عاطفة حب قوية لا بد أن تنبت معها ، وتنمو في تربتها ان لم تكن
موجودة قبلاً . وتبدو واضحة جلية - كما قلنا - حين يشعر كلاهما
بأفعالات متماثلة ، وردود متشابهة ، ازاء المنبهات الخارجية ذاتها ،
والمؤثرات نفسها .

وجدير بالذكر أن المشاركة الايجابية لا تتحقق إلا اذا كانت
عواطف الطرفين متوافقة ، وميوههما متقاربة ، وأمزجتهما واحده ،
وعقولهما متجانسة . ولكم رأينا اشخاصا يعيشون سوية سنوات طويلة
ولا صلة تربط بين عواطفهم ، ولا وحدة تصل بين نفوسهم وعقولهم ،
وترى الواحد منهم يقف شبه متفرج ازاء ما يصيب الآخر ، لا يبالي
بسروره ولا يتأثر لحزنه ، ولا يعبأ بسعادته وهنائه ، ولا يهتم بشقائه
وألمه ، ولا يكثر بحصائه وأسباب بلواه .

والواقع فإن الحياة التي تخلو من المشاركة الوجدانية تظل قائمة
يخيم عليها الظلام من كل جانب ، وتبقى عرضة للاضطراب الدائم

والانهيـار عند هبوب أول عاصفة . أو لآتفه الأسباب .
والمشاركة الإيجابية بعد هذا من أعظم مقومات الحب الصحيح ،
وأقوى أركان السعادة والهناء في الحياة ، لا سيما الحياة الزوجية ، ولها
صلة غير مباشرة في حوادث الاجرام . فانهدامها في الاسرة
- خصوصا - قد يكون سبباً في حوادث الطلاق ، وما تجره من الخلافات
بين الافراد والخصومات ، والاحقاد ، وما تدفع اليه من سلوك مضاد
للمجتمع ، والفشل في التوافق السوي مع البيئة ، والوقوع في الائم
والذنب والخطيئة أو التشرذم والاجرام^(١) .

المواطف والجريمة :

المواطف ، كما رأينا ، نوع هام من الدوافع المكتسبة ، يترتب على
تكوينها تعديل السلوك البدائي ، وتنظيم الدوافع الفطرية وتوجيهها
وجهاً جديدة تلاءم البيئة وتوافق الظروف والأحوال الاجتماعية .
وفي الواقع فإن معظم حركات المرء وافعاله وأوجه نشاطه لترجع في
نهاية الامر الى قوة عواطفه ، لا سيما العاطفة السائدة فيه ، وعاطفة
اعتبار الذات عنده . والمواطف هي التي تعين للفرد أهدافه الرئيسية ،

(١) وانه ليوجد رجال خالون من حس المشاركة الإيجابية ، وهم
يكتفون باظهار شعور الاعجاب ، أو التعجب والفضول ازاء احساسات غيرهم
ومشاعرهم ، من دون أن يشعروا نتيجة ذلك بشئ من اللذة أو المسرة .
كما أنهم لا يشعرون بلذة البتة ، أو بلذة قليلة ، حين يشاركونهم الغير في
انفعالاتهم . مثل هؤلاء يكونون عادة من المنطوين على أنفسهم ، يحبون
العزلة والانفراد ، ويقنعون بأن يدفنوا أفراحهم وأحزانهم في صدورهم -
ماكدوجال ، علم النفس الاجتماعي ، المصدر نفسه ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

وتقرر له مثله العليا ، وتمده بالحماس والحيوية اللازمين لبلوغها وتحقيقها .
كذلك فإن العواطف تكسب الانسان قسطا كبيرا من الثبات
والاستقرار . فبعد أن كان قابلا للتجاه في أية وجهة تميل اليها غرائزه ،
أصبحت غرائزه لا تستثار الا مرتبطة بموضوعات وأشخاص معينة
تهمه . وانه بدونها يبقى تحت رحمة الانفعال الأولي الذي يحدثه كل منبه
طارئ عابر . فتوحيد الانفعالات المختلفة ، وتنظيمها ، وتركيزها في
مواضيع وغايات معينة كفيل ، الى حد ما ، بضمان الاستقرار في
النشاط والسلوك .

فاذا أضاع الفرد احترامه لذاته ، أو اعتباره لنفسه ، عمدت
غرائزه الى أن تلعب دورها الفاشل في الحياة بحرية وطلاقة ، وجعلته
عرضة لأن يقدم على كل عمل غير خلقي ، ويقترف سائر
أنواع الجرائم .

ولقد تحقق برت أن وجود العواطف الرديئة في الشخص ،
كنفور من الخير والفضيلة ، وكرهه للنظام والقانون ، وحبه للشر
والرذيلة والفساد ، يعتبر أحيانا السبب الرئيسي ، أو الأوحد ، للجريمة .
وظهرت له آثار العواطف المنحرفة في ١٣٪ من حالات الأحداث
الجانحين .

أما العاطفة الخاصة نحو الجريمة ، أي حب الجريمة لذاتها واتخاذها
مهنة ، فهو أمر يشاهد في الكبار ، الا أنه نادر الحدوث بين الصغار .

والقمار هو الجريمة الوحيدة التي قد تنمو في الحدث فتصبح فيه عاطفة في سني الفتوة . وعندما يتخذ البالغ ، أو الحدث الكبير السن ، السرقة أو غيرها من أنواع الجرائم ، هواية لنفسه ، فإن عاطفته نحوها تكون كمعطفته نحو شكل من أشكال الرياضة أكثر مما تكون لديه تجارة رابحة ، أو حياة اختارها لنفسه عن روية وأناة ، أو تأمل وتفكير^(١) .

لهذا فن واجب المربين والمرشدين الاجتماعيين أن يعملوا على إنشاء العواطف الصالحة ، لا سيما في الأطفال ، ترتبط فيها غرائزهم بموضوعات مفيدة هامة ، كحب الأسرة ، والمدرسة ، والامة ، والوطن ، والمليك ، والوصي ، وولي العهد ، وإيقاد الحماسة في نفوسهم نحو أعمالهم وواجباتهم ، وتقوية شعورهم باحترام ذاتهم ، وتوجيههم نحو مثل عليا راقية نبيلة يسمعون جاهدين لبلوغها والوصول إليها ، فيخدمون بذلك أنفسهم ، ويفيدون قومهم وبلادهم .

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ٥٤١ - ٥٤٦ .

الفصل الثاني العادات

العادة حالة ذهنية ، أو وجدانية ، أو جسدية ، مكتسبة يصدر عنها عمل أو أعمال من صنف واحد ، دون تأمل وروية ، كالكتابة ، والقراءة والصبر عند الشدائد ، والتأني في الأعمال الخطيرة ، والسياسة ، والمشي . وإن قدراً كبيراً من سلوك الإنسان ، وحالات تفكيره ، يقوم على العادات التي اكتسبها خلال نموه ونضجه كالصدق في القول ، والجسد في العمل ، والأناقة في اللبس ، والاخلاص في الحب^(١) . إذ أنه كلما ازداد فعل أو تفكير معين ، في ظروف سارة أو ناجحة ، غلب أن يتكرر ذلك الفعل أو التفكير إذا توافرت له نفس الظروف الأولى^(٢) .

(١) يقول بعض العلماء أن العادات مصدر ٩٩ بالمائة من جميع أعمال الإنسان في حياته كلها . راجع : حامد عبدالقادر ، في علم النفس ، الجزء الاول ، ص ١٧٩ - ١٨٣ . ودوجلاس نوم ، مشاكل الاطفال اليومية ، ترجمة اسحق رمزي ، القاهرة ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) وتعليل العادة من الوجهة الفسيولوجية أن كل منبه ، في الاعمال الارادية ، يحدث أثراً في مجموعة من الاعصاب والخلايا والعقد العصبية . ويذهب هذا الاثر الى المراكز العصبية التي في النخاع الشوكي - بواسطة الاعصاب الموردة - ثم الى المخ . وبعدها يعود الى النخاع الشوكي - بواسطة الاعصاب المصدرة - ثم الى العضلات ، فتقوم بالعمل المطلوب . وإذا تكرر هذا العمل عمق أثره في المخ ، وأصبح طريقه اليه معبداً ، ويستمر كذلك حتى يقوم به المخ في النهاية بصورة آلية . عندئذ يصبح العمل عادة ويصير من وظائف المراكز السفلى ، وعلى الاخص النخاع الشوكي .

تكوين العادات :

ليست الغرائز البدائية في الفرد ثابتة لا تتحول ولا تتبدل كما هو شأن الحيوانات ، إنما هي - في الأصل - كما مر معنا ، مرنة غير واضحة المعالم ، تقبل التحوير والتعديل ، والتطور والتغيير . وإن كثيراً من الخصائص العقلية ، والصفات الخلقية ، كالطموح ، والمثابرة ، والحرص ، والنظافة ، والكسل ، والأثرة ، وغيرها ليست من الأمور الموروثة بل نشأت وتكونت بفعل تلك القوة الخفية التي يطلقون عليها اسم العادة ، والعادة طبيعة ثانية كما يقولون ^(١) .

ويرجع سبب تكوين العادة الى الأثر السار الذي يحدثه العمل في نفس الانسان ، وليس هو دائماً تكرر ذلك الفعل كما قد يظن لأول وهلة . فإن محاولة واحدة تكون ناجحة مرضية قد تكفي لأن تصبح فيما بعد عادة . بينما أن تكرر عدة محاولات فاشلة لا تجعل منها ، في الغالب ، عادة مستحكمة . فالسرور الذي يصحب العمل يعتبر دائماً دافعاً قوياً للعودة إليه وتكراره ، بينما أن الشعور بالألم الذي يرافق بعض

فبدلاً من أن يذهب الأثر الى النخاع الشوكي ، ومنه الى النخاع الشوكي مرة أخرى ، ثم الى العضلات المختصة ، يذهب الى مركز من مراكز الحس في النخاع الشوكي ، ومنه الى مركز من مراكز الحركة فيه ، ومن هذا الى العضلات . مع ذلك فإن الأثر قد يصل الى المخ بصورة ضعيفة لا يكاد يشعر بها ، كما يحدث في المشي ، والحديث ، والاكل . - حامد عبدالقادر ، المصدر نفسه ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(١) دوجلاس ثوم ، المصدر نفسه ، ص ٢٥ - ٢٦ .

الأفعال والحركات يكون منفراً من الرجوع إليها . بل ان الغريزة نفسها اذا لم تأت لصاحبها باللذة وتجلب له السرور ، وكانت باعثة له على الهم والقلق لا تلبث أن تتضاءل أهميتها عنده ، ثم تنجو ، وتموت ^(١) .

لهذا فان غرس العادات الصالحة في الطفل ، كالصدق ، والامانة والاعتماد على النفس ، والنظافة ، واحترام الآخرين ، لا يمكن أن يتم إلا بالمعاملة الحسنة ، واللين ، والتفاهم . وقلماً ينجح التخويف والتهديد والشدة والايذاء في تكوين عادات طيبة كهذه في الصغار والأحداث . ذلك ان عقل الصغير ، خلافاً لما يظن ، كثير المرونة ، يتقبل سريعاً ما يوحى به إليه ، ويسهل عليه تقايد ما يراه أو يسمعه ، وخاصة خلال السنوات الاولى من الحياة ، مما يجعل لتلك الفترة أهمية بالغة ، سواء في ايجاد العادات الحميدة ، أو التخلص من العادات المردولة كالأثرة ، والاهمال ، والوع باللهو ، والتبذير ، وسرعة الغضب ، والعنف ، وحب الأذى ^(٢) .

ولما كان التقليد - المحاكاة - من العوامل المهمة في تكوين العادات كان من الواجب على من هم مسئولون عن تنشئة الطفل أن يحذروا أن تصدر عنهم من الأقوال والأعمال إلا ما يودون أن يقلده الطفل ويحذوه دون إساءة أو ضرر .

وكثيراً ما يهمل الآباء معالجة العادات الرديئة في أبنائهم الصغار اعتقاداً منهم أن الطفل سوف يقلع عنها عندما يكبر . غير أن هذا

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ٥٢٦ - ٥٢٨ .

(٢) دوجلاس نوم ، المصدر نفسه ، ص ٣٢ - ٣٦ .

الاسلوب خطر لا ينفع شيئاً ، ومن الواجب مواجهة المشكلة بجلاء وصراحة ، وحلها بالعقل والحكمة حلاً سليماً .

والواقع الذي تؤيده التجارب أن كثيراً من الأطفال لا يقلعون عن عاداتهم اذا ما تقدمت بهم السن ، بل قد يكون الامر فيهم على عكس ذلك ، حيث تنمو فيهم تلك العادات وتتقوى ، وتصبح جزءاً من كيانهم ، يمسر تغييره وتعديله .

أثر العادات :

وذلك ما يفسر لنا القول بأن الشخص العنيد في اساءاته هو دائماً عبد عاداته . ولقد ساعدت هذه الحقيقة الكثيرين من رجال الشرطة في اكتشاف الجريمة مرات عديدة . فما قد صنع المجرم قبلاً لا بد أن يعيده . وشاهد أن المجرمين الكبار يرتكبون ، في معظم الأحوال ، الجرائم ذاتها ، ويمثلون الأدوار الاولى بعينها . بل ان أغلب اللصوص يسرقون أصنافاً خاصة ، في ظروف وأوقات وامكنة متشابهة ، ومن نفس الاشخاص كلما أمكنهم ذلك .

فالعادة المتكونة لدى المجرم ، لا سيما الجانح الصغير ، هي الاساس الذي يستند عليه ، في الأغلب ، عمله السيء الفاسد . وهو قد يستمر في الجريمة حتى بعد زوال أسبابها الأصلية ، ودوافعها الاولى . ولقد قيل أنه لا سهل على المرء أن يجد شخصاً لم يرتكب في حياته جريمة قط ، من أن يجد شخصاً لم يرتكب الجريمة الا مرة واحدة فقط ^(١) .

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ٥٢٦ - ٥٢٨ .

واذا سيطرت على الفرد عادة سيئة كالكذب ، والخداع ، والحقبة ، والاعتداء على الغير ، وارتكاب الاثم والشر ، وطغت على غيرها من الخصائص والعادات شامت شخصيته ، وانحرفت اخلاقه ، وأدت به هذه الحال الى الشذوذ ، والتعامل الفاشل مع المجتمع ، وسلوك سبل الفساد والخطيئة .

فوائد العادات ومضارها :

مما مر يمكننا أن نستنتج أن فوائد العادات هي :

١ — أنها تفرس في النفس الأخلاق الفاضلة وتجعلها قوية ثابتة يصعب التحرر منها ، وتحول دون التردى في الرذيلة والفساد .

٢ — أنها تساعد الفرد على انجاز أعماله وواجباته بسرعة ، ومهارة ، واتقان ، كالطبيب الذي يجري عملية جراحية خطيرة بدقة وإحكام نتيجة تعودده السابق عليها .

٣ — العادات العقلية النافعة ، كالملاحظة ، والانتباه ، والتذكر ، والتفكير السديد في الماضي والحاضر والمستقبل ، تنمي العقل والفكر ، وتساعد المرء على التقدم والتفوق في الحياة .

أما مضار العادات فهي :

١ — صعوبة الاقلاع عن العادات الرديئة . فمن رسخت عنده عادة

« القمار » مثلاً لا يقدر على التخلص منها دون جهد ، ولا يقوي

على تركها بسهولة .

٢ - صعوبة التكيف مع البيئات الجديدة . فمن اعتاد على لباس خاص ، أو نظام خاص في حياته يجد أن تغيير ذلك يورثه ، مرات ، كآبة وآلاماً .

٣ - الصلابة في الرأي والتعصب . فمن اعتنق مبدأ أو مذهباً عمداً إلى الاحتفاظ به ، والتعصب له ، وعدم قبول ما يجرحه أو يناقضه أحياناً ، ولو كان حقاً . كما قد يدفعه ذلك ، في بعض الحالات ، إلى تسفيه مبادئ الآخرين ، واستنكار مذاهبهم وأفكارهم ، من غير تحقيق فيها ، ودون وزنها وتحليلها . مما دعا أحد المفكرين إلى القول : إن خير عادة هي أن لا يكون للإنسان عادة^(١) .

اصلاح العادات الرديئة :

لابد للنجاح في اقتلاع العادات السيئة الضارة أن يحل محلها عادات جديدة حسنة ، ولا يكفي وضع الحواجز في وجه رغبات المرء ونزعاته ، ولا يفيد قمعها أو صدها ، بل يلزم أن تجرد تلك الرغبات والنزعات ، مسالك سليمة تنفذ إليها ، تتفق وضرورات البيئة ، وتبعث الرضا والسرور . فمن اعتاد من الأطفال أن يضرب بيديه ، ويركل برجليه ، ويكثر الصياح ، يمكن اصلاح ذلك فيه بتمرينه على اللعب بكرة الطاولة — البنج بونج — ، أو كرة القدم ، أو استعمال أبواق اللعب . ومن اعتاد من الكبار على قتل الوقت في العبث واللهو يمكن إصلاحه بإيجاد هواية ملائمة له يتاهى بها ، ويتسلى بممارستها كالغزف على إحدى

(١) حامد عبدالقادر ، المصدر نفسه ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

الآلات الموسيقية ، أو المطالعة المفيدة ، أو الكتابة ، أو الترجمة والتأليف .
ولا بد أيضاً لنجاح العادات الجديدة أن تتضح فكرتها في ذهن
الطفل أو البالغ ، وأن تظهر له إمكانية التحقيق ، سهولة التكوين ،
ذات نتائج نافعة . أما المربي الذي يلجأ إلى الضرب والعنف والتعذيب ،
أو التهديد والقسوة والتأنيب ، لمحاربة العادات المؤذية في أبنائه ، فانه
لا يجني من وراء محاولاته هذه شيئاً سوى ما تحدثه في نفوسهم من
آلام وردود فاسدة ، وما تؤدي إليه من تقورم منه ، وامعانهم في
كرهه والحقد عليه .

ومهما يكن الأمر فإن العقاب إن وقع فعلاً ، والثواب إن حصل ،
يجب أن يكون متفقاً ونفسية الطفل ، ملائماً للغرض الذي فرض من
أجله ، أو منح بسببه . كما ينبغي أن يقتنع الطفل بعدالة كل جزاء يوقع
عليه ، وأن يفهم معناه ، وغايته الرامية إلى خيره ونفعه ، وحماية
مستقبله . فإذا كسر طفل « ساعة » والده مثلاً مما اضطره لضربه ،
فانه يجب على الوالد ، إن كان الولد على درجة كبيرة من الاحساس
والاعتداد بالذات ، أن يتجنب معاقبته في حضور الآخرين ،
لا سيما الغرباء ، خشية أن يجرح بذلك إباءه وكبرياءه . كما يجب أن يفهمه
بأنه لم يقدم على مجازاته ، إلا لقلّة انتباهه ، وتسببه في ضرر غيره ،
وأنه لولا هذا السبب ، وما يري إليه من اصلاحه وتهذيبه ، لما
قام بمعاقبته .

الفصل الثالث

العقد النفسية

Complexes

من عوامل الجريمة النفسية ما يسمى بالعقد . والعقدة هي مجموعة من الانفعالات والأفكار المؤلمة قد اقترنت ببعضها وارتبطت فيما بينها ، واستقرت كلها ، أو معظمها ، في اللاشعور ، كمقدة النقص ، وعقدة أوديب^(١) . ذلك ان أحاسيسنا ومشاعرنا وأفكارنا التي لا تتوافق هي والتقاليد المرعية ، وقواعد الآداب السائدة في البيئة ، مثل الرغبة في مضاجعة المحارم أو النزوع لكرهية الأب ، اذا كثر تكررها ، أو صحتها انفعالات غير سارة كالأهانة أو العقاب ، لا تلبث أن تتحد مع بعضها ، وترتد الى أغوار العقل تقيم فيه سرا ، وتختبئ بعيدة عن سلطان الارادة وحكم الشعور^(٢) .

وهكذا فانه يتكون لدى الفرد ، دون أن يدري مجموعات شتى من العقد النفسية ، تحرك أعماله وأفكاره من وراء ستار ، وتسيره في تياراتها الجارفة دون وعي واتباه . ولا شك في أن حالات كثيرة من حالات الاضطرابات النفسية ، والأمراض العصبية ، والزيغ العقلي ، التي تصيب بعض الأشخاص ، وتؤثر في مزاجهم وسلوكهم ، إنما يكون مصدرها

(١) سيأتى تعريف هاتين العقدتين وغيرهما من العقد الأخرى فيما بعد .

(٢) راجع ، القوصى المصدر نفسه ، ص ١٢٣-١٢٩ . برت ، المصدر نفسه ،

ص ٥٤٧ ، سادلر ، المصدر نفسه ، ص ١٩-٢٥ .

هذه العقدة الكامنة الخفية عن العيون والانظار .

ولما كان مقر العقدة ومستودعها الاكبر هو اللاشعور فقد أصبح ضروريا أن نحاول بحثه ووصفه ، وبيان آثاره في السلوك عامة ، وفي حوادث الجريمة بوجه خاص .

الشعور واللاشعور

للعقل البشري جانبان اثنان : أحدهما شعوري والآخر لا شعوري .

فالجانب الشعوري ما يبدو فيه الانسان ساعات الوعي واليقظة ، وأوقات الانتباه والتبصر . وهو يجمله يرى بوضوح ، قليل أو كثير ^(١) ، أحوال بيئته ، ويفقه ما جرياتها ، ويعلم ما يجول في ذهنه من خواطر وأفكار ، وصور وخيالات ، وحوادث وذكريات ، وأماني وآمال ، ويدرك ما يدور في نفسه من افعالات وعواطف واحساسات ، ويعرف كنه ما يقوم به من أعمال وأفعال ، ونشاط وحرركات ، ويبصر آثار تصرفاته ، وعواقب اساءاته وحسناته ^(٢) .

(١) تختلف درجة الشعور في قوتها وضعفها ، ووضوحها وخفائها ، وهو لا ينعدم كلياً الا في حالتى التخدر العام ، ومرض الغيبوبة (الكوما)

Coma

(٢) يتبدى شعور الانسان منذ ولادته ، وينتهى بموته . ويعتبر شعوره عند الولادة ضعيفا ، أقرب الى العدم منه الى الوجود . ثم ينمو بنموه العقلي .

ويرى فرويد ورفرز (الانكليزي) وأدلر (الالماني) ويونج (السويسري) ، أن الشعور جزء صغير جدا من الحياة العقلية . راجع محمد عطية الابراشي في علم النفس ، الجزء الاول ص ٣٨-٤٠ .

أما الجانب اللاشعوري فهو خفي ، باطن ، كامن ، مستور ، لا يدرك الانسان من أمره شيئا ، ولا يقدر على كشفه ، والاهتداء اليه بسهولة أبدا . واللاشعور يبقى ، على الدوام ، غامضا ، مقنعا ، لا يبدو صريحا واضحا ، له لغته الخاصة ، هي لغة التورية والرموز ، والتمقيد واللف والدوران .

محتويات اللاشعور

ويشتمل اللاشعور على مجموعة الفرائز الأولية ، والنزعات المحرمة ، والرغبات المردولة ، التي تصطدم بالتقاليد الاجتماعية والآداب العامة ، والتعاليم الدينية ، كارتكاب الفحشاء ، ومضاجعة المحارم ، وكشف العورة ، والنزعة للعنف وأعمال الاعتداء وغيرها ، الواجب إبعادها عن حيز الذاكرة ، ودفنها في عالم الغيب والنسيان . كما يضم اللاشعور ، الى جانب ذلك كله ، الذكريات المطوية — لا سيما ذكريات الطفولة الرديئة — والالتفاعلات القائمة المكبوتة من أثر الكوراث والقواجم ، والصدمات والنكبات التي لا يقوى المرء على دوام استذكارها ، وابقائها حية في وعيه واتبأهه .

والكشف عن هذه المحتويات يظهرها بدائية ، عالية الشحنة من الطاقة ، بعضها موروث عن الآباء والأجداد في المصور الغابرة كالنرائز الفطرية التي هي وليدة خبرات النوع وسلالاته المتعاقبة ، وبعضها

مكتسب ناشيء عن الخبرات التي مرت على الفرد، ثم استبعدت من الشعور بواسطة عملية الكبت^(١) Repression .

فليس اللاشعور اذن بالجانب السلبي من الشعور . انه ليس عدم الشعور Non-Conscious ، لكنه قوة نفسية إيجابية ذات طبيعة ديناميكية ، - دائبة الحركة والنشاط - ، ساذجة ، لا تعرف معايير الخلق ولا تتبع احكام المنطق ، ولا يعدل الزمن من أحوالها شيئاً ، ولا بد لادراك عناصرها ، وفهم مركباتها من اتباع أساليب خاصة بالتنويم المغناطيسي ، والتحليل النفسي ، ودراسة الأحلام^(٢) .

(١) الكبت قوة خفية تدفع الحواطر والذكريات المؤلمة الى اللاشعور ، وتصدها عن الظهور في منطقة الشعور . كما تصد النزعات الموروثة عن الاندفاع والانطلاق ، وتعمل على كبح جماحها . وقد لا يقف الامر ، في بعض الحالات ، عند حد صد الذكريات المقصودة بالذات ، بل قد تشمل عملية الكبت أفكارا وذكريات بريئة ، لا ذنب لها الا لكونها قد ارتبطت بالذكريات المؤلمة ببعض الروابط العارضة ، كما يشاهد في حالات فقد الذاكرة التي تنشأ عن الصدمات النفسية التي يتعرض لها الجنود في ميدان القتال وتعرف (بصدمة القنابل) shell-shock

وقد لا يقتصر فقد الذاكرة ، أحيانا ، على نسيان وقائع الحادث المزعج الذي نشأت عنه الصدمة بالذات ، فحسب ، بل قد يشمل مجموعة كبرى من الافكار والحواطر المرتبطة به ، ولو عن طريق غير مباشر ، بحيث تعم عملية الكبت قسما كبيرا من حياة المصاب ، وربما شملت ذكريات ماضيه بأسرها . - محمد فتحي بك ، المصدر نفسه ، ص ٨٩-٩٢ .

(٢) فبالتنويم المغناطيسي يستطيع الطبيب أن يعرف محتويات اللاشعور في عقل الوسيط ، وما حدث له من صعوبات ومشاكل ، وأن يؤثر فيه بتلقيه بعض النصائح والارشادات . وبالتحليل النفسي يمكنه أن يكتشف « العقدة » المكتومة ، ودراسة الأحلام يقدر على استنباط الميول والرغبات الدقية . وقد كان علماء النفس الأميركيين خلال الحرب العالمية يعرفون بدراسة الأحلام ، نفسيات الضباط والجنود المخفية . محمد عطية الابراشي ، المصدر نفسه ، ص ٤١ - ٤٢ .

أثر اللاشعور في السلوك

وهكذا فقد أصبح اللاشعور اليوم حقيقة لا سبيل إلى إنكارها ، تؤيدها الحياة العملية ، والدراسات العلمية ، والتجارب والاختبارات . وما ظواهر الاضطرابات النفسية ، وحالات الأمراض العصبية ، والانهاء في حالات النوم ، والجولان في لحظات الغفلة Somnambulism ، وأحلام اليقظة ، وفقد الذاكرة amnesia ، وهفوات اللسان ، وعمليات النكوص ، والاسقاط ، والتحويل ، والتقمص ، والتبرير ، والتعويض ، وغيرها التي يحقق بها اللاشعور غاياته وأهدافه ورغباته ، إلا بعض مدلولاته وأعراضه وظواهره .

وفيما يلي نأتي على وصف أهم هذه الحالات والمظاهر والاجراءات اللاشعورية :

النكوص Regression : هو رجوع الانسان في سلوكه وتصرفاته إلى احدى مراحل حياته الاولى . فاذا فشل رجل في حبه امتنع ، أحياناً ، عن الزواج ، وقنع بالعيش في كنف امه كما كان شأنه أيام الطفولة . واذا خشيت فتاة كبر السن قبل أن يتحقق لها الزواج تظاهرت بمظهر البنات الصغيرات في ملبسها وحديثها وحركاتها ونمات صوتها^(١) .

الاسقاط Projection : هو أن ينسب الفرد للغير صفات رديئة ، أو أعمال فاسدة ، يكون هو نفسه متصفاً بها ، أو معتاداً عليها .

(١) القوصى ، المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

كالبخيل أو المغرور فانه أكثر اتهاماً للناس بالبخل والغرور . وكل صفة
يخجل المرء أن يظهر بها ، يعمد الى تبرئة ذاته منها ويرتاح في أن
يعزوها للآخرين . (١)

التحويل Transference حيلة لا شعورية تدفع الانسان
لتحويل عواطفه وحالاته الاتفعالية من موضوعها الأصلي الى موضوع
جديد حين يقوم عائق في وجهها ازاء الموضوع الأول . كأن يكره
الابن والده الذي يسيء معاملته ، وبسبب عجزه عن اظهار هذا الكره له
بصراحة يتحول الى كراهية استأذه او مدرسته ، أو سلطة المجتمع
والقانون ، التي تمثل في نظره سلطة الاب (٢) .

التقمص Identification اجراء لا شعوري يجعل الشخص يمتص
مجموعة من صفات شخص آخر يعجب به ، الحسن منها والقيبح . كأن يقلد
تلميذ ، دون أن يشعر ، حركات استاذ يعجب به ، واسلوب حديثه ،
ومناقشته ، والقائه . والتقمص ضروري لنمو الطفل في السنوات الاولى ،
وعليه يتوقف كسبه للغة ولهجتها ، وأساليب المعاملة ، وتعاليم الدين
وأحكام التقاليد ، ونظم المجتمع وغيرها . وتقمص السلطة المحيطة به - سلطة
الابوين خصوصاً - عامل مهم في تكوين الأنا الأعلى - أو الذات العليا .
التبرير Rationalisation : ظاهرة لا شعورية يلجأ اليها الفرد

(١) المصدر السابق، ص ١٤٢-١٤٤ . أما الاسقاط الداخلي Introjection فهو أن ينسب المرء لنفسه صفات حسنة تبدو في الآخرين ، ولا يكون هو في الحقيقة متصفاً بها ، كالكرم ، والشجاعة ، والعلم .

لتعليل سلوكه بأسباب منطقية يقبلها العقل ، في حين أن عوامله الاصلية لم تكن سوى دوافع انفعالية (عاطفية) . كأن تصف سيّدة شخصاً بسعة العقل والعلم والذكاء والتهذيب ، لأنه يعيرها اهتمامه ، بينما تصف آخر بالغباوة والجهل ، لأنه لا يكثرث بها .

التعويض Compensation : هو المبالغة في التظاهر بصفة طيبة نافعة للتغطية على صفة صئارة غير مقبولة ، كأن يكره موظف أحد رؤسائه ، لكنه خوفاً من انكشاف كراهيته ، والاتقام منه عليها ، يعتمد الى اظهار المحبة له بأسراف زائد^(١) .

ومن جملة وظائف الاشعور أنه يقوم بتنسيق الخواطر والذكريات المكتوبة في شكل مجموعات فكرية ، أو مركبات انفعالية ، تضم كل منها الأفكار المتماثلة المتآلفة ، أو الانفعالات المتجانسة المتشابهة ، كي تصبح فيما بعد بمثابة مراكز لحركة تفكير مستقل لا سلطان للارادة عليه ، ونشاط حر بعيد عن سيطرة الشعور .

وتعتبر هذه المركبات الاشعورية في صلتها بالعقل أشبه شيء بالعقد العصبية التي يتألف منها الجهاز العصبي الذاتي بالنسبة للجسم ، من حيث كونها مصدراً لحركة ذاتية مستقلة عن الارادة^(٢) . فكما تجري في الجسم معظم الحركات والوظائف الجسدية ، التي يتوقف عليها حفظ كيان

(١) المصدر نفسه ١٤٦ - ١٤٨ .

(٢) محمد فتحي بك ، المصدر نفسه ، ص ٨٣ - ٨٤ .

الإنسان ، وتدير أهم شؤون حياته ، مستقلة عن ارادته ورقابته ، كالتنفس والهضم والدورة الدموية ، فكذلك اللاشعور تجري في جوفه أهم عمليات التفكير وأعظمها شأنًا ، على غير وعي من الفرد ، ومن دون اتبائه أو علمه^(١) .

ومن أمثلة ذلك : أن ينسى الشخص مرة الذهاب إلى أحد الاجتماعات غير المرغوب فيها التي دعي إليها ، أو دفع قائمة الحساب التي أرسلها إليه أحد دائنيه ، فإن هذا النسيان لا يحدث عنده عفواً ، كما قد يظن ، بل نتيجة رغبة نفسية ناشئة عن كرهه لحضور ذلك الاجتماع ، وإيفاء دينه ، وتم له تحقيق هذه الرغبة بطريقة لاشعورية .

أو أن ينسى المرء شيئاً في منزل صديقه فيعود إليه ليأخذه ، ويدل ذلك على أنه لم يكن يحب الابتعاد عن المنزل ومفارقة الصديق ، فحقق له اللاشعور هذه النزعة بواسطة النسيان .

أو أن يقول أحدهم وهو يشير إلى نار موقدة أمامه أيام الشتاء ، « كم أود لو يأتي الآن (فلان)^(٢) إلى هذه النار المشتعلة » قاصداً بذلك أن يحضر ليتدفأ عليها ، بينما كان اللاشعور يرمي في الحقيقة من وراء هذه العبارة ، محيئه لا حراقه فيها ، واشعاله بالهيبا^(٣) .

(١) المصدر السابق ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٢) الذي يكرهه ، أو الذي يوجد بينه وبينه علاقات غير ودية .

(٣) أما الحالات اللاشعورية التي تظهر في الإنسان بتأثير العقد النفسية أو الصراع النفسي ، فسنأتى على بيانها وتفصيلها فيما بعد .

فرويد والاشعور :

تعتبر فكرة الاشعور من الاسس الهامة التي أقام فرويد عليها مذهبه في التحليل النفسي ، فهو قد جعل منه المحرك لكل ما يصدر عن الفرد من ألوان النشاط ومظاهر السلوك ، والينبوع لكل ما يختلج في نفسه من بواعث ونزعات . وليست الحياة العقلية ، عند فرويد وأتباعه ، ما يفتن إليه الانسان ويدرك وجوده حسب ، وانما هي أبعد من ذلك ، وأعمق أغواراً ، وفي رأيهم انها تجري على ثلاث مراتب :

١ - الشعور Conscious ، ويشمل ذلك الجانب من الحياة

العقلية الذي يكون في ادراك الفرد في لحظات الوعي والانتباه^(١) . كأن يدرك التلميذ حين يجلس في الصف المحسوسات التي أمامه ، ويستمع الاقوال والاحاديث التي تجري حوله ، ويفقه الافكار التي ترد الى ذهنه ، والخيالات والصور التي تجول في خاطره ، ويمي كنه الانفعالات والاحساسات المختلفة التي تمر به وتنتابه ، والحركات والأعمال التي يقوم بها أو يشاهدها أمامه . فهذه الادراكات والأفكار ، والاحساسات ، والحركات التي شغلت انتباهه وملاحظته ، وقامت في ادراكه وذهنه وتخيلته ، تعتبر حالات شعورية .

٢ - ما قبل الشعور Pre-conscious ويشمل ذلك الجانب من الحياة العقلية الذي لا يكون ماثلاً في ادراك الفرد ، أي في شعوره في الحال لكنه يمكن استحضاره الى الشعور بمقدار متفاوت من

(١) الشعور هو الخاصة الاساسية للحاء ، أحدث أجزاء المخ في ترقيقها .

الجهد عن طريق الارادة ، أو بالترابط والتداعي . وهو أقرب شبهة بالشعور منه باللاشعور ويمد المقر الأساسي للذاكرة . مثال ذلك : أن يحاول أحدهم استذكار بيت شعر كان يحفظه يريد الاستشهاد به في حديثه ، أو سرد قصة قد سمعها من أحد اصدقائه في إحدى مقالاته ، فيستعصي ذلك عليه في بادئ الأمر ، ثم لا يلبث بعد اجهاد عقلي ، قوي أو ضعيف ، أن يستحضر الشعر في ذهنه ، والحكاية الى ذاكرته .

٣ - اللاشعور Unconscious وهو أبعد مراتب الحياة العقلية غوراً ، وأعظمها شأنًا ، وأبعدها أثرًا وأهمية . وعلى الرغم من أن الانسان لا يفتن اليه ولا يدرك وجوده فانه صاحب الشأن الأكبر في توجيه التفكير والسلوك^(١) . وهو يضم ، كما مر معنا ، الحوادث التي وقعت للانسان أيام الطفولة والحادثة ، والتجارب التي مرت به في حياته من غير أن يدرك شيئًا منها في حاضره ، ولا يستطيع استرجاعها في مخيلته ووعيه ، مهما بذل من جهود ومحاولات .

فرويد وتقسيم الجهاز النفسي

لقد قسم فرويد الجهاز النفسي الى ثلاث مجموعات كبرى ، كل مجموعة منها تعبر عن ناحية خاصة من مظاهر الحياة العقلية ، وفرض لكل منها خصائص ومميزات تتميز بها عما عداها ، وسماها : الهو ، والأنا ، والأنا الأعلى^(٢) .

(١) صبرى جرجس ، المصدر نفسه ، ٢٠٩ - ٢١٠ .
(٢) وذلك بشكل فرضي ، تنمة لدراساته لظواهر النفس المختلفة ، وتسهيلاً لتفسيرها ، وحل رموزها .

الهو The Id

« الهو » هو الجزء الذي تسوده الروح الشهوانية المستمدة من الغرائز ، والنزعات الفطرية ، والدوافع البدائية التي يولد الانسان مزوداً بها . وسمي بـ « الهو » لانه خال من الطابع الشخصي ، ويرادف على وجه التقريب طبيعة الانسان الحيوانية الاولى .

و « الهو » لا شعوري محض ، ليس له بالحقيقة اتصال مباشر ، ومن ثم فانه لا يعرف المنطق ، وليست له قدرة على التفكير الرصين المتعقل . وهدفه الأ وحده التماس منفذ لدوافعه الغريزية كي تجد الارضاء والارتواء ، وتخفيف حدة التوتر الذي يحدثه الكبت والحرمان^(١) .

وهكذا فان « الهو » يشتمل ، طبقاً لرأي فرويد ، على الميول والاستعدادات الموروثة ، والشهوات المحرمة ، والميول والنزعات الفطرية ، وهو يعتبر بحق ينبوع النشاط الغريزي ، مسوق بمبدأ نشدان اللذة The pleasure principle^(٢) ، لا يعترف بالآداب العامة ، ولا بأحكام المنطق ، ومقتضيات الحقيقة والواقع^(٣) .

الانا The Ego

لا يستطيع الطفل الرضيع ، لأول عهده بالحياة ، تمييز نفسه من الكائنات الاخرى ، ولا يكون الاحساس « بالآنا » - اى بالذات -

(١) المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٢) ويقابل ذلك مبدأ الواقع The Reality Principle

(٣) محمد فتحي بك ، المصدر نفسه ، ص ٩٧ .

قد تكون عنده بعد . لكنه رويداً يصل الى هذا التمييز ، ويضطر الى
تكييف نفسه مع العالم الخارجي . وهذا الجانب التكييف من « الهو »
يصبح نواة « الأنا » الذي يطرد في النمو والنضج من اتصاله الدائم
بالحقيقة وضرورات البيئة ، ومن تمثيله ، عن طريق التقمص ،
صفات الوالدين .

وقد يصاب « الأنا » من أثر بعض العوامل بالتعطيل فيقف عن
النمو ، ويظل طوال الحياة طفلياً ، شديد الحساسية ، مركزي الذات ^(١) .
ومن أهم خصائص « الأنا » ومميزاته انه صورة منعكسة للحياة
الواقعية المنبعثة عن عالم الحقيقة . وهو يمثل ما نسميه اصطلاحاً بالعقل
او المنطق .

ومن خصائصه الاخرى كبح جماح « الهو » ، وصد تيار نشاطه
العظيم . وعنه يصدر الكبت ، وبوساطته يتم تصعيد النشاط الغريزي
واعلاؤه Sublimation ^(٢) .

وهكذا فاننا نرى « الأنا » يجاهد في سبيل الحق والعدل والخير ،
ويقع دائماً تحت ضغط الشهوة النفسية (الهو) ، وقسوة الضمير (الأنا
الأعلى) ، وقوة البيئة الخارجية . وتقوم مهمته ، على التوفيق بين النزعات

(١) صبرى جرجس ، المصدر نفسه ، ص ٢١١-٢١٢ .

(٢) الاعلاء طريقة لتعديل الغرائز وذلك بتوجيه الطاقة الغريزية في
اتجاه راق صالح يقره المجتمع . فغريزة حب السيطرة في الاطفال
يمكن اعلاؤها يجعلهم مسئولين عن بعض أخوانهم الصغار . وغريزة
المقاتلة يمكن اعلاؤها بتوجيهها لمحاربة المفاسد والرذيلة والامراض .

الفريزية ، ومقتضيات الحياة الواقعية ، ونبذ مبدأ نشدان المذة الخاص « بالهو » في سبيل بلوغ الحقيقة The Reality Principle ، وارضاء « الأنا الأعلى »^(١) .

الأنا الأعلى The Super-Ego

على أن جانباً من « الأنا » يتميز مع الزمن بفضل عمليات الاسقاط الداخلي Introjection^(٢) ، والقمص ، لكي يصبح « الأنا الأعلى » . ويستمد « الأنا الأعلى » كيانه من مصدرين :

١ - ما ينحدر الى الفرد من القواعد الخلقية والشعائر الدينية وغيرها بوصفه عضواً في الجماعة .

٢ - ما يتمثله من والديه وبيئته .

وبالرغم من أن « الأنا الأعلى » جزء متميز من « الأنا » فإن القسم الأعظم منه يبقى مستقراً في اللاشعور ، ووظيفته الأساسية انتقادية توجيهية ، تقوم على ما يرى من جهد « الأنا » في كبت محاولات « الهو » نحو تحقيق دوافعه ورغباته ، واملأ هذا الكبت على « الأنا » ، وتحذيره من الزيف والنشوز ، وتأنيبه على الشطط ، ومعاقبته على الشذوذ ، والخضوع لسلطان « الهو »^(٣) .

من ذلك يظهر لنا أن « الأنا الأعلى » مستودع القوة الرادعة

(١) محمد فتحي بك ، المصدر نفسه ، ٩٨ - ١٠٠ .

(٢) سبق لنا تعريف الاسقاط الداخلي في هامش صفحة ١٥٢ .

(٣) صبرى جرجس ، المصدر نفسه ، ص ٢١٢ - ٢١٤ .

للشهوات الجامحة ، وأنه الرقيب الذي ينير سبل الرشد والسداد ،
والدليل الأمين الذي يهدي الى طريق الخير والصواب ، يشور
لمخالفة قواعد الحق ، وانتهاك حرمان الدين والقانون ، والاخلال
بمباديء الأخلاق والآداب .

ويقول العلامة جونس أن « الأنا الأعلى » يجب أن يساس منذ
الطفولة بالحلم والأناة ، وأن يدرب برفق وحكمة تفاديا لما قد ينشأ من
أخذه بالشدّة والعنف من النتائج الخطيرة . إذ أنه من الحقائق المشاهدة
أن « الأنا الأعلى » يكون قوي المظهر في بعض أدوار الطفولة الى
درجة قد تصبح معها الهفوات البريئة جرما شائنا في نظر الطفل ،
فيستأثر شعور الخطيئة والاثم Sense of guilt بلبه الصغير ،
ويستحوذ على ملكات عقله الناشئة فيشل نشاطه منذ البداية . ثم انه
يصبح رجلاً عاجزاً أشل الإرادة ، لا يقوى على الاستقلال في التصرف
بشؤون نفسه ، وحل أتعفه المشاكل ومعالجة أبسط الأمور^(١) .

الفرق بين العقد والعواطف : العقدة كالمعقدة تتألف من مجموعة انفعالات
مختلفة مقترنة ببعضها ، متشابكة معا ، وهما تتميزان عن بعضها
من جملة وجوه أهمها :

١ - يجري تكوين العاطفة وتنظيمها وفقا لارتباطات وصلات
منطقية ، وعلى اساس الاندماج والانسجام مع الذات « الأنا » كعاطفة

(١) محمد فتحي بك ، المصدر نفسه ، ص ١٠٠ - ١٠٣ .

حب الطفل لأمه فإنها تنشأ عنده بما يشاهده عند والدته ، باستمرار ، من حب وحنان وعناية ورعاية . أو كعاطفة كراهيته لبعض الأولاد الذين سببوا له شيئاً من الأذى أو الإهانة . أما العقدة فقلما تكون منتظمة ، وتبنى على أثر ارتباطات عَرَضية ، غير منطقية ولا معقولة ، نتيجة الصراع والكبت . مثل عقدة أوديب التي تنطوي عند الطفل على حب الأم وكراهية الوالد ، وتنشأ من الصراع الذي يحصل في نفسه الصغيرة بين تقوره من أبيه ، ومقته إياه لمنافسته ومشاركته محبة الوالدة ، وبين حبه له وتعلقه به لما يناله منه من عطف واهتمام وعون وقضاء حاجات . أو نتيجة صراع آخر واقع بين رغبة الولد في اعلان عصيانه وثورته على أبيه للسبب نفسه ، وبين خوفه من قطع أعضائه التناسلية ، أو لمصابتها بأذى جزاء له على مزاحمة أبيه في امتلاك الأم ، ويطلق على هذه الحالة الأخيرة « عقدة الاخضاء » Castration Complex .

٢ - العاطفة شعورية ، يمكن ادراكها ومعرفتها . أما العقدة فغير شعورية ، من الصعب فهمها وتمييزها ، وهي تظل أبداً بعيدة عن حيز الذاكرة والوعي والانتباه .

٣ - العاطفة تؤثر باستمرار في سلوك الفرد وتوجيهه ، وتسير دفعة حياته ، بينما لا تخرج العقدة الى الظهور إلا حين يأتي منه يثيرها من مرقدتها ، أو يحدث ظرف يساعدها على الانطلاق والعمل بحرية وقوة^(١) .

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ٥٤٧ - ٥٥٣ .

انواع العقد النفسية :

العقد النفسية كثيرة أهمها : عقدة زوجة الأب ، وعقدة السلطة ، وعقدة النفور ، وعقدة الأم ، وعقدة أوديب ، وعقدة الكترا ، والعقدة الجنسية ، وعقدة النقص ، وعقدة السيطرة والتفوق^(١) .
وسنصف كلا منها ، فيما يلي ، بشيء من الإيجاز .

عقدة زوجة الاب Step-Mother Complex^(٢)

تتولد هذه العقد من شعور الانسان بالكره والبغضاء لزوجته أييه^(٣) ، وكبت هذا الشعور في أعماق النفس ، وعدم اعلانه واطهاره ، خوفا من معاقبتها هي ، أو معاقبة والده له بسببها . وتظهر آثار ذلك عليه في معاملته لها ، ونفوره منها ، وكرهه إياها . ومقابلتها هي له بالمثل ، باهمال شأنه ، وتكدير صفو عيشه .

ونتيجة لهذه العقد فانه تتكون لدى صاحبها عادات غير اجتماعية ، اذ يميل بتأثيرها إلى العصيان والثورة وأعمال العنف ، والسلوك المنحرف بأنواعه المختلفة . وقد تدفعه أحيانا ، بما تحدثه فيه من انفعالات عنيفة وتوتر نفسي ، إلى ارتكاب أعمال طائشة يائسة . كما قد يحمله ذلك ، مرات ، على الفرار من المنزل ، والبحث عن شخص يطمئن إليه ، ويرتاح لقربه ، يجد عنده الحنان والعطف والرعاية التي يهفو

(١) مر معنا بحث هذه العقد في بحث « غريزة اثبات الذات » راجع

ص ٨٤ وما بعدها .

(٢) عقدة زوج الام Step-Father Complex

(٣) أو لزوج أمه .

قلبه إليها . وكثيراً ما يحاول أن ينشيء له صلة ود مع سيدة من أهله وأقربائه ، تقوم في نظره مقام الوالدة التي يفتش عنها^(١) .

عقدة السلطة والنفور Authority and Disgust Complex

تدعى هذه العقدة أيضاً عقدة الأب ، Father Complex ، وتنشأ من قساوة الأب في معاملة أبنائه ، وصرامته في تربيتهم ، وشدة في تأديبهم ، واتباعه معهم سياسة العنف والقمع والارهاب ، مما يولد في نفوسهم شعوراً بكرهه وبغضه والنفور منه ، والنقمة عليه . وقد يشمل ذلك فيما بعد كل شخص ، أو هيئة ، أو مؤسسة ، ذات سلطة وتفوذ تذكر الولد بأبيه وجبروته ، كالاستاذ ، أو الحاكم ، أو معاون الشرطة^(٢) ، أو النظام والقانون . وقد تصبح هذه العقدة عنده من الدوافع الهامة لكثير من المخالفات القانونية ، والأفعال غير المشروعة والسلوك اللا اجتماعي .

عقدة الام Mother Complex

تنشأ عقدة الأم من أثر التدليل الزائد عن الحد للولد أيام طفولته وحداثته ، والاسراف في الحب ، والمبالغة في الحنان ، مما يجعله ، في مستقبل حياته ، أناانياً ، متكالياً ، سريع الانفعال ، كثير التهيج والغضب ، يثور لأسباب لا أسباب ، ولا يستطيع تقبل أوضاع البيئة التي تكثفها ، والاندماج في المجتمع الذي يحيط به . ومثل هذه الحالة تدفعه الى طلب

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤٧ - ٥٥٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٥٨ - ٥٥٩ .

العزلة والانطواء على النفس، أو إلى الثورة على الآخرين، الذين لا يحققون رغباته بتمامها، ولا يطيعونه وينفذون «أوامره» في الحال دون توان أو تردد، كما كانت «السيدة» والدته قد عودته.

عقدة اوديب Oedipus Complex

هي حب الولد لأمه، وكراهيته لأبيه، ويقابلها في البنت عقدة الكترا Electra وهي حبها لأبيها وكراهيتها لأمها. وتنشأ بين السنة الثالثة والخامسة من العمر^(١)، وإن لم يوفق الوالدان في حلها حلاً طبيعياً ملائماً تأثر الولد بها في مستقبل حياته، وأدت به - كما تذهب مدرسة التحليل النفسي - إلى الوقوع في الشذوذ الجنسي، والاضطراب النفسي، وارتكاب الآثام، والاجرام.

العقدة الجنسية Sex Complex

تنشأ العقدة الجنسية من أثر كبت الغريزة الجنسية تحت وطأة التقاليد الاجتماعية، والقيود الأدبية المفروضة عليها، وعدم القدرة على ارضائها واشباعها بحرية وطلاقة. مما يحمل الفرد المهذب على دفن انفعالاتها الخاصة، والذكريات المرتبطة بها في اللاشعور، حيث تظل متأججة في مكنها، تدفعه، أحياناً، لانتهاج سبل ملتوية معوجة في تحقيق أهدافها وأغراضها، وسلوك أساليب شاذة، أو عدوانية، في تلبية نزعتها ورغباتها^(٢).

(١) وقد سبق تحليلها وذكر أسبابها.

(٢) وقد بحثنا أنواع الشذوذ الجنسي في بحث «الغريزة الجنسية».

(راجع ص ٦٤ - ٧٩) • (٧٩ - ٦٤) • (٧٩ - ٦٤) • (٧٩ - ٦٤)

عقدة النقص Inferiority Complex

تتولد عقدة النقص من احساس الانسان بعجزه وقصوره في المجتمع ، وأنه دون غيره أهمية وقيمة . وهي أكثر انتشارا وشيوعا بين أبناء الاسر التي يعاني الولد فيها ، منذ أيام حياته الاولى ، شعور الذلة والاستكانة والخضوع ، ويجد صعوبة فائقة في اثبات ذاته ، ومساواة نفسه بالأطفال الآخرين . وقد ثبت أن كثيراً من سوء السلوك فيمن نمت فيهم عقدة كهذه إنما يعتبر بمثابة رد فعل لهذه الحال التي تضيق بها نفوسهم .

وزداد أثر عقدة النقص ، في بعض الحالات ، من وجود علة جثمانية أو عاهة في الانسان ، تدفعه لأن يحاول التعويض عما أصابه من نقص أو حرمان ، بأعمال غير شرعية ، وأن يستبدل ما لا يستطيع بلوغه بمواهبه الطبيعية وقدرته الاجتماعية بأفعال شاذة تعتمد على الكذب والغش والخيلة والخداع ، والظهور بمظهر القسوة والاستبداد ، كما يشاهد في أغلب الأشخاص ذوي البنية الضعيفة ، والأمراض والعاهات .

خاتمة :

ولقد تحقق برت أن العقد النفسية قد كانت سبباً رئيسياً في ١٥ ٪ من حالاته ، ولاحظ ظواهر عقدي الأم ، والأب ، في نحو ٤٣ ٪ من الأحداث المجرمين ، ودلائل عقدة النقص في ٣٦ ٪ منهم ،

وآثار العقدة الجنسية في ١٧٪ بينهم جميعا .
وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب سوف نعود الى بحث طرق
اكتشاف هذه العقدة وتشخيصها ، وأصول علاجها واصلاحها .
ولما كانت الأمراض النفسية ناشئة عن العقدة ، والصراع القائم
في اللاشعور ، وتعتبر بحق في حالات كثيرة من الاسباب الممهدة
للجريمة ، المؤدية اليها ، فاننا لابد ان نأتي على وصفها ودراستها ،
في الفصل التالي ، باختصار وإيجاز .

الفصل الرابع

الأمراض النفسية

أو

العصاب

Psycho-Neuroses

يصادف المرء في حياته ، طفلاً كان أو بالغاً ، مشكلات نفسية من أنواع مختلفة ، تنشأ عادة عن « العقد » ، والآلام المكبوتة ، أو نتيجة صراع داخلي بين دافعين قويين ، أو ميلين مختلفين ، كما يشاهد في حالات المصابين بعقدة النقص حين يشعرون بالعجز والقصور عن تحقيق أهدافهم ورغباتهم بطرق وأساليب سوية سليمة ، أو كما قد يحدث عند أحد الجنود الجبناء حين يدعى للقتال ، فيتجاذبه عندئذ عاملان : حبه لوطنه ورغبته في الذود عنه ، وحبه لنفسه وميله للمحافظة على حياته . فإن لم تحل هذه العقد ، والأزمات ، حلاً مرضياً ، وقع الشخص فريسة لها ، وأصبح عرضة للاضطراب النفسي ، أو العصاب . ولا تبدو في المصاب بالأمراض النفسية أعراض أي خلل عضوي في جسده كما هو الشأن في الأمراض الجسدية ، وكل ما به لا يبدو أن يكون اختلالاً في وظائف الأعصاب ، لا مرضاً في الأعصاب نفسها . لهذا فإن ما يحتاجه المرء ، في مثل هذه الحالة ، نوعاً من العلاج النفسي : كالإيحاء ، (والإيحاء الذاتي) ، والاقناع ، والتنويم المغناطيسي ،

والتحليل النفسي وما ماثلها^(١) ، ولا تنجح الأدوية والمقايير وحدها ، في اصلاحه وشفائه .

ويمكن تشبيه أعراض الأمراض النفسية وظواهرها في الفرد بما قد يحدث في الساعة أحياناً من اضطراب في سيرها ، واختلال في حركتها ، مما لا يكون ناشئاً عن كسر أو عطب في آلياتها ، بل لغبار قد علق في أحد أجزائها ، يستدعي تنظيفها وتطهيرها ، فتمود عندئذ إلى سيرتها الأولى من الدقة والضبط والانتظام .

ويلاحظ أن انتشار الأمراض النفسية يكثر ويشتد في البيئة ذات التقاليد القاسية ، والنظم الشديدة ، والروادع التي يصعب احتمالها . ذلك أن الإنسان يعمل عندئذ على التقيدها ومراعاتها وكبت الانفعالات التي تحدثها وتسببها ، وهو اذ يعجز عن التوفيق بينها وبين نزعاته ودوافعه بصورة مرضية وقع ضحية المرض النفسي نتيجة الصراع الناجم عن الكبت والحرمان .

فالمرض النفسي اذن ليس سوى ضرب معوج ، غير سوي ، من ضروب حل الأزمات النفسية ، قد يحمل المرء مرات على ارتكاب الأثم والسقوط في الجريمة ، كما سنرى .

(١) سنأتى على بحث هذه الأمور تفصيلاً في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

ولقد صرح فرويد بأن المصاب مظهر واضح للانحرافات السلوكية ، وان كثيراً من جرائم الصغار قد وقعت بديلاً عنه . فالطفل الذي لا يشعر بالسعادة في منزله قد يكبت ألمه ويصاب بالاضطراب النفسي ، أو هو قد يرتكب الجريمة ، ويحمي بذلك نفسه ، من الانهيار العصبي ^(١) .

ووجد برت أن ميولاً عصائية معتدلة قد ظهرت في نحو ١٥٪ من حالاته ، ودلائل عصائية واضحة في ١١٪ منها ، وبدأت له هذه الحالات بين البنات عشرة أضعافها بين البنين ^(٢) .

وأكثر أنواع الشذوذ النفسي شيوعاً هي الهستيريا ، والنوراستينيا ، والقلق ، والأفكار التسلطية ، والأفعال الجبرية . وفي هذه الأمراض يظل المصاب محتفظاً بصلته العادية بالحياة الواقعية ، وعلاقته بالعالم الخارجي ، لكنه يختلف عن الشخص العادي لشدة هذه الأعراض فيه ، وارتفاع درجتها عنده ^(٣) .

وسنذكر كلمة مختصرة عن كل حالة منها ، فيما هو آت :

١ - الهستيريا Hysteria

وصف الهستيريا وتعريفها :

تعتبر الهستيريا أكثر الأمراض النفسية شيوعاً بين المجرمين ،

(١) يوسف مراد ، المصدر نفسه ، ص ١٥١ . برت ، المصدر نفسه ،

ص ٥٥١ - ٥٥٨ .

(٢) برت المصدر نفسه ، ص ٥٨٠ - ٥٨٢ .

(٣) نورود ايسست ، المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .

لأسيما البالغين والمراهقين. وهي قليلة أو نادرة بين الأولاد والأحداث، وتتميز بظواهر جثمانية كالشلل والتقلصات Contractures ، وفقد الحس Anesthesias^(١). يشكو المصاب بها من الطرش ، أو العمى في إحدى عينيه ، أو الشلل في ساعده أو رجله أو ما شا كل ذلك من غير أن يظهر أي أساس عضوي Organic لهذا الاعتلال عنده . وتراه يبدى في الوقت نفسه ارتياحاً ومسرة لظهور هذا العيب فيه ، بغية التخلص من بعض الواجبات الشاقة التي يتهربها ، أو بقصد لفت الانظار إليه والحصول على العطف والانتباه والمحبة التي يتوق إليها . وهو - في معظم الأحوال - يعتقد بأن إصابته حقيقية ، وما هي ، في الواقع ، سوى ظواهر رغبة لاشعورية قوية تنشد الخلاص من مشكلة نفسية ، وطريقة غير سليمة في حلها والتغلب عليها .

فالإنسان قد يود أحيانا تصنع المرض للفرار من الأعباء ، كالجندي ، الذي يخشى مواجهة القتال ، ولا يريد أن يظهر ، في الوقت نفسه ، بمظهر الجبن والنذالة ، فانه قد يصاب نتيجة ذلك بازمة نفسية حادة ، يتمنى لو يجد له منها مخرجاً معقولاً ، يعفيه من الذهاب الى « الجبهة » من غير أن تصاب كرامته بسوء ،

(١) وقد تكون الاعراض الهستيرية أخف من ذلك كالخفقان ، والاسهال ، وكثرة التبول ، والقى ، والارق ، والحركات الجسمية المتكررة لعضو من أعضاء الجسم ، أو عضلة من عضلاته . (راجع أحمد محمد خليفة ، علم النفس الجنائي والقضائي ، بغداد ، ١٩٤٩ ، ص ٢٩) .

أو تخرج سمعته ، ويتمنى لو يحل بيده مثلاً شلل يخلصه من هذا المأزق الدقيق بسلام . وتندس هذه الفكرة في أعماق عقله وتعمل عملها في الخفاء دون أن يعي من أمرها شيئاً ، وإذا به يصبح ذات يوم فيرى أن يده قد شلت فعلاً^(١).

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك : أن جندياً فقد بصر إحدى عينيه إثر شظية ولم يجد الخبراء في طب العيون خلافاً عضوياً يعزى إليه هذا العمى ، فلم يبق شك في أنه عرض هستيري . وبعد أن بقي على حاله هذه مدة تمكن الطبيب من معالجته بأساليب نفسية ، لم يلبث على أثرها أن شفي تماماً ، وعاد إليه بصره سليماً كالاعتاد .

ومن الحالات الهستيرية ، الشائعة بين الجنود في مواقع القتال ، ما يطلق عليها « صدمات القنابل » Shell-Shock ، حيث يشاهد المصاب وقد شلت يده أو رجلاه ، وفقد ذاكرته ، وأصبح أخرساً يرتعد خوفاً ورعباً . ويدل الفحص الطبي على سلامته من أية إصابات عضوية ، ثم لا يلبث أن يرجع إلى حالته الطبيعية إذا استعملت في علاجه الأساليب النفسية ، كالتنويم المغناطيسي ، أو التحليل النفسي^(٢).

(١) وهذا ما يسمى بالبيتانيزم Pithianism أى المرض الذى يحدثه الايحاء ، ويشفيه الاقناع . يوسف مراد ، المصدر نفسه ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) William Brown, Psychological Methods of Healing, London, 1938, P.7

وهكذا فافتنا نرى أن الأعراض الهستيرية ليست سوى وسيلة من الوسائل الشاذة للتغلب على مشكلة قائمة لم يقو صاحبها على حلها بطريق سوى صحيح ، ولم يستطع الخلاص منها بصورة سليمة مجدية ^(١) .

أنواع الهستيريا :

الهستيريا على صنفين : الهستيريا التحويلية Conversion Hysteria والهستيريا القلقية Anxiety Hysteria . فالأولى ما تبدو عادة في شكل أمراض أو اختلالات عضوية ، كالتي أشرنا إليها ، والثانية تظهر في شكل أعراض عقلية شعورية تتمثل فيما يساور المريض من مخاوف وهمية ، وتخيلات فكرية مقلقة ، أو أحلام يقظة مزعجة ^(٢) .

النوبات الهستيرية :

ومن ظواهر الهستيريا النوبات الهستيرية ، وهي نادرة الحدوث ،

(١) غير أن فرويد يرى أن الهستيريا تتركز على رغبة جنسية مكبوتة تنصرف طاقتها عن طريق ظواهر مرضية جسدية ، أي أن الطاقة المكبوتة تتحول من طاقة نفسية إلى ظاهرة بدنية . ومن هنا جاء اسم الهستيريا التحويلية . أحمد محمد خليفة ، المصدر نفسه ، ص ٢٨ . محمد فتحي بك ، المصدر نفسه ، ص ١٦٦ - ١٧٧ .

(٢) المصابون بالهستيريا القلقية يساور حياتهم الفكرية نوع من الانزعاج والاضطراب والقلق ، بعكس المصابين بالهستيريا التحويلية فإن حالتهم النفسية تكون عندئذ نسبيا أكثر هدوا واطمئنانا . محمد فتحي بك ، المصدر نفسه ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

وتترواح شدتها بين نوبات الانغماء ونوبات الصرع . وفيها يفقد المريض شعوره ، ويأتي بحركات غريبة ، وتصدر عنه أصوات غير واضحة ولا مفهومة ، دون وعي أو تصنع ^(١) .

الهستيريا والجريمة :

أهم الجرائم التي يقوم بها الهستيريون هي : السرقة ، والتزوير ، والتهديد بالرسائل ، والحرق ، والاعتداءات العادية ، والأفعال المخالفة للآداب المنافية للحياء ، ومحاولة القتل ، والقتل . كما يقومون أحيانا بايقاع الأذى بأنفسهم ، وابتلاع أجسام غريبة ، ومحاولة الانتحار ^(٢) .

والجرم الهستيري لا يذكر عادة شيئا من الحوادث المتصلة بالجريمة رغم أنه تبدو عليه ، في المسائل الأخرى ، حدة الذهن ، وقوة الانتباه ، وسلامة الذاكرة . ويحدث عنده في بعض الحالات تعدد الذاكرة ، أو انفصال الشخصية Dissociation of Personality أو فقد الذاكرة . Amnesia .

ففي حالة انفصال الشخصية يصبح للمريض أكثر من شخصية واحدة لكل منها طباعها ومزاجها وسماتها الخاصة . أي أنه يكون للشخص الواحد حالتان شعوريتان أو أكثر ، منفصلة كل منهما عن الأخرى ^(٣) .

(١) ويلاحظ أن هذه النوبات لا تحصل إذا كان المريض وحده ، ولا يسقط أثناءها بشكل مؤذ ، ولا يصيبه منها ضرر جثماني . (أحمد محمد خليفة المصدر نفسه ، ص ٢٩) .

(٢) نورود ايسست ، المصدر نفسه ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٣) ومن أشهر الأمثلة على ذلك الآنسة بوشامب ، وقد كانت فتاة هادئة محافظة متدينة على جانب كبير من المقدرة العقلية ، ثم مرت بها عذبة عاطفية قاسية ، ظهرت على أثرها ، إلى جانب شخصيتها الأولى ، شخصية

وفي حالة فقد الذاكرة يؤكد المصاب أنه لم ير ولم يسمع شيئاً من الأشياء، وأنه لا يقدر على استرجاع ذكرياته المتعلقة بوقت معين، أو بظروف وموضوعات معينة. أو هو قد ينسى اسمه واسم عائلته، أو كل العناصر التي تحدد شخصيته، ومركزه في الحياة^(١).

٢ - النوراستانيا Neurasthenia

تعريف النوراستانيا :

كانوا من قبل يعتبرون أن الهستيريا، والأفكار التسلطية، والأفعال الجبرية، والحالات القلقية، من الظواهر والأعراض النوراستانية. أما اليوم فقد حصروا تعبير النوراستانيا في الحالات التي يتميز بها المصاب بمظاهر التعب والاعياء الشديد في الجسم والعقل. وهي تفرق عن جميع أنواع العصاب الأخرى بأنها أكثر شيوعاً بين الأولاد، وتظهر عادة قبيل دور البلوغ. غير أن هنالك نوعاً كامناً منها لا يظهر حتى يقترب المرء من حدود الكهولة، عقب فترة طويلة من العمل الشاق المضي.

فتاة لعوب مأكرة ماجنة، تجد اللذة في نصب الشراك للآخرين، حتى لبوشامب نفسها.

وفي حالات تعدد الشخصية أوزدواجها يغلب أن يكون الانفصال بين الشخصيات تاماً، لا تذكر أحوالها أعمال الأخرى. (أحمد محمد خليفة، المصدر نفسه، ص ٣٢).

(٣) وهذه الحالات لا تستمر عادة مدة طويلة فيبقى بعدها المريض إلى نفسه، لكنه ينسى من جديد كل ما مر به في فترة المرض. - المصدر السابق، ص ٣٠.

اعراض النوراستانيا :

ان أهم أعراض النوراستانيا ، عدا التعب والاعياء الشديد ، الصـداع ، والأرق ، وضعف الجسم ، واختلال الذاكرة (أو بالأصح توهم المريض أن خلافاً قد أصاب ذاكرته ، ثم يظهر الفحص انه كان مخطئاً في هذا الظن ، وأن ذاكرته صحيحة سليمة كلياً)^(١) .

والنوراستاني يبدو عديم الاستقرار ، شديد الحساسية ، سريع التأثر ، كثير التهيج ، خائر القوى ، فاقد القدرة على تركيز أفكاره ، ليس له أي اهتمام بمسرات الحياة ومباهجها ، عاجزاً عن حل أبسط المشاكل ، وأهون الصعوبات .

ومن النوراستانيين من تنتابه مخاوف شتى ، وتكثر وساوسه ، وتراه يمعن في التفكير في كل حركة يبدوها ، أو فعل يباشره ، أو خاطرة ترد إلى باله . كثير التحول والتقلب ، تنتابه نوبات من الغضب والانعزال . ومنهم من يتوهم أحياناً أنه مقبل على الموت ، أو الانتحار ، أو الجنون ، أو ارتكاب الجرائم . وقد يصاحب حالته هذه محاولات فعلية للانتحار ، والهروب ، واقتراح بعض الجرائم البسيطة^(٢) . أو هو يعتقد أنه وقع فريسة لحادث مؤلم أو مأساة محزنة ، ولم يظفر في

R. D. Gillepsie, Mental Abnormality and Crime, op. (١)
cit. P. 73

(١) نورود ايسست ، المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .

هذا العالم بما يستحقه من عدل وانصاف . ولا تلبث هذه الأوهام أن تتركز في ذاكرته وتصبح لديه كأنها حقيقة واقعة ، تهـدد جهازه العصبي بالانهيار والدمار^(١) .

اسباب النوراستانيا :

تنشأ النوراستانيا نتيجة توتر نفسي ناجم عن قيام مشكلة نفسية يستنزف البحث في حلها جزءاً كبيراً من الطاقة الحيوية للجهاز العصبي . غير أن فرويد يعلل الإصابة بها بالافراط في ممارسة العادة السرية ، وما يصاحب هذه العادة من شعور بالآثـم والخطيئة ، والأزمة الناشئة عن رغبة المريض في تركها وعدم نجاحه في تحقيق هذه الرغبة . وأكثر الناس إصابة بالنوراستانيا الأذكىاء ، وجبارة العقول ، تحل بهم على غير إرادتهم ، ومن الواجب عليهم إزاءها تجنب كل ما يزيد في أثرها وقوتها ، وترويض أنفسهم على الرضا بالحياة ، وانفاق الوقت فيما يسر ويسلى ، ويعود عليهم بالخير والفائدة^(٢) .

بعض الامثلة :

ومن أمثلة النوراستانيا حالة رجل في الخامسة والخمسين من عمره كان الى عهد قريب يرأس شركة كبيرة ، ثم تقاعد ، وأخذ يشكو من تعب بالغ ، وأرق وفقدان الشهية لتناول الطعام ، وقد اختل تفكيره حتى بات يحشى الجنون ، دون أن تبدو عليه أعراض أي مرض عضوي^(٣) .

(١) سادلر ، المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ - ٢٧٨ .

(٢) (٣) المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .

ومثال آخر : حالة سيدة تناهر الخامسة والثلاثين قد لزمت الفراش منذ ثلاث سنين شاكية من اضطحلل عصبى شديد . وقد ظهر أنها منذ بلغت الخامسة عشرة أصيبت بتعب بالغ في الجسم والعقل . فكانت تشاهد لاهثة الأنفاس ، عاجزة عن مجاراة الاتراب في حركاتهن وأعمالهن ، لا تذكر أن شهراً واحداً قد مر بها وهي في راحة تامة . ودل الفحص أنها سليمة البدن ، وقد جربت أدوية كثيرة دون جدوى ، ولم يتم لها الشفاء الا بواسطة العلاجات النفسية الخاصة .

٣ - الحالات القلقية Anxiety States

تعريف القلق النفسى ووصفه :

القلق النفسى من الظواهر العامة الشائعة في الحياة اليومية ، وفي مختلف أنواع الاضطرابات النفسية والأمراض العقلية . ففي الحياة العادية قد تحصل حوادث تدعو الى قلق يظل مستمراً حتى يحل المشكل العارض . أما في القلق المرضي فان المصاب يشكو من الخوف والفرع والشك دون وجود ما يبرر ذلك فعلاً . كالخوف من ركوب السيارة ، أو السفر بالقطار ، أو المشي في الأماكن المفتوحة ، أو الصمود الى مكان عال ، والفرع من السير في الظلام ، والشك في أصابته بالعدوى ، أو بأحد الأمراض . ويطلق على مثل هذه الحالات اصطلاحاً كلمة «الفوبيا» Phobias ، أي المخاوف ، والأوهام الكاذبة .

والقلق إما أن يكون حاداً أو معتدلاً ، دائماً أو متقطعاً . وهو أكثر الأمراض النفسية انتشاراً سواء بين المجرمين أو غير المجرمين .

ويلاحظ أن أكثر جرائم المصايين به هي الهروب من المدرسة أو الفرار من المنزل ، خوفاً من أحد الأساتذة وكرهية أحد الدروس ، أو من عقاب الوالد القاسي وسوء معاملته .

أعراض القلق النفسي

أهم الأعراض البدنية في حالات القلق النفسي هي : خفقان القلب ، وصعوبة التنفس ، وسوء الهضم ، والصداع ، وآلام في الجسم كله ، والأرق ^(١) Insomnia .

وأهم الأعراض النفسية هي : المخاوف المَرَضية ، وهبوط العزيمة وقلة النشاط ^(٢) . وتزداد عوارض الخوف والفرع هذه زيادة كبيرة عقب الانفعالات العنيفة كالغضب أو الحزن ، أو بعد اجهاد جسماني ، أو مرض عضوي . لهذا فهي تشاهد بكثرة لماثر نزول الكوارث والصدمات وتحدث بعد الوضع عند السيدات إذا لم يكن طبيعياً ^(٣) .

ومن الأعراض الأخرى في هذا المرض جفاف الفم ، وتقلص الشفتين ، وميل المريض الى تجرع الماء ، وفقد الشهية للطعام ، ونقص الوزن ، والشعور - أحياناً - بالحاجة الملحة للتبول ، والرغبة في تحليل البول للاطمئنان على عدم الإصابة بالسكر .

وتكثر الأحلام المفرعة عند مرضى حالات القلق ، وكثيراً ما ينتهي الأمر بهم الى مغادرة منازلهم وأعمالهم ، والتنقل من مكان الى

(١ و ٢) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٣) أحمد كمال ، الطب النفسي ، ص ١٣٧ - ١٤٣ .

مكان علمهم يجدون شيئاً يريحهم مما هم فيه ويخفف عنهم آلامهم . وقد يضطر بعضهم ، خلال هذا التجوال ، لارتكاب السرقة لأجل العيش ، بسبب تركهم منازلهم على حين غرة دون سابق استعداد للرحيل والسفر .

ويلاحظ أن المصاب بالقلق ، كالنورستاني ، يغالي في تقدير همومه ومشاكله ، ويتوهم أن لها من العواقب والتأثير ما فيه الويل له ، والفضاء على آماله ومستقبله ، الأمر الذي يجعله في حالة توتر نفسي دائم ، يثور من غير مناسبة ، ويختد لصغائر الأمور .

وكثيراً ما يعمد الكبار من هؤلاء المرضى الى تعاطي الخمر لصد شعور ذلك الخوف المتسلط على نفوسهم ، أو لتخفيف درجته وحدته فيهم^(١) .

اسباب القلق النفسي

القلق النفسي ، كالهستيريا ، ينبعث عن رغبة مكبوتة ، أو صراع داخلي بين نزعات وميول متعاكسة متعارضة . فبينما تتحول الطاقة المتأججة في النفس ، في حالة الهستيريا ، الى ظاهرة جسمية ، إذ بها تنقلب في حالات القلق الى ظاهرة نفسية شعورية ، هي ظاهرة القلق والخوف^(٢) .

مثال ذلك : حالة رجل في الثانية والثلاثين من عمره كان يشكو

(١) نورود ايست ، المصدر نفسه ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) أحمد محمد خليفة ، المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

من خوف شديد من الاصابة بالسرطان ، والموت بالسكتة القلبية . وقد أظهر الفحص والتحليل أنه كان يعاني أزمة نفسية ناشئة عن الحرمان من « الحب » ، ومن وجود ميول عدوانية عنيفة مكبوتة لم يستطع تحقيقها وتنفيذها في العالم الخارجي ، مما جعل الطاقة المحبوسة فيه تنصرف ضد نفسه ، وأن تجد لها في ذاته متنفسا ومنفذا ، بالخوف من الاصابة بالسرطان ، والفرع من الوفاة فجأة^(١) .

اثر القلق النفسي في السلوك :

يظهر أثر القلق النفسي ، كما رأينا ، في سلوك المريض وحركاته وتصرفاته . فهو يخشى الأسفار ، أو الموت ، أو الأمراض ، أو الليل ، أو الأماكن المظلمة ، أو الغرف المقفلة أو غيرها دون أن يكون لذلك كله سبب معقول . فهو في كل هذه الحالات يؤكد بأن ليس هناك ما يبعث الخوف في نفسه ، لكنه على الرغم من ذلك يشعر بقوة داخلية لا يدرك عنها تدفقه لهذا القلق الذي يستدعي ، في الواقع ، عجه ودهشته .

وكثيراً ما يسترسل المصاب في شذوذه واساءاته اذ يكون ، في الغالب ، مرهف الحس ، سريع الغضب ، كثير التهيج ، ذا اتصالات حادة شديدة .

A. Kardiner, Hysterias And Phobias, Psychoanalysis (١)
Today, N.y., 1944, P. 194-197.

Obsessive Thoughts

الأفكار التسلطية أو الوسواسية هي من الأمراض النفسية التي يتميز المصاب بها بما يبدية ، رغم إرادته ، من أفكار غير منطقية وآراء غير خلقية ورغائب غير اجتماعية ، وهو رغم معرفته بفسادها وضرها ومخالفتها للواقع ، فإنه يجد نفسه عاجزاً عن التحرر منها ، والاقلاع عنها . وتحدث الأفكار التسلطية من رجوع بعض الصور البصرية ، أو العبارات ، أو الأفكار ، أو الذكريات لذهن المرء ، المرة تلو الأخرى إلى أن تستولي على عقله وتظل تسترعي انتباهه ، ويجد أنه قد أصبح في النهاية عبداً لها ، لا يستطيع الخلاص منها إلا بأعمال استعاضية Substitutional ، أو باقتراف إثم أو جريمة^(١) .

ومن أمثلة هذه الأفكار المرضية : أن يرى شخص مبلغاً من النقود الذهبية في أحد الأمكنة ، أمام صاحبه ، فلا يلبث أن يلاحظ أن صورة هذه النقود عينها ماثلة في ذهنه لاتفارقه ، يحتمل بريقها مخيلته ، ويتبعه كظله أينما سار ، وأن حافظاً قويا فيه يسوقه إلى سرقها والاستيلاء عليها بأية وسيلة .

أو أن يقع نزاع بين شخصين ، فيوجه أحدهما للآخر عبارات جارحة ، والفاظاً مؤذية ، ثم يتصالحان وينصرفان ، ويفترقان عن بعضهما

(٢) برت ، المصدر نفسه ، ص ٥٨٣ - ٥٨٤ .

لكن المجنى عليه يظل يشعر ، رغم ذلك ، أن تلك الألفاظ والعبارات ، ذاتها ، تعود الى ذاكرته ، وأن صداها يتجاوب في جنبات نفسه بقوة واستمرار ، مقترنا بدافع عنيف يستفز الرد عليها من جديد ، والثأر اسكرامته الجريحة .

ومن الأمثلة الاخرى على ذلك أيضا أن تستولي على الفرد أحيانا فكرة جنائية تلازم شعوره وتستحبه على قتل أيه مثلاً ، أو الفتك بأحد أقاربه ، أو اعتقاده أنه قد أصيب بشذوذ جنسي ، أو بمرض زهري ، أو غير ذلك من الامراض الخبيثة .

ويصيب هذا النوع من الاضطرابات العصائية الاشخاص المنطوين على أنفسهم ، ذوي المزاج الغير المستقر ، ممن يمتازون ، عادة ، بذكاء حاد ، وحساسية شديدة .

ويرجع سبب الاصابة بهذا المرض النفسي الى وجود رغبة مكبوتة مصحوبة بصراع غير منظور ، وقد تكونت العادة التسلطية بديلاً عن هذا الصراع ، أو انها بدت ظاهرة من ظواهره الدالة عليه . وهي قد تحمل المصائب في حالات كثيرة ، حين تشتد فيه ، ويتعاضد ضغطها عليه ، الى الاقدام على أعمال السرقة والاعتداء ، والاتلاف ، وغيرها من أفعال الشر والاجرام ، دون أن يقوى على صدها ، وكبح جماحها .

الافعال الجبرية

Compulsive Actions

الافعال الجبرية أعمال وحركات شاذة يقوم بها الشخص دون ضرورة

لا تيانها ، ومن غير موجب للقيام بها ، ويتعذر عليه تركها والتخلص منها . وهي كثيرة الانتشار ، لاسيما بين الأولاد ، يعانى المصاب بها من دوافع قهرية تحثه على ارتكاب أفعال غير سوية ، لا يقدر على مقاومتها أو صدها ، كأن يمد الأشياء التي يمر بها (كما كان يفعل نابليون) ، أو يلمس بعض الأثاث الذي يشاهده (كالدكتور جونسون) ، أو يلفظ أبشع الكلمات في أسوأ المناسبات (كجون بايان ^(١)) ، أو يكثر من الاغتسال خوف العدوى من الجرائم والأوساخ .

وقد تصطبغ هذه الأفعال ، بعض الأحيان ، بطابع جنائي كأفعال الولوع بالسرقة والاختلاس - الكليبتومانيا Kleptomania - ، وشهوة الجماع - النمفومانيا Nymphomania - ، والولوع بأحداث الحرائق - البايرومانييا Pyromania - ، والولوع بشرب الخمر الديبسومانيا Dysomania - ، وشهوة القتل - هوميسيدالمانيا Homicidal Mania ، والولوع بالتلفيق والاختلاق - المايتومانيا Mythomania - ، وغيرها .

ففي جميع هذه الحالات يبدو المريض كأنه واقع تحت تأثير سحري قوي يحمله على ارتكاب أفعال السرقة ، أو الاغتصاب ، أو الحرق ، أو

(١) ومثال هذه الحالة أن يذكر أحدهم « للعريس » ليلة زفافه بعض الحوادث عن الوفاة بالسكتة القلبية في ليالى الزفاف . أو أن يروى قصصا ذات صفة مجنونة في حضرة رجل دينى متعصب ، أو حكايات فكاهية تثير الضحك أثناء تشييع إحدى الجنازات .

احتساء الخمر ، أو القتل ، أو التلقيق ، دون مبرر يحجزها ، وهو لا يروم من ورائها كسبا ، أو يبغي منفعة ، بل كل ما ينشده منها الشعور بالرضا والارتياح بعد وقوعها^(١) .

وتشاهد الأفعال الجبرية ، في السلوك الجنائي ، بنسبة أقل بكثير مما يظن عادة . فبين ٤٠٦ أشخاص من المجرمين ، الذين قام أحد الأخصائيين بدراسة حالاتهم ، لم يظهر سوى اثنين فقط قد أصيبوا بأعراض قهرية جنائية . غير أنه من المعتاد أن يزعم الجناة والمجرمون في المحاكم أن حالة تسلطية - جبرية قد دفعتهم عنوة لارتكاب التهم المسندة إليهم ، من سرقة أو قتل أو اعتداء أو غيرها ، لكن الأدلة والبراهين تأتي ، فيما بعد ، مكذبة لمزاعمهم هذه ، مؤيدة لفقدان عناصر الجبر فيما ارتكبوه من أفعال وجرائم^(٢) .

ويرجع سبب هذه العلة في المصاب ، كما هي الحال في سائر أنواع الاضطرابات النفسية ، الى صراع عنيف يدور في النفس بين الدوافع الفريزية الجامحة وبين ضرورات الحياة الاجتماعية . أو انها - طبق رأي فرويد - نتيجة تغلب « الهو » في الانسان على قوات « الأنا » ، وقدرات « الأنا الأعلى » ، ونجاح الرغبات والشهوات النائرة المكبوتة

(١) وتعتبر التقلصات أو الحركات الشاذة التي تشاهد في بعض المصابين بهذا العصاب القهري من العواض البسيطة التي تدل عليه ، كتقلص عضلات الوجه ، أو ادارته الى إحدى الجهات .

(٢) نورود ايسست ، المصدر نفسه ، ص ٢١٨ .

في أعماق النفس على الانطلاق والظهور في الشعور ، بعد اختراقها جهاز الكبت ، وأجهزة الدفاع الأخرى القائمة أمامها .
الجريمة العصابية :

تكون الجريمة أحياناً من الظواهر العصابية ، وليدة عوامل لاشعورية داخلية أكثر مما تكون ناشئة عن ظروف آنية عارضة ، أو صادرة عن دوافع غير اجتماعية Anti-Social Impulses وهي عندئذ لا تستهدف - كما سنرى - إيقاع الأذى في المجتمع ، أو الحصول على منفعة مادية ، وريج للذات .

ويشترط لاعتبار الجريمة ظاهرة عصابية ، وعرضا من أعراض الاضطرابات النفسية ، توفر عدة شروط هي :

١ - أن تكون قد وقعت نتيجة صراع داخلي بين قوى النفس الثلاثة : « الهو » ، و « الأنا » ، و « الأنا الأعلى » ، سواء حصل ذلك بصورة شعورية أو لاشعورية .

٢ - أن يكون الفعل الجرمي حلاً وسطاً Compromise ، للتوفيق بين رغبات هذه القوى والتأليف بين نداءاتها ، لاتعبيراً مباشراً للرغبات والنزعات اللا اجتماعية ، الرامية عادة لتحقيق نفع خاص ، أو للحصول على كسب أو ربح ، أو تعمد الأذى والضرر بالآخرين .

٣ - أن تظهر على الفاعل أعراض عصابية أخرى ، كالقلق النفسي ، والخاوف المرضية ، والاحلام المزعجة في الليل ، والخيالات المربكة في النهار .

٤ - أن لا يحصل العصايب من سلوكه الجنائي على أي ربح مادي ،
أو أن لا يكون مثل هذا الربح ، عند حصوله ، هو المقصود بالذات
من الجريمة .

فالجريمة العصابية تكون عادة وسيلة لتحقيق أحد الأغراض الآتية :
أ - للخلاص أو الهرب ، ولو مؤقتا ، من موقف مؤلم ، أو من
وضع غير سار . فإذا أحس الحدث مثلاً بالخوف من والد قاس يمزبه أو
من معلم شديد رهبه عمد إلى الهرب من المنزل أو المدرسة ، والتشرد ،
لانقاذ نفسه من الخوف والعذاب ، والرهبة التي تنتظره وتهدهده .

ب - لاثبات الذات والظهور بمظهر التفوق والبطولة ، كما يفعل
الأطفال الذين يشعرون بالقصور والدونية ، أو المعجز عن التوافق
الاجتماعي ، والفشل في نواحي الحياة السليمة ، حين يقومون بأفعال
الاعتداء ، والتخريب ، والاتلاف ^(١) .

ج - للثأر والانتقام ، لا سيما من الأبوين ، نتيجة الحرمان من
العطف والحب الوالدي الذين يحتاجهما الصغير ولا يجدهما . عندئذ يندفع
إلى السرقة أو غيرها من الجرائم لالحاق الأذى بوالديه والخط من
كرامتهما بين الناس . وهو يرى في ذلك جزاء لهما على قساوتهما ، وينال
منهما بصورة رمزية كهذه - عن طريق الجريمة - ما يعجز عن تحقيقه
فعلاً في الحياة الواقعية ، من إيلام وانتقام .

(١) لقد فصلنا بحث مثل هذه الحالة من قبل . راجع ص ٨٦ .

د - للاستعاضة Substitution عن نزع قوة شعورية أو لاشعورية لا يمكن تحقيقها وافتادها فعلا . كما لو أراد طفل أن يحرق والده الذي يعذبه ، أو أن يشعل النار في أخيه الذي ينافسه حب أمه ، فانه يقوم - لقصوره عن تحقيق ذلك - باحراق المنزل أو بعض محتوياته أو أشياء شقيقه ، بديلاً عن الرغبة الأصلية ، وعوضاً عنها .

هـ - لمعاقبة الذات على ما ارتكبت من لائم أو خطيئة . كما لو عصى طفل أوامر والده ، فان ذلك قد يحدث في نفسه شعوراً قويا بالذنب يحمله أحياناً على اقرار عمل عدواني يستحق المجازاة عليه ، او ارتكاب فعل من أفعال التخريب او غيره يستلزم قصاصه وعقابه^(١) .

ومن أمثلة الجرائم المعصية القضايا الآتية التي قنا بفحصها وفصلها ، حين كنا رئيسا لمحكمة الاحداث (في فلسطين) وهي :

قضية ولد يدعى « ابراهيم » يبلغ من العمر ١٣ عاماً ، اتهم باقرار عدة سرقات من جملتها : سرقة اقة واحدة من الأرز ، ونحو ايتين من الموز ، و « ابريموس » غير قابل للاستعمال . وعند مثوله في المحكمة أخذ يبكي بحرقة ، ويرتمش بشدة ، وظهرت على وجهه حركات وتقلصات غير طبيعية . عندئذ عملنا على تهدئة روعه ، واعادة الطمأنينة الى نفسه ،

(١) ينفي كاريمان أن تقع الجريمة نتيجة دافع كهذا ، لان « الانا الاعلى » الذي يكون قويا صارما لدرجة أن يلجأ في معاقبة « الانا » على أخطائهما وذنوبها ، لا يقبل أن تقوم « الانا » من جديد بأخطاء وذنوب أخرى . أما ايخهون فقد صرح بجواز ذلك . (جيليسي ، المصدر نفسه ، ص ٨٢ -

ثم أفهمناه بلغة سهلة بسيطة محتويات التهم المسندة اليه ، فاعترف بها جميعا . وبدراسة تفاصيل أحواله وظروفه تبين أنه مصاب بمرض هو أشبه بالولوع بالسرقه ، السكبتومانيا ، وإن له سجلاً حافلاً بحوادث السرقات المختلفة لا يقل عددها عن العشرين . وقد دخل الإصلاحية من قبل مرتين ، وهرب منها .

وقبل إصدار القرار في قضية « ابراهيم » هذه أحلناه الى طبيب عقلي لفحصه ، وتقديم تقرير عن حالته النفسية والعقلية ، فكان جواب الطبيب موجزاً ، يتألف من عبارة واحدة هي : « ان ذكاء هذا الولد فوق المتوسط ، وأنه معتوه خلقياً » .

غير اننا لم نجد في مثل هذا الجواب ما يشفي غلة أو ما يساعد على فهم « المشكلة » ، ومعالجتها . كما اننا لم نقنع في الواقع ، من أن « المتهم معتوه خلقياً » مما اضطرنا عندئذ لبحث حالته بأنفسنا ، فظهر التحقيق لنا الحقائق التالية :

١ - لقد توفيت والدة « ابراهيم » وهو في الخامسة من عمره ، فتزوج والده سيدة أخرى ، أنجبت له عدة اولاد .

٢ - حالة الوالد المادية حسنة ومركزه الاجتماعي ممتاز ، إلا أنه كان قاسياً نحو ولده ، شديداً في معاملته ، صارماً في عقابه .

٣ - كان أخوة ابراهيم لأبيه ينعمون بحب أمهم ، وعطف أبيهم أما « هو » فلم يكن حوله أحد يحنو عليه ، أو يسمعه كلمة حسنة تم عن

المطف والمحبة والرافة ، بل انه على العكس من ذلك ، قد كان موضع احتقار الجميع ، وهزئهم ، يستخرونه في خدمتهم ، وقضاء حاجاتهم . من هذه الحقائق ثبت لنا أن « المتهم » يعاني أزمة نفسية حادة ناجمة عن الوضع السيء الذي وجد نفسه فيه ، يشعر بالحرمان من المطف الذي يهفو اليه فؤاده ، وكراهية قوية نحو والده وزوجته وأولاده ، ورغبة في الانتقام منهم جميعا على اساءاتهم اليه ، وميله للخلاص من شرهم وأذاهم . وهو لم يرغب « السرقة » وسيلة ناجمة تساعد على التفرج عن نفسه ، والثأر من أبيه ، والتحرر من بيئته .

ومما يجدر ذكره أن سرقاته تميزت ، بتفاهة قيمة الاشياء المسروقة فهي لم تتجاوز ، في كل حادثة ، ١٠٠ - ٢٥٠ فلساً . وأنه اعتاد أن يقسم هذه المسروقات مع رفيق صغير ، كان يصاحبه ، ويأنس اليه . مما يدل أنه لم يكن ينتفع من هذه السرقات مادياً . وان فائدتها كانت تقتصر عنده على تخفيف وطأة الصراع القائم بين نزعاته ورغباته المختلفة ، وإيجاد الرضا والارتياح في نفسه .

بعد فهم هذه الوقائع كلها سهل علينا عندئذ أمر العلاج والاصلاح ، فقد عزلنا « ابراهيم » عن منزل أبيه وأرسلناه إلى بيت أحد أقاربه ، حيث تقيم سيدة تمهدت برعايته ، والعناية به ، والحدب عليه « كأمه » ، كما قررنا ادخاله إلى إحدى المدارس الابتدائية ، وتكليف والده ضمان نفقاته كلها ، ووجوب معاملته بالحسنى ، والحيلولة

دون أية إساءة توجه اليه من زوجته وبقية اولاده ، وأحلتناه في الوقت نفسه ، الى عهدة طبيب مختص للسهر على علاجه واصلاحه .

ولقد بقينا نتابع هذه المشكلة بعد فصلها ، وتأكد لنا أخيراً أن سلوك « ابراهيم » قد تحسن كثيراً ، وأن سرقاته لم تتكرر .

وهذه حالة ولد آخر يدعى « سليم » ، يبلغ من العمر ١٢ سنة ، اتهم أمامنا بالسرقة أيضاً . وقد تبين من دراسة مشكلته أنه كان يتعلم في إحدى المدارس الابتدائية ، وقد عرف في صفه بالاجتهاد والمواظبة والنشاط والسلوك الممتاز ، إلا أن والده قد أمره بالانقطاع عن المدرسة ، وأخرجه منها عنوة ، وعهد اليه رعي بعض أبقاره ، الأمر الذي أثار نفمة « سليم » واستنكاره ، ودفعه يوماً لسرقة نحو ست أقات من الزيتون ، للمرة الأولى في حياته . وحين سيق للمحاكمة اعترف « بجريمته » ، وطلب بالحاح وشدة أن أعيده للمدرسة لا يكمل تحصيله وتعليمه .

وبنتيجة تحقيقاتنا هذه ثبت لنا أن الجريمة لم تنشأ عن أي فساد خلقي في « المتهم » ولا عن قصد جنائي بإيقاع الأذى « بصاحب » الزيتون المسروق ، لكنها نجمت عن صراع نفسي بين رغبته في العودة للمدرسة من جهة ، وميله للخضوع لارادة الوالد واطاعته ، من جهة أخرى . أو عن رغبة لاشعورية في الانتقام من الوالد - بسبب هذا الحادث - والتسبب له ، عن طريق الاجرام ، بالمتاعب والآلام .

ولقد أصدرنا في هذه القضية حكماً يقضي « باعادة سليم الى مدرسته

الأولى ، والسماح له بمتابعة تحصيله فيها ، ومنع والده من اخراجه منها إلا بأمر خاص من المحكمة .

وهناك شاب آخر حكم عليه بالسجن مدى الحياة بتهمة قتل والدته « لانقاذ شرف العائلة » حسب زعمه . وقد دلت الدراسات العلمية الوافية أن هذه الجريمة قد وقعت نتيجة مجموعة أفكار لاشعورية نبتت في نفسه منذ الطفولة ، تدور حول الحب ، والغيرة ، والشهوة ، أثارتها من مكمنها ظروف راهنة ، أدت إلى وقوع هذه الجريمة الشنيعة .

فهذه القضايا العصابية وأمثالها تدل بوضوح على أنه لولا المشاعر المكبوتة ، والصراعات النفسية ، وما قد ولدته في نفوس فاعليها من أزمات واضطرابات عقلية ، لما تم وقوعها وحدوثها . وان دراستنا لها ، وتمييزنا بينها وبين الجرائم العادية ، لاشك يساعدنا في انتقاء وسائل العلاج الملائمة ، واختيار أساليب الإصلاح اللازمة ، لاسيما بين المجرمين والأحداث .

الباب الرابع

شدوذي العقل^(١)

لقد بينا في أبحاثنا السابقة أن من عوامل الجريمة اختلال المزاج - أي اضطراب الحياة الانفعالية الفطرية في الانسان ، وانحراف الخلق - أي العواطف الرديئة ، والعادات السيئة ، والعقد المرّضية ، والامراض النفسية . غير انه قد ثبت لعلماء النفس ، ورجال الطب النفسي ، أن مجموعة الميول الغريزية الوحشية ، والدوافع العدوانية المختلفة تكاد تكون موجودة لدى كل فرد لا يخلو منها أحد ، وما يحول دون ظهورها وبروزها في عالم الحقيقة هو قدرة المرء ، أحيانا كثيرة ، على صدها وكفها والتحكم في زمامها ، بما أوتي من ذكاء ، ونال من علم ، وجمع من خبرات ونجارب .

وكما كانت الحوافز الفطرية قوية غنيمة ، والدوافع الخلقية المنحرفة جامعة كلما ازدادت الحاجة في ضبطها والسيطرة عليها إلى درجة أتم وأوفى من الذكاء والمعرفة والمران . وليس ثمّة شك ، اذن ، في الدور البالغ الأهمية الذي تلعبه القوى العقلية في تكييف السلوك البشري ، وتكامل الشخصية ، وتحقيق التعامل السوي مع الجماعة . وقد أصبح واجب العالم النفسي ، والحال هذه ، عند دراسته عوامل الجريمة ، فحص احوال المجرم

الذهنية فحسباً دقيقاً . فكثيراً ما يدل البحث على أن الأفعال غير القانونية تقع نتيجة قصور فكري ، أو تأخر علمي ، أو اضطراب ذهني ، أو مرض عقلي ..

واننا نعني بكلمة « العقل » الاجراءات الفكرية المختلفة ، والمظاهر الادراكية المتعددة ، للنفس البشرية ، أي الحالات الذهنية للانسان ، واستثناء النواحي الوجدانية (الانفعالية) والنزوعية (الحركية) التي سبق بحثها وتفصيلها . وتكون وظيفة العقل ، بهذا المعنى الخاص ، مقتصرة على مسائل الادراك والتمييز ، والمقايسة ، والتحليل ، والنقد ، والابتكار ، والتذكر ، والتخيل والتبصر بمواقب الأمور ، وحساب النتائج ، وضبط السلوك ضبطاً ارادياً ، وتكييفه تكييفاً خاصاً لتحقيق غرض معين مقصود بالذات ^(١) .

وتقسم القدرات العقلية إلى موروثية ومكتسبة . وتشمل القدرات الموروثة الذكاء ، والمواهب الخاصة كاللوهية الموسيقية والرياضية واللغوية والآلية (الميكانيكية) . وتشمل القدرات المكتسبة الثقافة العامة والتحصيل المدرسي ، والمعلومات الاخرى التي يجمعها المرء في ادوار حياته المختلفة من تجاربه واختباراته ^(٢) . ولهذا فان عقول الأشخاص تتفاوت بتفاوت

(١) هذا هو المعنى الخاص للعقل . أما المعنى العام فيشمل اجراءات النفس الثلاثة : الادراك ، والوجدان ، والنزوع ، ويضم جوانبها المختلفة : الهو ، والانا ، والانا الاعلى ، وحالاتها الشعورية واللاشعورية . (راجع ص ١٤٨-١٤٩ ، و ١٥٦-١٦٠) .

(٢) راجع « الفرق بين الافعال الغريزية والارادية » ص ٥٢ .

الفصل الاول

القصور العقلي^(١)

Mental Deficiency

القصور العقلي انحطاط باد في الذكاء ، متفاوت في شدته ودرجته ، ناشيء عن توقف النمو الذهني أو عدم اكتماله ، ويبدو صاحبه معه عاجزا عن ضبط سلوكه وتوجيهه ، لا يستطيع مجارة الأسوياء في أعمالهم وتصرفاتهم ، ولا تدبير شؤون نفسه وسياساتها بالحزم والروية مثلهم ، أو ادراك عواقب أفعاله ، وتنتائج حسناته وسيئاته .

تعريف الذكاء :

اختلف العلماء في تعريف الذكاء وتحديد معناه ، ذلك أن الذكاء كالكهرباء قوة لا يعرف كنهها وماهيتها ، ولا تظهر إلا في شكل الضوء أو الحرارة أو القوة المحركة .

فذهب سبنسر ، وسترن Stern ، وكاربمان ، في تعريفهم له إلى القول بأنه « القدرة على التكيف مع المواقف الجديدة ، أو على خلق مواقف جديدة للتكيف معها » . أي أن يحسن الفرد التصرف في الحالات الطارئة عليه أو العارضة له ، وأن يجد حولا سليمة للمشاكل المعقدة التي تواجهه لأول مرة في حياته .

وقال بينيه Binet في تعريف الذكاء : « انه القدرة على الادراك

والابتكار ، والتوجيه ، ونقد الذات .

وقال نايث : « ان الذكاء هو المقدرة على التفكير الانشائي الذي يرى العلاقات بين الاشياء ، ويهدف الى تحقيق غاية معينة ، وفقا لمقتضيات الحال » .

أما برت فانه يعرف الذكاء بأنه « قدرة ذهنية فطرية عامة » ، يتميز عن المزاج أو الخلق بأنه ذهني وليس انفعاليا ، ويتميز عن المواهب المكتسبة بأنه موروث سابق للعلم والخبرة ، ويفترق عن القدرات الخاصة بأنه عام شامل لجميع أعمال الفرد الفكرية غير محدود بناحية معينة منها .

فن هذه التعاريف يبدو لنا أن الذكاء هو القدرة على التكيف مع البيئة ، والتوافق مع المجتمع ، والسلوك الناجح في الحياة ، وحل المشاكل العارضة حلولا سليمة تتفق وسنن الجماعة ، ونظم الاخلاق ، وأحكام القانون . وان القصور الذهني ، وفقدان الذكاء ، يعتبران والحال هذه من عوامل الفشل في كبح جماح الشهوات ، والاندفاع في تيارات الفرائز الأولية ، والميول البدائية ، والنزعات المحرمة .

صلة الذكاء بالمنح :

المنح مركز القوى الفكرية ، مادته ييضاء من الداخل ، سمراء من الخارج^(١) ، ويحتوي على مئات الملايين من الخلايا

(١) متوسط زنة المنح بعد الميلاد ١١ر٧ أوقية انكليزية عند الذكور (الاولوية الانكليزية تعادل ١١٣ من الرطل المصري) و ١٠ أوقيات عند الاناث . ويزداد ثقله تدريجيا بحسب تقدم السن . فاذا بلغ الطفل السنة =

الدقيقة^(١) ترتبط في الانسان السليم بأعصاب شعرية حساسة .
وتختلف الآراء في تحديد الصلة بين الذكاء والمخ ، إلا أن القول
الراجح هو أن للذكاء صلة كبيرة بحجم المخ ، وعلى الأخص بعمق
تلافيفه ومقدار المادة السنجابية في سطحه^(٢) . ولقد دلت التجارب على

= الثالثة وصلت زنة المخ عنده ٧٥ ر. من ثقله عند الرجل . وإذا بلغ
السابعة وصلت زنته عنده الى ٩٠ ر. من ثقله عند البالغين . وأكبر متوسط
لزنة المخ فى الكبار ٥٠ أوقية متى بلغ الرجل سن الخامسة والثلاثين ، و ٤٥
أوقية متى بلغت المرأة سن الثلاثين . (من هذا يظهر أن متوسط زنة مخ
الرجل أثقل بنحو ١٠ بالمائة منه عند المرأة . غير أن نسبة المخ الى ثقل
جسمها أعلى من نسبته الى ثقل جسمه) . وإذا بلغ الفرد من العمر ٤٠
سنة أخذ ثقل المخ ينقص بمعدل أوقية واحدة فى كل عشر سنوات . ولقد
شوهه أن مخ النواصع والعظماء كبير ، فقد بلغ وزن مخ اللورد بيرون ، الشاعر
الانكليزى ١٨٠٠ جراما ، ووزن مخ كرومويل ٢٢٠٠ جراما . ولكن ذلك
لا يؤخذ دائما دليلا قاطعا على تناسب حجم المخ مع الذكاء .

(١) يتكون الجهاز العصبى مثل غيره من الاجهزة فى الانسان من
خلايا . والخلية هى الوحدة التى يتكون منها كل كائن حى . وتركيب
من : (١) غشاء خارجى يسمى (جدار الخلية) ، و (٢) مادة رخوة داخل هذا
الغشاء تسمى (البروتوبلازما) ، أى مادة الحياة الاولى ، و (٣) ذرة صغيرة
تحتل مركز البروتوبلازما تسمى (النواة) .

وتقدر الخلايا العصبية التى بالمخ بنحو ١٠٠٠ ر. ٢٠٠ ر. ٩ (تسعة
بلايين ومئتين مليون) خلية . وتقدر سرعة التيار الذى يحمل الرسائل
من المخ واليه ، عن طريق الاعصاب ، بنحو ٣٠ مترا فى الثانية الواحدة .
وتمتاز الخلايا العصبية عن غيرها من خلايا الجسم بوجود زوائد قصيرة
كثيرة تربطها بعضها ببعض ، تسمى بالزوائد الشجرية . وبكل خلية
« زائدة » واحدة طويلة ، تسمى بالزائدة العصبية المحورية ، وامتدادها
يكون الاعصاب . (أملى عبد المسيح ، محمد كامل النحاس ، بهيجة سليمان
أحمد شاهين ، القاهرة ، ١٩٣٨)

(٢) كلما ارتقى الحيوان ازداد عمق تلافيفه المخية . فالشمبانزى
وهو أكبر أنواع القردة الافريقية يلى الانسان فى الذكاء ، ومن بعده الغوريلا
ثم القرد العادى .

أن العقل يضطرب ، والفكر يتعطل ، اذا أصاب المخ ارتجاج . وان بلغت الاصابة جوهر المخ زالت الملكات الفكرية ، كلها أو بعضها .
نمو الذكاء :

كما أن طول الانسان ووزنه لا يستمران في النمو طوال حياته بل يقفان عند بلوغه سننا معينة ، فكذلك الذكاء يقف نموه عند سن خاصة اختلف العلماء في تحديدها . فمنهم - مثل بينيه - من يعتبرها سن الخامسة عشرة ، ومنهم - مثل أو تيس Ottis - من يرى أنها سن الثامنة عشرة . أما الأغلبية فترجح انها سن السادسة عشرة ^(١) . وليس معنى هذا أن الانسان عند وصوله دور البلوغ يتوقف عن التعلم والاستفادة من التجارب ، وانما معناه أن القدرة على ذلك تبلغ في هذا الدور منهاها لا تزداد فيما بعد شيئا ، لكن الفرد يستمر على التعلم بهذه القدرة البالغة نهايتها القصوى .

ويقف نمو ذكاء قاصري العقول قبل الأسوياء ، كما يستمر نمو ذكاء متفوقي العقول الى سن أطول من السن التي يصل إليها الأفراد العاديون المتوسطون في ذكائهم ، ويزداد الفرق في أعمارهم العقلية باطراد تقدم السنين عندهم . فاذا كان العمر العقلي للذكي والعادي في سن الخامسة هو : ٦ ، ٥ أي بفارق سنة واحدة ، فانه يكون عندهما في سن العاشرة ١٢ ، ١٠ أي بفارق سنتين ، وفي سنة الخامسة عشرة : ١٨ ، ١٥ أي بفارق ثلاث سنين ^(٢) .

(١) وقد تكون هنالك بعده هذه السن زيادة في الذكاء حتى سن الخامسة والعشرين لكنها تكون ضئيلة من الصعب كشفها .
(٢) متركى أمين ، المصدر نفسه ، ص ١١١-١١٣ .

مقاييس الذكاء :

ابتكر العلماء أجهزة شتى لقياس الذكاء ، ومعرفة مستواه ودرجته والتحقق من تفوقه أو قصوره ، أهمها المقاييس التالية :

اختبارات بينيه : وضع بينيه ، العالم الفرنسى ، سنة ١٩٠٥ اختبارات خاصة لقياس ذكاء الأفراد بين سن الثالثة وبين سن الخامسة عشرة ، انتشرت فيما بعد في كثير من الممالك ، وأخذ المربون يطبقونها كل في بلده .

ولقد جعل بينيه اختبارات هذه فردية ، يمكن بها تحديد ذكاء الشخص عن طريق معرفة مقدار المعلومات العامة التي اكتسبها من الحياة والتجارب الشخصية في بيئته ، بصرف النظر عن تحصيله المدرسي ، وعن أي استعداد عقلي خاص موجود عنده ، كقوة الانتباه والذاكرة وغيرها . ولهذا الاختبارات كتب خاصة تشرحها ، وتبين كيفية إجرائها^(١) .

(١) راجع كتاب مقياس الذكاء ، تأليف الدكتور حسن عمر ، القاهرة ، ص ١٢٥ - ٢٣٠ - لكي يتسنى لنا معرفة مقدار ذكاء الطفل لا بد من معرفة عمره الزمني أو الميلادي ، ثم عمره العقلي ، وبعد ذلك يقدر الذكاء تقديرا حسابيا بقسمة العمر العقلي على العمر الميلادي ، وضرب الكسر الناتج في مئة . فإذا كان عمر الطفل العقلي ١٠ سنوات ، وكان سنه الميلادي ١٠ سنوات أيضا ، كان الطفل عاديا في عقله ، وتكون نسبة ذكائه مساويا $\frac{1}{1} \times 100 = 100$. وإذا زاد عمره العقلي على عمره الميلادي ، أي إذا زادت نسبة ذكائه على مئة كان الطفل ذكيا ، وموهوبا إذا كانت هذه الزيادة كبيرة . أما إذا نقص العمر العقلي عن الميلادي ، فإن ذلك يكون دليلا على تأخره من الوجهة العقلية (راجع كتاب تربية الطفل ومبادئ علم النفس ، أملي عبد المسيح ، محمد كامل النحاس ، المصدر نفسه ، ص ٢١٢ - ٢١٥) .

مقياس درفر و كولنز Drever and Collins : ويشتمل على اختبارات في تكوين اللوحات ، وتكملة الصور ، وبناء المكعبات ، واختبار « الدومينو » ، والرسم الجانبي للوجه^(١) .

وفي هذه الاختبارات يحسب الزمن الذي تستغرقه الاجابات ، وعدد الاجابات الصحيحة ، ويوضع لكل اختبار درجة خاصة ، ثم تجمع الدرجات جميعها ، ويجري تعيين العمر العقلي بمقارنتها بالمعيار المحدد ، وتقدر ، في النهاية ، نسبة الذكاء .

مقياس بنتنر وباترسون Pintner & Paterson : وهو مقياس عملي ، تم تحضيره في سنة ١٩١٧ ، ولا يحتاج إلى كلام أو معرفة لغة خاصة ، ويحتوي على خمسة عشر سؤالاً عملياً .

تواهاث الدكتور بورتيس Porteus : وهي أحد عشر تواهة ، متدرجة في الصعوبة طبقاً لمقياس بينيه .

اختبار الكسندر : ويسمى اختبار « الزحزحة » ، ويتكون من تسعة اختبارات ، متدرجة في الصعوبة ، وكل واحد منها يتكون من صندوق خشبي مربع مصبوغ جداره الأعلى باللون الأحمر ، وجداره الأسفل باللون الأزرق ، وبداخله عدد من المكعبات الحمراء والزرقاء تزداد عدداً كلما ازداد الاختبار صعوبة . ويوجد مع كل اختبار « بطاقة » ، ويطلب من الشخص المراد اختباراه أن يقوم بترتيب

(١) هذا الاختبار يلائم ضعاف العقول .

وتنظيم المكعبات في الصندوق المعطى له بما يشبه الترتيب والتنظيم المائل أمامه في « البطاقة ». ثم يحسب الممتحن الزمن الذي يستغرقه الاختبار من مبدئه إلى انتهائه ، ويحول الزمن الذي استغرقته الأجوبة الصحيحة إلى درجات — طبقاً للتعليمات المقررة — ، ثم تجمع هذه الدرجات ، وتجري مقارنتها بالمعيار الذي نظمه ألكسندر لاستخراج العمر العقلي . وفي النهاية تقدر نسبة الذكاء كالعادة^(١) .

مقياس بالارد : قام بالارد باختبارات مختلفة لقياس ذكاء عدد كبير من الأطفال في مدارس إنجلترا ، الذين تقع أعمارهم بين الثامنة والرابعة عشرة ، وكان يجريها على جماعة منهم في وقت واحد ، بدلاً من إعطاؤها لكل طفل على حده ، كما كان يفعل بينيه . ويتم تقدير مستواهم العقلي ، على أساس المعلومات العامة .

توزيع الذكاء بين الأفراد :

إن توزيع الذكاء بين الأفراد هو كتوزيع الطول أو العرض أو الوزن عندهم ، فأغلبهم من العاديين أو « المتوسطين » ، بينما القليل منهم نوابغ ، أو ضعاف العقول .

ولقد اختبر برت ٣٥٠٠ طفل فوجد أن ٢٦٧٤ طفلاً منهم عاديو الذكاء ، وبدت على الباقيين منهم (٩٢٦ طفلاً) ظواهر القصور العقلي ، وامارات التمرد^(٢) .

(١) متری آمین ، المصدر نفسه ، ص ١٥٤-١٧٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦-١٩ .

ووجد تومسون أن توزيع الذكاء بين ٢٧١٠ من تلامذة مقاطعة نورثمبرلاند هو كما يأتي :

جدول رقم ١٦

توزيع ذكاء بعض تلامذة نورثمبرلاند^(١)

نسبة الذكاء	عدد التلاميذ
٦٠ فأقل	٢١
٦١ - ٧٠	٨٣
٧١ - ٨٠	٢٢٦
٨١ - ٩٠	٤٧٥
٩١ - ١٠٠	٦٤٤
١٠١ - ١١٠	٥٩٦
١١١ - ١٢٠	٤٠٠
١٢١ - ١٣٠	١٨٩
١٣١ - ١٤٠	٦٥
١٤٠ فأكثر	١١

ويدل هذا الجدول على أن نسبة الاشخاص العاديين في ذكائهم ، أو القريبين منهم نحو ٤٥٥ ٪ من المجموع منهم : ٢٣٥ ٪ بلغت درجة ذكائهم ٩١-١٠٠ ، و ٢٢ ٪ بلغت درجتهم الذكائية ١٠١-١١٠ .
 / وقام الاستاذ ميري أمين باختبار ذكاء ٢٥٠٠ تلميذ مصري ، فحصل على النتائج التالية :

(١) المصدر السابق ، ص ١٦-١٩ .

جدول رقم ١٧

توزيع ذكاء بعض التلامذة المصريين^(١)

نسبة الذكاء	عدد التلاميذ
٤٠ فأقل	١
٤١ - ٥٠	٣
٥١ - ٦٠	١٢
٦١ - ٧٠	٣٤
٧١ - ٨٠	٣٤٠
٨١ - ٩٠	٥٥٠
٩١ - ١٠٠	٦٥٠
١٠١ - ١١٠	٥٠٠
١١١ - ١٢٠	٣٠٠
١٢١ - ١٣٠	١٠٠
١٣١ - ١٤٠	١٠

ونفيد هذا الاختبار أن نسبة عدد التلامذة المتوسطين في ذكائهم أو القريين منهم هي ٤٦٪ من المجموع ، منهم ٢٦٪ بلغت درجة ذكائهم ٩١-١٠٠ ، و ٢٠٪ بلغت درجتهم الذكائية ١٠١-١١٠ .

مراتب الذكاء :

اختلف العلماء في تحديد درجات الذكاء وطبقاته ، ولكن نتائج البحوث المتعددة تدل على المراتب الذكائية الآتية :

(١) المصدر السابق ، ص ١٦-١٩ .

المعتوه Idiot هو الشخص الذي لا يقدر على التعبير عن أفكاره بالكلام ، ولا يستطيع أن يفهم أية فكرة تصل إليه بطريق الخطاب والمحادثة ، وعلة ذلك فيه خلل في المراكز العقلية ، وليس نقصاً في التكوين العضوي كاللسان مثلاً .

أو هو من كان معدل ذكائه منخفضاً لا يزيد على ٢٥ درجة ، ولا يزيد عمره العقلي على سنتين أو ثلاث سنوات . ويتميز باضطراب فسيولوجي وذهني وخلقى نشأ أثناء تكوين الجنين ، أو على أثر اختلال قمرَضِي (باثولوجي) حصل في دور الطفولة المبكرة (من الولادة إلى سن سبع سنوات) .

والمعتوه يبدو عاجزاً عن المشي ، والكلام ، والالتباه ، والقيام بحاجاته الضرورية البسيطة كالأكل واللبس ، وحماية نفسه من الأخطار التي تعترضه . كما أنه لا يشعر بأية حاجة لتناول الغذاء ، ويكثر عنده سيلان اللعاب والصياح والحركات الشاذة . ولا يتأثر بالألم والحرارة والبرودة ، ولا يستطيع التعرف على الأهل والأقارب الذين يسهرون على خدمته والعناية به ، ولا يكون - في الغالب - قابلاً للتربية والتعليم والإصلاح^(١) .

(٢) راجع السيد محمد بدوي ، الشذوذ العقلي عند الاطفال ، مجلة علم النفس ، ١٩٤٦ ، مجلد ٢ عدد ١ ص ١٢٥-١٢٦ . والدكتور لويس Dr. Lewis ، المصدر نفسه ، ص ٩٣-٩٥ .

ويلاحظ في معظم هؤلاء المصابين كبر حجم الجمجمة ، كما يشاهد فيهم أحيانا صغر حجمها ، ونقص في تكوين احد المراكز العصبية وعجزها عن أداء وظائفها .

وهناك نوع آخر من العته ، أخف حدة ووطأة من هذا النوع المطبق ، اذ يستطيع المعتوه أن يمشي بخطوات مختلة ، ويمسك الأشياء بطريقة غير منتظمة ، ويتميز على بعض الأهل ، ويتميز بضعف الارادة وسرعة الانفعال ، وكثرة التقلب ، وعدم القدرة على ضبط النفس ^(١) .

٢ - البلهة

الابله Imbecile هو ، كما عرفه بينيه ، الفرد الذي لا يستطيع التعبير عن رأيه بالكتابة ، ولا أن يفهم ما يقرأ لا لشلل الذراع أو ضعف النظر ، بل لنقص في مراكزه العقلية . وهو يختلف عن المعتوه بقدرته على التفاهم مع غيره بالكلام ، لكنه لا يقوى على تعلم القراءة والكتابة ، ولا يزيد معدل ذكائه عن ٥٠ درجة ، ولا يتجاوز عمره العقلي سبع سنوات .

ويتميز الأبله بظواهر شتى أهمها ضعف الارادة ، وكثرة الحركات غير المنظمة ، ولس الأشياء دون مبرر ، وشدة الانفعال ، ونضوج الفريزة الجنسية ، أحيانا ، نضوجا مبكرا ، وعجزه عن رعاية نفسه وإدارة شؤونه .

(١) السيد محمد بدوي ، المصدر نفسه ، ص ١٢٥-١٢٦ . واميلي عبد المسيح ومحمد كامل النحاس ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٠-٢٢٤ .

ويرجع سبب هذا الشذوذ إلى الوراثة ، أو اضطراب افرازات بعض الغدد كـ الغدة الدرقية ^(١) . أو اختلال الجهاز العصبي في تأدية وظائفه ، أو نتيجة مضاعفات بعض أمراض الطفولة الحادة .

ويمكن انقاذ بعض البلهاء بوضعهم في مصحات وملاجئ خاصة ، وتعليمهم بعض الأشغال اليدوية الآلية كـ صنع السجاد ، ونسج الاقشة .

٣ - الافن أو الضعف العقلي

المأفون أو « المورون » Moron هو من يعاني ضعفاً واضحاً في الذكاء ، ويقـل عمره العقلي ، في الغالب ، عن الميلادي بستين اذا كان سنه لا يزيد على تسع سنوات ، أو بثلاث سنوات اذا كان سنه الميلادي فوق ذلك . ولا يتجاوز معدل ذكائه ٧٠ - ٧٥ درجة .

ويمكن للمأفون التفاهم مع غيره بالمحادثات الشفهية كما يمكنه القراءة والكتابة ، لكن تقدمه العقلي والعلمي يظل دون مستوى الأشخاص العاديين الذين هم في مثل عمره ، ويبقى في حاجة دائمة للمراقبة والحماية والعناية بأمره .

وهذا الشذوذ أما أن يكون وراثياً ، أو ناشئاً عن إصابة بمرض شديد في سنوات الحياة الاولى .

(٢) راجع الباب الخامس : « اعتلال الجسم » .

(٢) Feeble-Minded

٤ - الغباوة

٤ - الغبي Dull شخص ذو مستوى عقلي طفلي ، لا يستهويه تعليم ، ولا تفيدته التجارب والخبرات ، ولا يزيد معدل ذكائه على ٩٠ درجة . وهو يتميز بمجهل عجيب ، ونظر قصير ، ونسيان غريب ، وصعوبة فائقة في الفهم وتقدير حقائق الامور ، وعجز عن تلبية رغباته الملحة وحاجاته الأساسية بوسائل سليمة سوية ، بل كثيراً ما يلجأ لاشباعها وتحقيقها بطرق سقيمة غير شرعية ، لاسيما السرقة والكذب والخداع . ويؤكد برت أن الافن (الضعف العقلي) ليس سوى حالة حادة متطرفة من الغباوة الفطرية^(١) .

والأغبياء ، بخلاف ضعيفي العقول ، يعرفون قصورهم ، ويشعرون بغباوتهم ، لذا فهم ينظرون بعين الحقد والحسد لأقربائهم وزملائهم الذين هم أوفر ذكاء ، وأكثر فهماً وإدراكاً .

ويقول جننجز : « لا يتأثر الأشخاص الأغبياء من البيئة الحسنة إلا قليلاً ، فهم منطورون بطبيعتهم على عدم التوافق الاجتماعي والشذوذ ، وليس في مقدورهم التغلب على أية صعوبة قد تواجههم ، وقلما يمكن اصلاحهم ، أو ان اصلاحهم هو ، في الواقع ، من أصعب الامور »^(٢) .

(١) برت المصدر نفسه ، ص ٣٠٤-٣٠٥ .

(٢) Claude Mullins, Crime and Psychology , London, (٢)

1945, P. 18 .

القصور العقلي الثانوي أو التأخر العلمي (١) :

تعتبر حالات العته ، والبلاهة ، والأفن ، والغباوة التي ذكرناها من حالات القصور العقلي ، الفطري ، غير أنه توجد حالة أخرى منه يمكن تسميتها بالقصور العقلي الثانوي Secondary Backwardness تظهر في الشخص نتيجة تأخر علمي ، أو جهل شديد . فكثيراً ما نشاهد بعض الأولاد متأخرين في دراساتهم ، يرسبون عاماً بعد عام ، ويسببون لآسائتهم وأهلهم متاعب جمة ، وترى علام الجبل بادية عليهم بشكل جلي يستلفت النظر ، ويسـترعي الانتباه ، على الأخص في المواضيع الدراسية الأساسية كالقراءة والكتابة والحساب . وقد تنشأ مثل هذه الحال عن الضعف العقلي أو الغباوة ، أو عن أسباب صحية كالمرض ، أو عوامل نفسية كفقدان الذاكرة وعدم القدرة على تركيز الفكر والانتباه . كما أنها تنجم ، مرات كثيرة ، من انحرافات خلقية ، أو فساد البيئة المنزلية أو المدرسية^(٢) . وفي الحالات الخطيرة يرجع التأخر العلمي إلى ضعف عقلي خاص يتمتع معه على الفرد فهم الكلمات والامور النظرية ، أو المسائل المعنوية التي لا ترى بالعين المجردة ، أو إلى أمراض نفسية تقف حائلاً دون نجاحه العلمي والخلقي^(٣) .

(١) Educational Backwardness

(٢) برت ، المصدر نفسه ، ص ٣٣٥-٣٣٦ . وأملى عبدالمسيح ومحمد كامل

النحاس ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٥-٢٢٦ .

(٣) برت ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٣-٣٤٤ .

يبد انه قد يبدو ، أحيانا ، على الشخص ذي الذكاء الضعيف ، المتأخر علميا ، تفوق في احدى القدرات الخاصة كالنشل ، وسهولة الحديث ، واختلاق الحوادث والأفكار . وانه ليتمكن الاعتماد على هذه القدرة ، والاستفادة منها ، في إصلاحه ، اذا أمكن اعلاؤها وتصحيحها والتسامي بها .

القصور العقلي والجريمة :

لقد تحقق نورود إيست في أبحاثه التي قام بها حول المجرمين الانكليز أن ٢٦٢٦ مجرما منهم قد تميزوا بقصور في عقولهم خلال العشر السنوات المنتهية في كانون الأول عام ١٩٣١ . كما ظهر من الاحصاءات الرسمية التي نشرتها « لجنة الشذوذ العقلي » في انكلترا سنة ١٩٢٩ أن عدد قاصري العقول قد بلغ - في تلك السنة - ٣٠٠.٠٠٠ شخص ، أو ٠.٨ ٪ من مجموع السكان . وثبت للجنة الملكية في سنة ١٩٠٤ أن علامات القصور العقلي بدت واضحة في ١٠ ٪ من مجموع المجرمين الانكليز^(١) .

وفي الولايات المتحدة اختلف العلماء كثيراً في تعيين نسبة قاصري

Dr. Lewis, Mental Deficiency and Criminal Behaviour, (١) Mental Abnormality and Crime, op. cit. P. 93

ولا يوجد احصاءات كهذه في العراق ، سوى ما نشرته مديرية الشرطة العامة في تقريرها السنوي لسنة ١٩٣٥ (ص ٥١ ، ٥٧) من أن عدد المعتوهين الذين ارسلوا لدار الشفاء قد بلغ : ١٤٨ (سنة ١٩٢٩) و ١٥٣ (سنة ١٩٣٠) ، و ١٤٩ (سنة ١٩٣٢) و ١٧٥ (سنة ١٩٣٣) ، و ١٤٧ (سنة ١٩٣٤) ، و ١٥٧ (سنة ١٩٣٥) .

العقول بين مجموع الجرمين ، فمنهم من وجدها لا تزيد على ١٠ ٪ أو ١٢ ٪ ، ومنهم من وصل بها إلى ٨٢ ٪^(١) . غير أنه قد ثبت حديثاً من الأبحاث التي قام بها علماء ثقات أمثال سبولدينج Spoulding ، وترمان Termann ، وروسي Rossi ، وجيليلاند Gililand أن النسبة المثوية لناقصي الذكاء بين المساجين تبلغ حوالي ٢٥ ٪ من المجموع^(٢) . وتبين لمعظم الباحثين أن الأفن (الضعف العقلي) هو أكثر أنواع القصور العقلي ظهوراً في الجرمين ، وأعظمها شيوعاً وانتشاراً بينهم . ولقد أكد نورودايست بأنه لم يجد بين ٢٨٣ فرداً من الجرمين الانكليز القاصري العقول معتوها واحداً ، بينما ظهر له أن فيهم ٣٣ مجرماً من البلهاء ، و ٢٤٤ من المأفونين^(٣) وفي المانيا وجد اسكافنبرغ Ascaffenberg بين ٤٠٥ من السجناء العاديين وغير العاديين - في الذكاء - مظاهر الأفن في ٦٧ شخصاً والبلاهة في ثمانية اشخاص ، أما القمته فلم يبد على أي واحد منهم^(٤) .

فمن ذلك يظهر أن المعتوهين نادراً ما يرتكبون الجريمة ، وكذلك البلهاء فإن سلوكهم الجنائي قليل اذا قورن بسلوك الأغبياء والمأفونين . وعامل العبادة لا يقل أهمية وأثراً في حدوث الجريمة من الأفن ، ويصرح

(١) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ص ٢٥٨-٢٦٠ . بعد اختيار ١٠٠٠ حدث مجرم في شيكاغو ثبت لهيلى أن ١٠ بالمائة منهم قاصرو العقول .

(٢) متري أمين ، المصدر نفسه ، ص ٤٨-٥٠ .

(٣) الدكتور لويز ، المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

(٤) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٨-٢٦٠ .

بعضهم بأن معظم المجرمين ان لم يكونوا ضعاف العقول فهم من الأغبياء ، بكل تأكيد . وما الضعف العقلي ، في رأيهم ، سوى حالة حادة متطرفة من الغباوة القطرية^(١) .

كذلك فان للتأخر العالمي ، أو الجهل الشديد ، أثر بليغ في السلوك الاجتماعي ، ولقد ظهر أن ٩٠ ٪ من الأحداث المجرمين لم يبلغوا المستوى المتوسط في تحصيلهم المدرسي ، ٦٠ ٪ منهم في درجة أدنى من ذلك بكثير ، لم يصيبوا قسطا يذكر من المعرفة أو التعليم^(٢) .

ولقد تحقق برت في أبحاثه ودراساته أن ذكاء المجرمين القاصري العقول هو أعلى نسبياً من ذكاء قاصري العقول غير المجرمين ، وقال في تعليقه على هذه الحقيقة أنه لأجل النجاح في مجالات الخطيئة والاثم ، والسقوط في مهاوي الشر والفساد والجريمة ، لابد من وجود حد أدنى من الفهم والادراك والشعور^(٣) .

وجملة القول أنه قد ثبت للعلماء والخبراء — لاسيما جورنج وهيلي وبرت — أن الضعف العقلي هو من دون أدنى ريب من عوامل الجريمة الهامة ، وأسبابها الرئيسية ، اذ يعوز ضعيف العقل ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، بعد النظر لادراك وجه الخطأ أو الفساد ومخالفة القانون في الافعال السيئة التي يقوم بها ، وتقدير النتائج الضارة المترتبة على أعماله غير المشروعة^(٤) .

(١) برت المصدر نفسه ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣٥-٣٣٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٠٩-٣١١ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٠١ . ولقد قال بعض علماء الاجرام معلقا =

وتدل دراسات برت على أن ٨٪ من الأحداث المجرمين (الذين فخصهم) هم قاصرو عقول ، وأنهم متأخرون عقليا بنسبة ٣٣ أعمارهم ، أي ان ذكاءهم في سن العاشرة يعادل ذكاء من هم في سن السابعة ، وهو قد أوضح بأن مثل هؤلاء القاصرين قلما يبلغون ، عندما يكتمل نموهم ، درجة ذكاء الأولاد العاديين الذين هم في سن العاشرة والنصف من عمرهم ، ولاحظ آثار القصور العقلي متفشية بين الاناث اكثر منها بين الذكور .

ويميز برت بين خمسة أصناف من قاصري العقول بين الصغار والمراهقين ، هم : الصغير السابي ، والأكبر الأكثر إيجابية ، والمراهق ، وغير المستقر ، وذو القدرات الخاصة .

أما الصغير السابي ، القاصر العقل ، فانه يكون كالآلة الصماء في أيدي الآخرين الذين هم أكثر مهارة منه وأوفر ذكاء ، كثير الاستعداد لتقبل الإيحاءات التي يوجهونها اليه ، ويقع فريسة سهلة للأفكار الجنائية والآراء الفاسدة التي يلقيونها ايها . وهو غالبا ما يقبض عليه ، بـمـ وقوع الجرم ، بينما يبقى شركاؤه الذين حرضوه عليه ودفعوه اليه

= على النتائج السالفة الذكر أن الضعف العقلي عند المجرمين ليس له هذه الأهمية البالغة التي تنسب عادة اليه، وأن ليس هناك ما يبرر القول بأن المجرمين يختلفون اختلافا بينا في مستواهم العقلي عن غير المجرمين . وبفرض العثور على مجرم ضعيف العقل ، فإن هذا لا يكون - في حد ذاته - تفسيرا لعللة الجريمة ، فنسبة المجرمين الذكور أعلى بكثير من نسبة الاناث المجرمات ، لكن كون المجرم ذكرا لا يعتبر سببا يفسر ارتكاب الاجرام . كذلك الحال في ضعف العقول . - أحمد عزت راجح، المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ - ٢٦٠ .

مجهولين ، تمكنوا بذكائهم من إخفاء انفسهم ، وتضليل سلطات الأمن والقضاء عن أفعالهم .

وإذا كان قاصر العقل أكبر قليلا من الصغير السلي فقد يتخذ له موقفا أكثر إيجابية . فانه رغم كبره ، يميل بسبب ضعف عقله ، لمعاشرة من هم دونه سنا وجسما ، وهو اعتمادا على قوته وكبر « جسمه » يستطيع حمل هؤلاء الصغار على اقتراح أفعال غير اجتماعية لا يحسنون فهم حقيقتها وإدراك كنهها وماهيتها .

وبعد سن الرابعة عشرة يقوم المراهق ، أو البالغ ، الضعيف العقل ، بأعماله الفاسدة وحده ، كما يستطيع الغير أحيانا أن يستخدموه في تنفيذ بعض غاياتهم وما يرغبون التي لا يريدون ، خوف العقاب أو العار ، تنفيذها بأنفسهم . وهو يعتبر في مثل هذه الحالات بالغاً بين الأطفال ، وطفلا بين البالغين .

ومعظم الأحداث ، هم في الواقع غير مستقري المزاج ، سريعو الانفعال . كثيرو القلق والاضطراب ، مما يحول عادة دون إيجاد حرفة لائقة بهم يمارسونها ويحتفظون بها ، عدا أنهم يظهرون استعدادا قويا لتعاطي المخدرات ، والادمان على المسكرات .

وفي بعض الأحيان قد يثر الباحث على فريق من ضعيفي العقول يظهرون تفوقا في بعض الأمور ، أو دقة في العمل الذي يوكل إليهم ، مما يوهم الانسان أنهم عاديون في ذكائهم . بل ان منهم من تصل به

المهارة إلى أن يجيد عدة لغات ، وتراه يتحدث بطلاقة لسان عجيبة أو يتقن الأعمال الميكانيكية بإحكام وروعة . بيد أن هذه القدرات والكفاءات هي في أيدي هؤلاء الضعفاء كمود الثقاب ، أو موسى الخلافة ، في أيدي صغار الأطفال . إنها في حد ذاتها أدوات نافعة ، لكنها تصبح خطرة مؤذية إذا أسيء استخدامها ، أو جرى استعمالها دون وعي وتبصر^(١) .

وبينما يعتبر الضعف العقلي ، كما رأينا ، سببا من أسباب السلوك الجنائي بوجه عام ، إلا أن هناك أنواعا خاصة من الجرائم لا يقدر ضعيف العقل على ارتكابها . فهو نادرا ما يزور ، اذ فلما يستطيع التهجنة ، وهو لا يقدم على الاحتيال لأنه تعوزه المهارة والدقة في تحضير الخطة الواجب اتباعها ، واحكام تنظيمها وتنفيذها . كما ان هنالك جرائم أخرى يسهل عليه ارتكابها كالتشرد ، والسرقه ، والسلب ، والعنف ، والتحقير ، وهي تسم بطابع صياني تغلب عليها الصفة الآلية ، وتكون خالية من آثار الذكاء والتفكير .

ومن ناحية ثانية فانه يلاحظ وجود ارتباط بين درجة القصور العقلي والجرائم المختلفة ، فمن كان شديد الغباوة غلب عليه التشرد والعنف والتخريب ، ومن كان على درجة أحسن قليلا من ذلك مال إلى السرقة ، ومن بلغت مرتبته العقلية درجة أعلى من هؤلاء اتجه

(١) برت ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .
(٢) برت ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

نحو التزوير والاحتيال . وثبت ان البنات اللاتي يرتكبن الجرائم الجنسية يتميزن عادة بأعظم درجة من التفوق الذكائي بين المجرمين كافة^(١).

وجدير بالذكر والتنبيه مرة أخرى ، أن قصور العقل لا يكون باعثاً بنفسه على الاجرام إلا في أحوال نادرة ، وان أثره في الأغلب ، سلبى ، يسهل وجوده قبول فكرة الجريمة الواردة للشخص من الآخرين ، من غير أن يكون هذا القصور سبباً في وجودها ، ذلك لأنه يزيج الموانع الاعتيادية ، ويخفف المقاومة النفسية ، التي تقف - في الحالات الطبيعية - سداً في وجه الأفكار والأفعال الجنائية .

الذكاء المتفوق والجريمة :

لا يتنافى وجود الذكاء المتفوق في الانسان مع اقترانه على الأعمال الشاذة ، واتجاهه في مسالك الاجرام . غير أن عدد المجرمين الذين يمتازون في ذكاؤهم قليل ، لا يربو على ١٥ - ٢٥ ٪ من مجموع المجرمين^(٢) . ومن النادر أن يكون التفوق العقلي حافزاً على السلوك المضاد للمجتمع ، لكنه يساعد فقط على تنظيم خطة الجريمة واختيار أساليب ارتكابها ، وتكون الجريمة ناشئة في الشخص الحاد الذكاء عن مزاج مختل ، أو خلق منحرف ، أو اضطراب نفسي شديد .

وإذا تعود الشخص الحاد الذهن ، البالغ الذكاء ، سلوك طريق

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

الاجرام ، واستمر على ذلك طويلا ، فإنه لا يلبث أن يصبح عظيم الخطر
يصعب اكتشافه ومعرفته ، لهذا فمن الضروري إيقافه عند حده ، منذ
الجريمة الأولى ، وبذل أقصى جهد في معالجته واصلاحه في أول فرصة
ممكنة ، وبأية وسيلة مستطاعة . ويحسن كثيرا الاعتماد عليه ذاته في اصلاح
شدوذه وفساده ، والاقتصار على نصحه وارشاده ، وقيادته وتوجيهه .
فان ذلك أفضل في اعادته الى صوابه ورشده ، وتعديل سلوكه واخطائه
ومساوئه ، من أخذه بالعنف والشدة والقهر ، وسلبه ثقته من نفسه
وقدرته على التغلب على صعوباته ومشاكله بارادة قوية وحزم ثابت .

الفصل الثاني

الذهان

أو

المرض العقلي الوظيفي

تعريف الذهان

الذهان Psychosis هو اضطراب القوى والممكات العقلية ، يبدو واضحاً في تفكير المرء وشعوره وحركاته وأعماله ، لا سيما المعجز عن ضبط النفس ، وفقد القدرة على الاستبصار Insight^(١) ، وضياح الوحدة والانسجام والتماسك بين الوظائف النفسية المختلفة^(٢) ، واختلال عناصر الشخصية المتعددة ، وفقدان اترانها ، وظهور علامات الانحلال فيها ، وارتدادها الى مراحل الانسان البدائي الأول . ويطلق عليه أحيانا لفظ المرض العقلي الوظيفي Functional Psychosis تمييزاً له عن المرض العقلي العضوي Organic Reaction Types^(٣) ، وهو غالباً ما يؤدي بالمريض - في النهاية - الى الجنون .

وقد يكون الذهان أحيانا هينا خفيفا لا ينطوي على أي خطر

(١) للاستبصار معان كثيرة أهمها : ١- قدرة المريض على ادراك حقيقة مرضه واثبات شكواه ، ٢- وضوح الامور للانسان وضوحا كافيا كأنه يبصرها . ٣- ادراك الذات ، والعالم الخارجي ، والقيم والحقائق العقلية ، ادراكا مباشرا . (مجلة علم النفس ، المجلد الاول ، العدد الثالث ، ص ٣٧٢) .

(٢) أي الادراك ، والوجدان ، والنزوع .

(٣) راجع الفصل الثالث من هذا الباب .

اجتماعي ، ولا يستلزم عزل المريض عن حوله ، بعكس الجنون فان المصاب به يبدو عاجزا عن سياسة نفسه ، وتصريف أموره ، لا يستطيع التمييز بين الخير والشر ، أو النافع والضار ، ولا يكون مسئولا قانونا عن أعماله كافة ، وسائر ما يقتضيه من جرائم وجنایات ، ويظل في حاجة مستمرة للرعاية والحماية والعناية والعزل عن أفراد المجتمع .

اصناف الذهان واعراضه :

للذهان أصناف كثيرة أهمها : الفصام (الشيزو فرينيا) ، والذهان الهذائي (البارانويا) ، والبارافرينيا ، والذهان الدوري (ذهان المحوس والاكثاب) ، وذهان الكحول ، وذهان الشيخوخة .

أما أعراض الذهان فمديدة متنوعة منها : الخداع الحسي (الهلوسة)^(١) ، والهاء^(٢) ، وشروذ الأفكار ، وأوهام العظمة والاضطهاد ، والحس المرفف ، والهياج ، وزيادة النشاط ، والكآبة ، والهبوط ، والغضب العنيف ، وفقدان الذاكرة أو اضطرابها واختلاطها ، وتفكك الشخصية أو تعددها ، والمخاوف الكاذبة ، وصعوبة الانتباه الارادي ، وتسلب بعض الخواطر والأفكار ، وأحلام اليقظة ، وتعطيل التفكير أو

(١) الهلوسة Hallucination هي أن يشعر الانسان بأنه يسمع أصواتا ، أو يرى أمورا ، أو يلمس أشياء ، أو يذوق مواد ، أو يشم روائح أو يتخيل أنه يقوم بحركات وأفعال ، لا صحة لها ، ولا أساس لوجودها .

(٢) الهذاء Delusion اعتقاد خاطئ غير مطابق للواقع لا يمكن اقناع صاحبه بفساده وبطلانه . (مجلة علم النفس ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ص ٣٦٧) .

شله ، وبطلان الحس ، وغير ذلك . ولا تكون هذه الاعراض الذهان بل تعتبر من ظواهره ومدلولاته . وقد يشاهد العرض الواحد ، أو مجموعة الأعراض الواحدة منها ، مشتركة بين صنفين أو أكثر من أصنافه المختلفة ، أو بينها جميعا .

فليس لهذه الأعراض منفردة اذن قيمة تشخيصية في حد ذاتها ، من الواجب لصحة التشخيص النظر إليها مجتمعة ، والوقوف على طبيعة تجمعها ، وكنه الصلة القائمة فيما بينها^(١) .

وتختلف حالات الأمراض النفسية (التي بحثناها سابقا) عن الاضطرابات العقلية (الذهان) في أن المصاب بالمرض النفسي يكاد يظل متصلا بالعالم الواقعي ، محافظا بصورة عامة على شخصيته امام الآخرين . أما الذهاني فيبدو وقد تغير حاله تغيرا جوهريا ، إلى درجة أنه يظهر أحيانا وكأنه قد خلق خلقا جديدا ، وقد تحولت طبيعته تحولا أساسيا وتبدلت شخصيته تبديلا هاما رئيسيا ، وأصبح شخصا آخر يختلف عما كان عليه من قبل ، كما يختلف الإنسان الواحد في حالتي الغفلة والوعي ، وتراه في النوم والحلم غير ما تراه ساعة الانتباه واليقظة والشعور . وهكذا المصاب بالذهان فانه يحيا كأنه في حلم يقظ ، أو يعيش كأنه في يقظة حالمة .

(١) وتلك ناحية يختلف فيها الطب النفسي عن الطب البدني . ففي الطب البدني نجد أعراضا تشخيصية معينة تدل على نوع المرض . فبشرة الجدري مشخصة لمرض الجدري مميزة له عن غيره من الأمراض ، أما في أعراض الذهان فلا توجد هذه القيمة التشخيصية التي تقوم بذاتها دليلا على وجود صنف ذهاني معين . (راجع أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ - ٢٩٨) .

اسباب الذهان :

لم يتوصل العلماء ، حتى اليوم ، لاكتشاف أسباب الذهان الحقيقية ، ولا تزال معلوماتهم بصددتها ناقصة لم تكتمل بعد مما حدا بهم لتصنيف حالات الذهان المتعددة على اساس اختلاف الظواهر والأعراض ، وليس على اساس تباين الملل والأسباب . وجملة ما يمكن قوله ، في هذا الخصوص ، ان كل ما من شأنه أن يؤثر في عمل الجهاز العصبي^(١) ، لا سيما المراكز العليا ، وراثيا كان ذلك أو نفسيا أو جسميا أو اجتماعيا ، يمكن أن يؤدي للوقوع في الذهان ، اذا لم تبلغ الإصابة حد إحداث أي خلل أو تلف عضوي في ذلك الجهاز ،

(١) الجهاز العصبي مركز العقل ، وهو الذي نشعرنا بالمؤثرات المختلفة ، ما يأتي منها من داخل الجسم ، أو ما يحدث في البيئة الخارجية . وهو مصدر كل عمل نقوم به ، وكل انفعال ينتابنا ، ويتركب من مجموعتين كبيرتين : (١) المجموعة الدماغية - الشوكية (أو الجهاز المركزي) ، (٢) والعظيم السمباتوى (أو المجموع العقدي) . وتشمل المجموعة الأولى الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب . وتتألف المجموعة الثانية من سلسلتين من العقد العصبية .

أما الدماغ فيحتوى على المخ والمخيخ والنخاع المستطيل ، والمخ هو أكبر أجزائه ويضم مراكز الحس المختلفة ، وقد تحدثنا عنه من قبل . والمخيخ أصغر من المخ حجما ، ويقع في أسفل الجمجمة ، وينقسم إلى نصفين كرويين ، وسطهما كتلة عصبية تعرف بالدودة ، وبه مراكز حركة العضلات وترابطها ، ويعمل على حفظ توازن الجسم بمعاونة المخ . والنخاع المستطيل ذو شكل مخروطي ، تتصل قاعدته بأسفل المخ والمخيخ ، كما تتصل قمته بالنخاع الشوكي ، ويقوم بإدارة الحركات الحيوية الهامة كالتنفس ، والدورة الدموية ، والهضم وغيرها .

وأما النخاع الشوكي فهو حبل عصبى اسطوانى الشكل يبتدى من الطرف الاسفل للنخاع المستطيل ، وينتهى فى القناة الفقرية على محاذاة الفقرة القطنية الأولى ، وينتهى بطرف مديب متصل به خيط ليفى رفيع ، =

كالحمى القرمزية ، والدفتريا ، والسل ، وادمان الخمر ، والعقـد النفسية ، وغيرها^(١).

وفيما يلي نذكر أهم الحالات الذهانية .

١ - الفصام Schizophrenia

تعريف الفصام وأعراضه :

الفصام ، وفقا للرأي هندرسون^{der} Henderson وجلبسي Gillespie ، انحلال بطيء يصيب الشخصية بكاملها ، فتتفصم عراها ، لاسيما الحياة الوجدانية^(٢) ، وترى المصاب عندئذ يقابل حادثا مثيرا ببرود غريب ، أو يفعل دون أية مناسبة ، أو يقدم على ارتكاب

= يتصل بقاعدة العصعص يسمى بالخيط النهائي .

وتقوم الاعصاب بربط المراكز المذكورة بأعضاء الحس والعضلات ، يبلغ عددها ٤٣ عصب : ١٢ عصبادماغيا ، و ٣١ عصب شوكيا (من كل جانب) .

ويتألف العظيم السمباتوى (أو المجموع العقدي) كما أشرنا الى ذلك من سلسلتين من العقد العصبية متقابلتين مع جانبي العمود الفقري ، وهي تتفرع الى فروع عصبية دقيقة جدانتشر في جميع الاعضاء التي تقوم بالافعال غير الارادية كالقلب والرئتين والكبد والكليتين وغيرها من الاعضاء الباطنية ، وفي جذر الاوعية الدموية . أملى عبدالمسيح ومحمد كامل النحاس ، المصدر نفسه ، ص ٦٨ - ٧٥ - (راجع أيضا : يوسف مراد ، المصدر نفسه ، ص ٥٢ - ٦٨ وحامد عبدالقادر ، فى علم النفس ، الجزء الاول ، ص ٤٤ - ٥٧) .

(١) مكثيفن ، المصدر نفسه ، ص ٨ - ٩ . وأحمد عزت راجح ،

المصدر نفسه ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٢) أى الجانب الانفعالى .

أعمال العنف بصورة مفاجئة بمسد حالة هدوء وتبلد أو سرور ، ثم لا يلبث أن يعود إلى هدوئه الأول وتبلده باسم أو ضاحكا .

ومن ظواهر الفصام الهامة الخداع الحسي (الهلوسات) ^(١) والاعتقادات الباطلة (الهذات) ^(٢) . والعزلة ، والانطواء على النفس ، وعدم الرضا بالحياة ، وقلة الاهتمام بالشؤون الخاصة وما يني به الأسوياء ويميلون إليه ، وإهمال الأسرة والأطفال ، وقلة النشاط ، وتبلد Apathy مقترن بالشعور بالانتم ، والاغراق في أوهام الاضطهاد أو أوهام العظمة والخلود والقدرة الخارقة وغيرها ، وتميز هذه المظاهر كسائر مظاهر حياته ، بكونها سطحية مضطربة متغيرة ، ليس بينها ترابط أو انسجام .

ولقد ثبت أن هذا المرض يصيب بعض الأشخاص الذين يبدو

(١) الهلوسات هي خداع الإدراك كان يترأى للمريض صورا وأصوات وخيالات لا وجود لها في الحقيقة ، ولا يدركها أحد خلافاً . مثال ذلك أن يرى المصاب مخلوقات بشرية دقيقة يتجاوز طولها ٣٠ سنتمترا أو أن يسمع أصواتا غريبة تكلمه ، أو يشم روائح زكية أو كريهة ، أو أن نملا يدب في جسده أو ابرا توخر بدنه ، أو يحس في معدته حديدا أو رصاصا . أو أن يتصور أنه طائر في السماء ، أو أن رأسه من خشب . وفي التاريخ بعض الامثلة على ذلك فقد قذف مارتن لوثر بالدواة في وجه ابليس اذ توهم له أنه يراه في حجرته ، و « جان دارك » قد كانت تدعى انها تسمع أصواتا تناجيها وتحذرها .

(٢) الهذات اعتقادات خاطئة لا تتفق مع الواقع ، ولا يمكن اقناع أصحابها بفسادها . كاعتقاد المتنبيين أنهم رسل ومبعوثون ، أو اعتقاد بعضهم أنهم ملوك أو أباطرة يحكمون الناس ويسيطرون على الخلق والشعوب .

عليهم ، منذ طفولتهم ، مظاهر عدم التوافق الاجتماعي ، لاسيما الصمت والعزلة ، والحجل ، والخوف الشديد ، والحس المرهف ، وأحلام اليقظة — بناء القصور في الهواء — ، والشعور بالفشل والخيبة لآثر الصدمات ، وممارسة بعض العادات الجنسية المردولة ، والنظر إلى الحياة نظرة هراء واستخفاف . وهو لا شك مرض خطير ، فلما يمكن شفاؤه ، وكثيرا ما ينتهي امر صاحبه بالجنون Profound Dementia .

ويصيب هذا الشذوذ الانسان بين الثامنة عشرة والخامسة والأربعين من عمره^(١) ، ويغلب ظهوره في مرحلة المراهقة والبلوغ . وهو ينشأ عادة ببطء خلال شهور عديدة أو سنوات طويلة يبدو على المريض في أثنائها ، بين الحين والحين ، علامات النشوز والسلوك المنحرف ، ولا يكتشف أمره إلا عند وقوع جرم خطير ، أو فعل عنيف كحاولته الانتحار ، أو التعدي على الغير في ظروف وملابسات لا تبرر وقوع ذلك منه . إلا أنه قد يظهر أحيانا بصورة حادة ، فجأة ، عند حصول أمر ذي بال ، كوفاة أحد الأقرباء ، أو الفشل في الحب^(٢) .

انواع الفصام :

للفصام أربعة أنواع هي^(٣) :

١ - الفصام البسيط .

- (١) ولهذا فهو يدعى « الجنون المبكر » أو جنون المراهقة .
(٢) ماكنيفن ، المصدر نفسه ، ص ١٨ - ٢٠ . وليسم الخولي ، المرض العقلي والجريمة ، مجلة علم النفس ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٣) قد يجمع المريض أكثر من نوع واحد من هذه الانواع في نفس الوقت ، أو هو قد ينتقل من أي منها إلى الانواع الأخرى .

- ٢ - فصام المراهقة (الهيفرينيا) .
٣ - الفصام الكتاتوني .
٤ - الفصام الهذائي .

الفصام البسيط Simple Schizophrenia : وهو يظهر في أدوار المراهقة المبكرة ، ويتميز بعدم وجود أعراض حادة ، وأهم مظاهره الفرار من الواقع ، والعيش في جو من الأحلام والصور والخيالات ، وفقدان النشاط الاجتماعي ، وعدم الاكتراث بالعمل أو الدروس وقلة الطموح ، والميل للوحدة والانعزالية والتزام الصمت والهدوء ، وخمول الذهن ، واثبات حركات صيدانية ساذجة ، وقصر النظر ، وفساد الأحكام ، وزيادة القابلية للاستهواء ، والوقوع - أحياناً - في حماة الرذيلة أو الجريمة ضحية اغراء الغير وتحريضه .

فصام المراهقة Hebephrenia : يبدأ ظهور هذا الشذوذ قبل سن العشرين ، وهو أكثر أنواع الفصام شيوعاً ، وأعظمها أثراً وقوة . ومن أعراضه الأولى هبوط Depression خفيف ، مقترن بشعور الانتم نتيجة بعض الأعمال الجنسية الرديئة . ومن أعراضه الرئيسية الأخرى هذات سوداوية ، وأفكار الاضطهاد مصحوبة بهلوسات سمعية ، واختلاط الحديث ، والتبدل ، واندفاعات غريبة ، وأفكار العظمة والاستعلاء ، وانحلال الحياة النفسية وارتدادها الى مراحل الطفولة الأولى . ويشاهد المصاب يثب كالأطفال ،

يلعب ألعابهم ، ويمر عن انفعالاته بأساليبهم ، وكثيرا ما يعجز عن إطعام نفسه ، أو عن ضبط مشائته ، وتلاحظ في كلامه وأحاديثه فائقة وثرثرة وصياح .

الفصام الكتاتوني Katatonic : وهو يبدأ عادة بشكل حاد عنيف ويتميز بظهور حالة هبوط شديدة ، يلزمها تبليد قوي وجود وصمت وشلل في سائر الأعمال والحركات . فترى المريض يجلس أسابيع أو شهور دون أن يقوم بأي عمل أو يبدي أية حركة ، كأنه في سبات عميق أو في شبه غيبوبة . وهو عندئذ يحتاج إلى من يعنى بأمره ، ويتولى حمايته والحفاظة عليه ، ويقوم بطعامه والباسه وقضاء حاجاته . كما تتنابه هلوسات سمعية يحاول تنفيذها ، وهذات دينية كأن يزعم بأنه يرى الله - عز وجل - في أحلامه ويقظته .

وقد تنقلب حالة الجمود هذه فجأة إلى حالة تهيج وحشي يبدو فيها المصاب غضوبا ، مندفعاً نحو الشر ، عاملاً على مهاجمة من يقوم بتريضه والعناية به والاعتداء عليه . أو هو قد يحاول الانتحار ، أو تشويه جسمه بفضاعة وقسوة ، ثم لا يلبث أن يهدأ هياجه ويمود ، بعد حين ، إلى السكون والجمود مرة أخرى ، وكثيرا ما ينتهي به الأمر إلى الجنون . Dementia

الفصام الهذاني (البرانوي) Paranoid Schizophrenia : يبدأ ظهور هذا النوع من الفصام في سن متأخرة ، وأهم أعراضه .

الأفكار الهذائية ، اضطهادية واستعملائية ، تبدو عجيبة غريبة غير منتظمة ، وهلوسات مختلفة تسيطر على نفسه سيطرة كلية ، وتؤثر في سلوكه تأثيرا بالغ الأهمية^(١).

ومن أمثلة ذهان الفصام حالة شاب عمره ٢٢ سنة اتهم بقتل خطيبته بأن ضربها بآلة حديدية على رأسها وقضى عليها . وفي المحكمة ظهر أن ذهنه صاف ، وذاكرته سليمة ، وقد اعترف بجرمه ، وصرح للمحكمة بما كان يكتنه من حب عظيم لخطيبته التي فتك بها ، وأنه قد أقدم على فعلته الشنيعة نتيجة اضطراب أصاب عقله حين أخبرته عن رفضها الزواج منه ورغبتها في قطع علاقتها به ، فظن أنها قد خدعته واحتالت عليه ، وأثار موقفها هذا نفقته ، فضربها بقصد اخافها ، إلا أن الضربة جاءت قوية أجهزت عليها .

وبعد فحصه تبين أنه مصاب بالفصام ، ذو مزاج حاد ، بليد ، ضعيف الإدراك ، كثير الصمت ، منطو على نفسه ، جبان ، سريع الاندفاع ، تبدو عليه امارات الطفولة ، لا يخرج الى الشارع إلا اذا تحقق انه خال من المارة . وقد روي والده أنه كثيراً

(١) ويختلف الفصام البرانوني عن البرانونيا في أن هذائاته خيالية Fantastic في شكلها ، وأن ليس هنالك تجانس بين حالات مزاج المصاب وطبيعة أوهامه وبين الأفكار التي يعبر بها عنها . هذا عدا انحلال الشخصية عنده واضطرابها Detorioration - راجع مكينفن ، المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، ٢١ - وأحمد عزت راجع ، المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، ومجلة علم النفس ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ص ٣٦٦ .

مارآه ينهض ، في منتصف الليل ، فيقف أمام المرأة عاريا ، يحدث نفسه ، ويمارس العادة السرية .

ولما أدخل إلى مستشفى الأمراض العقلية بدأ يكلم نفسه ، ويضحك وحده ، ويقوم بإشارات غريبة ، ويعتقد أن زملاءه - نزلاء المستشفى - والموظفين يتحدثون دائما عنه ويسخرون منه ، ويهزأون من شكل أنفه^(١) .

الفصام والجريمة :

لما كان المريض بالفصام معتلا في عقله ، مختلا في مزاجه ، منحرفا في خلقه ، عاجزا عن ضبط نفسه وصد نزعاته الفاسدة وكبح جماح شهواته ، مهملًا واجباته . لا يعبأ بسلامة نفسه ، ولا يهتم بمصالح غيره ، بعيدا عن المنطق في أعماله وحركاته ، فانه لا شك عرضة ، في كل وقت ، لانتهاج مسالك غير اجتماعية أو ارتكاب أفعال جنائية . وفي معظم الحالات التي يقوم فيها بمثل هذا السلوك الشاذ يبدو عاجزا عن تعليله وتفسيره واطهار قصده منه . وجل ما يصرح به « انه انما فعل الاثم لانه فعله » أو « انه انما عمل الشر وارتكب الجرم ، لأنه عمله » . أو هو قد يحاول ايضاح حاله بأكثر من ذلك فيقول : انه اقترف الجريمة بدافع هاتف أوحى إليه بها ، أو بتأثير قوة سحرية حملته عنوة على اتيانها .

(١) مكتيفين ، المصدر نفسه ، ص ٢٤-٢٥ .

لهذا فان جرائم الفصامين تبدو صورية أكثر منها حقيقية ، لا يتوافر فيها أي قصد جنائي ، ولا تقع إلا نتيجة اضطراب القوى العقلية ، وفقدان الاستبصار ، والوقوع أداة طيعة في أيدي الآخرين ، يعرفونهم على الشر ويحرضونهم على فعل الأذى والمنكر .

وأحيانا يقوم المصاب بارتكاب الاجرام استجابة لبعض الخيالات والصور التي تجول في ذهنه . كأن يتوهم أنه هو « الله » - جل جلاله - الحاكم بأمره على الأرض ، يهب الحياة لمن شاء من « عباده » الأخيار الصالحين ، ويميت الأشرار ومن عصى أو شذ عن سواء السبيل ، فيقدم بتأثير ذلك على ازهاق أرواحهم أو إلحاق الأذى بهم ، جزاء لهم على ما جنته أيديهم من معاصي وذنوب .

أو انه قد يتبادر إلى فكره انه ارتكب ، هو نفسه ، اثما أو خطيئة يستحق عليها العقاب ، فيحاول عندئذ الانتحار ، أو يعمد إلى تشويه جسمه ، أو قطع أعضائه التناسلية ، وكثيرا ما تكون الانتحارات « ليلة الزفاف » من هذا القبيل ^(١) .

وفي بعض المرات يخيل إليه ان شخصا يشتمه فينتفض عليه ويفتك به . أو يتوهم أن زوجته تخونه فينتقم منها ويعذبها ويعتدي عليها .

والى جانب ما يرتكبه المريض من الجرائم العنيفة كالقتل والضرب

(١) المصدر السابق ، ص ٢١-٢٣ .

والانتحار فانه قد يقترب جرائم أخرى كالجرائم الجنسية ، واشغال النار في المنزل ، والتجول ، والتشرد . غير أن التدمير هو أكثرها شيوعا بين مرضى الفصام .

ولقد تحقق الدكتور وليم الخولي وجود ٣٦٤ حالة فصام بين ١٤٠١ من حالات الشذوذ العقلي التي قام بفحصها وتحليلها ، وظهر له أن الجرائم التي اسندت للفصامين ذات أشكال وأنواع مختلفة أهمها : القتل ، والشرع في القتل ، وحرق المنازل ، والقاء القنابل ، والاعتداء والسرقة ، والاختلاس ، والتزوير ، والتشرد ، والتسول ، والهروب من المراقبة ، ودخول البيوت دون اذن أصحابها^(١) .

اما برت فلم يلاحظ بين جميع قضاياها سوى حالة ابنة في السادسة عشرة من عمرها قد أصيبت بالفصام^(٢) .

٢ - ذهان الهذاء (البارانويا)

Paranoia

تعريف البارانويا واعراضها :

البارانويا ذهان مزمن ينشأ ببطء ويستمر في بعض القضايا سنوات طويلة ، يتميز بهذات منتظمة ثابتة ، مع بقاء الذاكرة سليمة ، والملكات الذهنية صحيحة ، وجوهر الشخصية معافى كالاعتاد . ولا يشاهد في المصاب بالبارانويا ظواهر الهلوسة السمعية أو البصرية أو غيرها ، ولا

(١) وليم الخولي ، المرض العقلي والجريمة ، مجلة علم النفس ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .

(٢) برت ، المصدر نفسه ، ص ٥٩٤ .

التبدل أو ضعف العقل ، أو انحلال الشخصية وتفكك عراها ، التي هي من
مميزات مريض القصرام . وإذا استثنينا حالات الهذاء فإن البرانوي
ليبدو عادة وكأنه من الأسوياء ، يحافظ على أسلوب حياته الاعتيادي ،
ويعمارس تجارته أو مهنته أو حرفته بصورة طبيعية لسنوات طويلة ،
وتصطبغ أحداثه الخارجة عن دائرة الهذاء بطابع العقل والحكمة ، ولا
تبدو عليه إمارات الانحلال النفسي إلا إذا تطور المرض واشتد ،
وساءت حالته .

فمن ذلك يتضح أن أهم أعراض ذهان الهذاء هو أن يعتقد المصاب
معتقدات خاطئة لا أساس لها من الصحة ، يوجه إليها كثيرا من اهتمامه
ونشاطه في الحياة ، ويجعلها موضوع أحداثه وجدله ، محاولا أن
يقنع كل من يخالطه ويماشره بصحتها . وهذه الأوهام الباطلة تظل
عالقة بخياله ، تلازمه حيثما حل ، لا يستطيع الخلاص من سيطرتها .
بل إنه - على العكس من ذلك - يدأب على الحرص عليها والاحتفاظ
بها ، يزيد لها في كل يوم قوة ونموا ، ويبني حولها سلسلة متماسكة من
الخواطر المنسجمة معها .

وتبدأ البرانويا عادة بفترة من الحذر والارتياح في الأفكار
والوساوس التي ترد إلى عقل المصاب ، ثم يشعر بأن شكوكه صحيحة ، لكنه
يرى ، في الوقت نفسه ، أنه لا يستطيع الجزم في ذلك إذ من الجائز
تفسير أسبابها تفسيراً بريئاً . وفي خلال هذا الدور تبقى هذه الهذات

كامنة لم يتم تسكاملها ، وهو لا يقوى على اظهارها والافصاح عنها لأنه لم يقطع بعد في صحتها ، ولكنه يظل مهتما بها ، دائب الارتباك حولها ، ساعيا جهده للبث فيها وحسمها ، وغالبا ما يصل الأمر به في النهاية إلى تصديقها ، والقناعة بها قناعة يقينية ، لا يعترها شك أو ريب . وعندئذ ينساق في حياته وحركاته وأعماله وفق طبيعة هذه الهذات ، وصفاتها العامة^(١) . فان تصور أن أحد معارفه قد وضع له السم في طعامه يريد قتله ، فانه قد يراجع طبيبا لفحصه ومعالجته . وان تخيل ان بعضهم يحاول قتله بتسليط تيار كهربائي عليه أثناء النوم فانه يقوم بوضع سياج خشبي حول فراشه يحول دون وصول الكهرباء إلى جسمه . وان توهم أن شخصا معينا يكيد له ويدبر ضده المؤامرات فانه قد يقابله ويستفسر منه عن سر حركاته ، أو يقدم شكوى للشرطة بحقه ، أو هو قد يعترض سبيله ويمتدي عليه للتأثر لنفسه ، أو هو قد يقبل أحيانا على الانتحار للنجاة بنفسه من خطر موهوم وانفاذها مما يهددها من شر مزعوم^(٢) .

غير أن معظم المصايين بالبرانونيا يتمكنون - ان عاجلا أو آجلا - من الوصول إلى حل وسط Compromise للمشكلة القائمة

(١) وقد يظل المد والجزر عند المصاب زمنا طويلا ، حتى بعد تكوين البرانونيا نهائيا قد يشاهد أن نوبات الهذات الحاد تتناوب مع نوبات تكون فيها الافكار الهذائية في هجوع وكمون . ولهذا فالعودة للصحة قلما تظل ثابتة نهائية . - مكنيفن ، المصدر نفسه ، ص ٢٨-٢٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨ .

في أذهانهم ، يوفقون فيه بين مطالب الحقيقة ، ومطالب الخيالات والأوهام ، وذلك بتكليف أنفسهم للموقف المعارض لهم كما يفعل الرجال العاديون عندما تصادفهم ، في حياتهم اليومية ، مشاكل خاصة لا يقوون على التغلب عليها كليا ، وبذلك فانهم يصلون إلى حالة مرضية^(١) .

ومعظم ضحايا البرانونيا يظهرون خجلين ، هيايين ، شديدي الحساسية ، لكن هذه المظاهر تخفي وراءها شعورا كامنا بأهمية النفس والرغبة في التسلط على الغير . وان الهذات الرئيسية عندهم تدور حول أوهام الاضطهاد التي تصور لهم أن الناس أعداءهم ، يتآمرون عليهم دون حق ، ويعملون على الكيد لهم أو الانتقام منهم والفتك بهم من غير ذنب أو جريمة^(٢) . وأوهام العظمة والاستعلاء التي تمثل لهم أنهم قد أصبحوا من عظماء الرجال ، وكبار الأغنياء ، وأصحاب المجد والشأن الرفيع ، أو أنهم أزواج لأجل النساء ، اصدقاء للملوك والرؤساء والامراء^(٣) .

(١) غير أن هناك حالات تحتاج إلى وقت طويل للوصول إلى مرحلة الطمأنينة هذه ، ويظل المرضى يعتقدون أن جميع العالم عدو لهم ، يهددهم ويعمل على اضطهادهم ، وأن كل ما يسمعون به يكون له عندهم معنى مزدوج . ويتخيلون دائما أنهم موضع الهز والسخرية ، وحياتهم في نظرهم كفاح دائم ضد الظلم والاستبداد . المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٢) وأن أعداء المصاب بالبرانونيا - كما يتخيلهم - قد يكونون مجموعة من الأشخاص - أو شخصا واحدا - من الأطباء ، أو رجال الدين ، أو أعضاء الحكومة ، وأحيانا يكونون «هيئة» غير معروفة يعبر عنها بكلمة «هم» . والكثيرون ممن يقدمون على قتل رجال الدولة هم فريسة هذا الذهان - المصدر السابق ، ص ٣٠ . وأحمد عزت راجح ، ص ٣٠١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦-٢٩ . ولیم الخولي ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ .

وبرغم أن الشخصيات الخيالية كثيرة فإن البرانويا بشكلها المتكامل قل أن تشاهد في حقل الطب العقلي ، وحالاتها قليلة في مستشفى الأمراض العقلية ، وذلك لأن البرانوي يظل في أغلب القضايا محتفظاً - كما أشرنا قبلاً - بعلاقاته الاجتماعية - لينة ، لا يصيبها إلا اضطراب قليل لا يؤبه لآله .

سبب البرانويا :

يقول بعض رجال الطب النفسي أن سبب الذهان الهذائي (البرانويا) يرجع إلى صراع نفسي قوي عنيف ، أو فشل في تحقيق رغبة ملحة قائمة في النفس ، فتبدو الأوهام المنظومة وسائل استعاضية يتحرر بها المريض مما حل به من أزمات نفسية ، وصراعات محتدمة في الشعور أو اللا شعور . ويرى فرويد أن سر البرانويا يعود إلى ميول لاشعورية لمشق الجنس المشابه ، لا يستطيع الفرد تليتها وتحقيقها ، فتقلب عنده وتنمكس بشكل مجموعة هذائية .

ويسند فريق آخر من العلماء - مثل كريتشمر Kretschmer - علة هذا الذهان إلى العادة السرية ، وما يصاحبها من شعور بالآثم ، وتوهم المصاب أن الغير قد وقفوا على دخيلة أمره ، وأنهم يمتقونونه ويحتقرونه بسببها^(١) .

ويرى أصحاب مدرسة التحليل النفسي أنه يمكن شفاء البرانويا

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦-٢٩ . يرى بعضهم أن البرانويا قابلة للشفاء بطريق التحليل النفسي .

- وسائر الأمراض العقلية الوظيفية - بطريقة العلاج النفسي كالتنويم المغناطيسي ، أو الإيحاء الذاتي ، أو التحليل النفسي . بيد أنه يلاحظ كثيراً أن ضحايا هذه الأمراض يعوزهم التبصر ، وينفرون من التعاون مع الطبيب أو المعالج ، ومن أصعب الأمور النفاذ إلى نفوسهم وسبر غورها ، وتلك عناصر لازمة لبعض ضروب العلاجات النفسية . لكن هذه العلاجات مع ذلك تقوم ، بطريقة غير مباشرة ، في منع هذه الأمراض ، وتحسين حالتها أو شفائها^(١) .

بعض حالات البرانويا :

ومن الأمثلة على البارانويا الحالات الآتية :

الحالة الأولى : وهي حالة شخص فاشل في الحياة ، لم يستطع الحصول على أي عمل دائم يمارسه ، وذهبت مساعيه كلها في هذا السبيل أدراج الرياح ، الأمر الذي جعله يعزو ما ألم به من فشل ذريع إلى مكائد نصبها له بعض معارفه ، فأخذ يهتمهم بالتآمر والتجسس عليه ، ويعتقد أنهم كانوا يروون عنه القصص المؤذية ، وهم علة فصله من أعماله وخيبته في حياته . وفي الوقت نفسه فهو يحسب أنه قد بلغ في الكون مرتبة رفيعة ، ومكانة ممتازة ، وإن له شخصية عظيمة بارزة يحسده الناس عليها ، ويحقدون عليه ويضطهدونه لقصورهم وعجزهم عن بلوغ درجتها . وكثيراً ما تخيل نفسه رسولاً كريماً ، أو فاتحاً كبيراً ، تتيه

(١) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٣٠١ .

في حبه أوجل النساء طراً ، يتمنين جميعا العيش في كنفه ، وهن - لولا خوفهن من أعدائه الذين يترصدنهن - لجئن إليه سراعاً ينعمن بقربه . . . وغير ذلك من الهذات التي لا وجود لها إلا في خياله ، يحاول أن يجد فيها مبرراً لما أصابه في الدنيا من تعاسة واخفاق وخيبة ، ويعوض باحلام اليقظة والهذيان والأوهام ما فاته في الحياة الواقعية من سعادة ونجاح .

الحالة الثانية : وهي حالة رجل تاجر كان له جار ينافس في تجارته وأعماله ، وقد هدده (هذا الجار) مرة بأنه سوف يعرف كيف ينتقم منه ويعمل على تدميره . وعلى أثر ذلك فقد ظل عدة سنين يشكو القلق والهـم ، والخوف من غدر الجار . وفي ذات يوم بينما كان يقوم برحلة في القطار تناول طعاماً في مركبة الأكل ، لم يلبث أن شعر بعده بمفص وألم شديدين في معدته ، فخل إليه أن جاره القديم قد أصاب منه مقتلاً ، وأنه قد دس له السم قاصداً الفتك به . ولقد مرت أعوام على هذا الحادث وهو لا يزال يلزمه ويسيطر على ذهنه ، معتقداً أن « خصمه » لا يفتأ يلاحقه ويتمقبه ، يريد قتله بالسم . وبنتيجة هذا الهذاء فقد امتنع المريض عن تناول أي غذاء في المطاعم العامة أو الفنادق ، وصمم على أن لا يتناع من الأسواق إلا اطعمة مغلفة في عليها الأصلية ، مغلفة بدقة وإحكام . وهو اذا أصابه مرة عسر هضم أو ألم في المعدة تصور ان ذلك من صنع « غريمه » وشركائه الكثيرين الذين يكرسون حياتهم وأموالهم

وتفوذهم للقضاء عليه . كما أخذ يمتقد ، عدا ذلك ، أن زوجته قد انضمت إلى صفوف أعدائه ، تتآمر عليه معهم ، وتساءلهم على تحقيق مطامعهم ، فترك منزله فرارا منها واتقاء خطرهما وشرها ، ولم يمد إليها^(١) .

الحالة الثالثة : شاب من المهندسين الكهربائيين ، عمره ٢٢ سنة ، يسيطر عليه هذاء عنيف يدور حول اعتقاده بأن جمعية دينية ، يبلغ عدد أعضائها عدة ألوف ، تعمل دائبة على الايقاع به ، وحمله على ارتكاب بعض الأفعال السيئة التي تؤدي لاعتقاله والقائه في غيابة السجن . ولم يكن من المستطاع اقناعه بأية وسيلة أن هذه الجمعية بريئة مما يسنده إليها وأنها لا تفكر به ، وأن لديها من الأعمال والواجبات ما يشغلها عنه وأنها لو كانت تضمر له العداة فعلا لما صعب عليها تحقيق أغراضها ضده^(٢) .

البرانويا والجريمة :

ان الخطر الذي يهدد المجتمع من البرانويا أقل بكثير من خطر الفصام ، ذلك لأن البرانوي (الهذائي) يظل محتفظا بعالم شخصيته كما يبدو محبا للقانون بطبيعته ، يحاول في أغلب الحالات الحصول على حلول سلمية لمشاكله قبل الالتجاء إلى العنف أو الشدة . بل أن كثيرا من المصابين بالبرانويا يظلون يحتفظون بعلاقات ودية

(١) سادلر ، المصدر نفسه ، ص ٣٨٠-٣٨١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٩-٣٨٠ . راجع أيضا في المصدر

نفسه ، ص ٣٧٥-٣٧٦ ، و ص ٣٨٠-٣٨٢ .

مع من يعتقدون أنهم سبب نكبتهم وبلوهم ، وتراهم في « المستشفى » ^(١) ينشئون لهم صلات وثيقة طيبة مع من حولهم من المرضى والموظفين .

غير أن جرائم البرازيليا ، على النقيض من جرائم الفصام ، تكون — غالباً — نتيجة ترو سابق ، واحكام وتديير وتفكير ، تنفق وطبيعة الهذات ، ناجمة عنها مباشرة .

فاذا اعتقد المصاب بأن فتاة تحبه ، وأن اشخاصاً معروفين يصدونها عنه ، فانه قد يقدم على قتلهم للظفر بها وتخليصها من سيطرتهم . واذا توهم أن زوجته تخونه فقد يحاول طلاقها أو تعذيبها أو قتلها . واذا اعتقد انه مصلح عظيم عمد الى تسفيه آراء الآخرين واستنكار مذاهبهم ومعتقداتهم . واذا تخيل أن شخصاً وضع له السم يريد قتله اندفع أحياناً الى مهاجمته والاقتصاص منه .

ويلاحظ دائماً أنه كثيراً ما تسبق جرائمه هذه إنذارات يرسلها لأعدائه ، أو نصائح يسديها لخصومه ، أو شكاوى يعرضها على السلطات المختصة . وهو وأمثاله يشكون في الغالب زمرة تحرر الخطابات السرية المتضمنة عبارات الوعد والوعيد ، والقاء الرعب في النفوس الآمنة ، والأماكن المطمئنة .

ومما يجدر ذكره أنه رغم ان « الهذائين » محبوبون للشجار ،

(١) أى مستشفى الامراض العقلية

كثيرو الشك اعتدائيون ، فان حوادث العنف التي يقومون بها قليلة محدودة . وتكاد تكون الجرائم الجنسية أيضا عندهم نادرة الوجود .

وللجرائم ضد الأشخاص التي يرتكبها المصابون بهذا الذهان بواعث مختلفة ، فهم قديرغبون في الانتقام ممن تسببوا لهم بالشرأوالاذى ، أو انهم يقدمون عليها بدافع الغيرية والاثار ، أو بقصد خدمة الأمة أو العالم البشري . وقد تكون الجريمة في هذه الحالات مرتبة ، محكمة التدبير ، أو تبدو عارضة ، وليدة التو واللحظة^(١) .

أما الجرائم ضد الأموال فتكون بعامل الانتقام ، فاذا اعتقد المريض بأن بيت جاره هو مصدر أذاه وشكواه فقد يشعل النار فيه ويحرقه .

ولم يجد نورود ليست بين ٤٠٠٠ جريمة قام بفحصها ودراستها سوى ٦٦ حادثة برانويا منها : ١٢ جريمة ضد الاشخاص ، و ١٠ جرائم ضد الأملاك ، و ٦ جرائم تميزت بالعنف والشدة . ولم يجد بينها حادثة جنسية واحدة^(٢) . كذلك فان برت لم يلاحظ أية حالة برانويا في قضاياها جميعا^(٣) . ومعظم جرائم البرانويا هي ، في الواقع ، السب والقذف والبلاغات الكاذبة .

(١) مكينفن ، المصدر نفسه ، ص ٣٠-٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠-٣٢ .

(٣) وعددها ٢٠٠ قضية - برت ، المصدر نفسه ، ص ٥٩٤ .

تشاهد البارافرينيا في موقع وسط بين البارانويا والفصام
البارانوي ، ويكون الهذاء فيها أكثر ثباتاً وانتظاماً مما هو في الفصام .
وتفترق البارافرينيا عن البارانويا من جملة وجوه أهمها :

١ - ان الهذات فيها أقل ثباتاً وانتظاماً ، ودواماً ومنطقاً
من البارانويا .

٢ - تعتبر الهلوسات من أعراضها الشائعة ، وهي لا تظهر
في البارانويا .

٣ - يبدو على المصاب بها تفكك الشخصية وانفصامها ، مما لا
يشاهد عادة في البارانويا .

وهي تفترق عن الفصام البارانوي من وجهين :

١ - الاضطراب العقلي يبدو في البارافرينيا أخف وطأة وأقل
حدة وشدة منه في الفصام البارانوي .

٢ - الجنون المطبق Profound Dementia الذي يظهر عادة
في مراحل الفصام البارانوي الأولى لا يظهر غالباً في البارافرينيا ، وان
ظهر فيها أحياناً فان ذلك يكون في مراحل المرض الأخيرة^(١) .

هذا ومريض البارافرينيا لا يميل إلى العزلة والانطواء على النفس ،
كمريض الفصام ، بل يختلط بالجميع دون كلفة ، ويندج فيهم بسهولة ،

(١) مكثيقن : المصدر نفسه ، ص ٣٤-٣٥ .

ويتحدث إليهم في شتى الشؤون بحرية وطلاقة لسان . وهو يعتبر - في الواقع - من أعظم مرضى العقول خطرا ، وأغلب جرائمه من النوع العنيف كالقتل ^(١) .

ومن أمثلة البارافرنيا حالة سيدة عمرها ٥٧ سنة ، ذات مركز اجتماعي راقٍ ، حصلت على شهادة الدكتوراه في الطب ، إلا أنها لم تراول هذه المهنة لشذوذ عقلها وغرابة أطوارها . فما أن تخرجت من الجامعة حتى أخذت تساورها الوسواس بأن رجال الصحافة في البلاد كلها ، ويشاركون في ذلك رجال الدين ، قد آثروا عليها ، وألقوا فيما بينهم « عصابة » تعمل ضدها ، فلا تخلو صحيفة من التعريض بشخصها ، ولا خطبة على المنابر من الإشارة إليها . وهي - من جانبها - قد قطعت على نفسها عهدا بأن تكرس حياتها لاكتشاف أمر هذه « العصابة » وقطع دابرها ، وكثيرا ما كانت تهذي بأن أعضاء « العصابة » يعرفون مدى نشاطها ضدكم وملاحقتها لهم ، ولهذا فقد خيل لها بأنهم جادون للإيقاع بها ، يترصدونها بالمجاهر (التلسكوبات) ، ويسلطون عليها « أشعة الموت » ، ولكن محاولاتهم هذه قد باءت - في ظنها - بالفشل ، لأن الشرطة - حسب زعمها - تعلم الأمر كله ، وتقوم بحمايتها على أفضل وجه ، فهي إذ تمر بالشوارع تحيط بها فيالق الجنود من كل جانب لوقايتها من أي مكروه ، والدفاع عنها تحاه أي خطر يهددها .

(١) وليام الخولى ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

وظلت هذه الهواجس مهيمنة عليها وأدت إلى ادخالها مستشفى الأمراض العقلية حيث أقامت به ست سنوات وتوفيت فيه.

٤ - الذهان الدوري

أو

ذهان الهوس والاكتئاب

Circular or Manic-Depressive Psychosis

تعريف الذهان الدوري :

الذهان الدوري أحد الأمراض العقلية الوظيفية الكثيرة الشيوع تختلف حالاته اختلافا كبيرا في شدتها ودرجتها ، ففي بعض القضايا يبدو خفيفا معتدلا أقرب إلى الخور العصبي Nervous Breakdown^(١) منه إلى المرض العقلي . وأحيانا يكون عنيفا حاداً عظيم الخطورة .

ويتميز الذهان الدوري ، في الحالات التامة التكوين ، بنوبات من الهوس والتهيج (المانيا mania) ، أو نوبات الهبوط والاكتئاب (الملائخوليا)^(٢) . وفي الفترات الواقعة بين هذه النوبات يحتفظ المريض بحالة عقلية طبيعية .

ويختلف المرضى عن بعضهم في الإصابة بهذا الذهان ، فمنهم من لا تتناوب الا مظاهر الهوس وحدها ، ومنهم لا يصاب إلا بالاكتئاب ، وفي بعض الحالات الأخرى تتناوب المريض دورات متعاقبة من

(١) أى الاعياء العقلي أو النوراستانيا (راجع ص ١٧٤-١٧٧) .

(٢) ينذر حدوث الملائخوليا قبل المراهقة ، ويغلب ظهورها بعد سن

هوس واكتئاب ، ولذا سمي هذا الذهان دورياً^(١) .
أما معدل مدة النوبة الواحدة فيتراوح بين ثلاثة أشهر وأثنى عشر شهراً ، وقد تستمر النوبة في بعض القضايا ثمانية عشر شهراً ، أو سنتين .

وصف الذهان الدوري :

الذهان الدوري خفيف الأعراض ، سليم العاقبة إذا قورن بأنواع الذهان الأخرى ، من السهل اكتشافه وعزل ضحاياه ووقايتهم من إيذاء أنفسهم ، وحماية المجتمع من شذوذهم . والشفاء منه يكاد يكون في الأحداث والصغار مضموناً^(٢) ، أما في الكبار فانه أكثر صعوبة وأقل نجاحاً^(٣) . وسواء تم الشفاء أم لم يتم فان هذا الذهان لن يؤدي ، كالأعراض العقلية المزمنة ، في النهاية إلى الجنون Dementia .

وجدير بالذكر أن المصاب بذهان الهوس والاكتئاب شخص كبير جسمه ولم يكتمل نضجه العقلي ، فهو كالأطفال يعيش في الحاضر ، تغلب عليه رغبات اللحظة الراهنة ، يغني ان كان سعيداً ، ويكي ان كان كئيلاً ، ويصيح ان غضب ، وينقاد تواءاً إلى تلبية كل ما يعتوره من دوافع ، واجابة كل ما يحفز من ميول وشهوات ، وتراه

(١) مكينغن ، المصدر نفسه ، ص ١١-١٢ .

(٢) مع احتمال رجوع بعض النوبات في مستقبل العمر .

(٣) وكلما تقدم الانسان في العمر كلما طالت مدة النوبات عند المرضى ، غير أنه قد لوحظ أن الشفاء من الملائخوليا قد تم لدى بعض الكبار بعد عدة سنين من الإصابة بها .

ينتقل أحيانا من أقصى حدود السرور والابتهاج إلى أبعد مدى من الكآبة والانقباض ، « كبندول » الساعة لا يقف عند نقطة وسطى ، على قدر ما تكون حركته إلى اليمين يكون ارتداده نحو اليسار^(١).

اعراض الذهان الدوري :

لكل من حالتي الهوس والاكتئاب اللتين يتميز بهما هذا الذهان أعراض خاصة كثيرة هي :

أعراض الهوس (المانيا) Mania : في نوبات الهوس يشعر المريض بحالة من النشوة Elation المفرطة ، والزهو الشديد ، والنشاط الزائد Over-Activity ، ونفخامة الذات Exaltation .

وتختلف نوبة الهوس في قوتها ودرجتها ، فهي في صورتها الخفيفة المعروفة بالهايومانيا Hypomania يلزمها احساس قوي بالسرور والابتهاج والفرح والسعادة ، وشعور جلي بأهمية النفس والاعجاب بها ، واسراف في تقدير مزاياها ومواهبها ، وميل شديد للاهتمام بالأمور العامة وشؤون الناس الآخرين . ولهذا يبدو المصاب في حالة « اتفخاخ » وزهو ، وهيئة تدل على العظمة والاستعلاء ، ثنائرا يكثر من المداخلة في أمور غيره ، ويندفع نحو الأذى وأفعال العدوان عن غير ترو أو تبصر بالعواقب .

وفي نوبات الهوس الكاملة يتجلى المصاب في نشاط عظيم ، لا يهدأ له بال ، ولا يرتاح له خاطر ، ولا يستقر على حال ، ولا يثبت في مكان

(١) راجع أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٣١٢-٣١٥ .

واحد . انه أبداً كثير الحركة والتحول والتقلب ، ينتقل من عمل إلى آخر دون راحة أو هوادة ، وهو — بسبب ذلك — قل أن ينهي أي واجب أو ينتج شيئاً . أما تياره الفكري فسرّيع مشوش يجعل كلامه مختلطاً غير مفهوم وأما مزاجه فيغلب عليه الفرح والطرب فهو لا ينفك يفتني ويضحك ويمزح ويروي قصصاً مملوءة نوادر « وتوريات » وفكاهات ، ويسرد أحاديث ذات سجع وقوافٍ ، وإذا ما نشطت انفعالاته وتعال ، أخذ يخال تها وهجها ، وأقبل على أفعال العنف يتبخر في مشيته مزهواً بنفسه .

وفي بعض الحالات الحادة ، في نوبات الهوس ، قد يظهر على المصاب ألوان من الهلوسات المختلفة ، يفقد على أثرها كثيراً من سيطرته على ذاته وكبح جماحها ، ويفرق في الحركة والمدوان وقول الفحش واتلاف المتاع وتخريب المال ، وقد تتأرجح انفعالاته أحياناً بين الفرح والزهو وبين الحزن والمضرب . فبعد حالة سرور وغرور وعظمة واستعلاء قد ينقلب فجأة إلى حالة غضب وعنف وبأس وكآبة ، يتهدد ويتوعد ، ويملاً الدنيا صياحاً وصخباً .

ويلاحظ مرات أن المريض بالذهان الدوري يتعرض في ساعات زهوه وخيالاته ، إلى أخطار جسيمة قد تؤدي بحياته ، كأن يصعد إلى مرتفع عال يحسب أنه يقدر على القفز منه بسلام ، فيقع ويموت^(١) .

(١) لا يحدث الانتحار أبداً في نوبات الهوس إلا إذا دخل المريض في نوبات الهبوط والاكتئاب . راجع مكنيفن ، المصدر نفسه ، ص ١٠-١١ .
ووليم الخولى ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٨-٢٢٩ . ومجلة علم النفس ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ص ٣٦٦ .

وجدير بالاشارة ان العقل ، في الذهان الدوري ، يظل فيما عدا حالات الهياج الشديد ، محتفظا بهدوئه ، لا يمتريه اختلال أو اضطراب ، ويبقى المصاب فاهما لما يجري حوله ، لكنه لا يستطيع القيام بأي تفكير انشائي من أثر هيجانه ، ولا يقدر على حصر ذهنه وتركيز ادراكه Concentration .

اعراض الكآبة (الملائخوليا)^(١) Melancholia : الملائخوليا ضد المانيا ، خالة النشوة والزهو والحركة الدائمة تستبدل فيها بحالة خور العقل Depression ، وفقر نشاط الجسم Inactivity وانعدام الاهتمام بالعالم الخارجي كله . ومع ذلك فان المريض يبقى محتفظا ، في معظم الحالات ، بصفاء عقله Clarity of Mind ، وسلامة ذاكرته ، ولا يصيب وظائفه الذهنية أي اختلال أو وهن . وفي حالات الملائخوليا الخفيفة وبمض الحالات الحادة لا يتأثر السلوك الاجتماعي إلا قليلا ، ويظل جوهره طبيعيا سليما .

وأهم أعراض الكآبة الكاملة هي أن المريض يظهر أكبر سنا مما هو عليه فعلا ، تنطبع أحاديثه بطابع الحزن واليأس ، قليل الكلام لا تعدو عباراته الجملة الواحدة ، وتبدو عليه امارات الأسى والانتقاض والوهم والخوف ، كثير الأرق ، لا تفارقه احساسات القصور والدونية والشعور بالاثم وفقدان كل أمل في أي شفاء أو

(١) أو السودا .

غفران ، وتملاً نفسه هو اجس مؤذية كربة تشغل جل اهتمامه وتفكيره
وتجمله يؤكد انه ارتكب أخطاء كثيرة وآثام خطيرة ، جلبت له
ولأهله العار والدمار ، يستحق عليها أشد أنواع العقوبة والجزاء .
لهذا فان رغبة الانتحار تصاحبه وترافقه أينما حل ، واذا لم
تتخذ احتياطات عاجلة ناجمة لوقايته فانه لا بد أن يحاول القضاء على
حياته بيده . أو هو قد يحاول التكفير عن ذنوبه بفقه احدى عينيهِ ،
أو قطع بعض أعضائه ، لا سيما التناسلية ، التي هي في نظره مصدر
نكبته وتماسته .

وفي القضايا المتطرفة من الهبوط والكآبة فان نشاط المريض في
الحياة اليومية يقف كلياً . فهو يصبح كالأخرس أصم ابكم لا ينبس
بينت شفة ، ويرفض تناول الغذاء ، ويحتاج عندئذ الى من يطعمه
ويعني به كالأطفال^(١) .

اسباب الذهان النورى :

ان الأسباب الحقيقية لهذا الذهان غير معروفة تماماً ، لكن أعظم
العوامل أهمية وأثراً - في نظر كثير من العلماء - هي الاستعدادات الوراثية ،
وقد بدت ظواهرها في نحو ٨٠ ٪ من مجموع الاصابات بهذا المرض ،
يثيرها ويحركها من مكنها أي توتر Strain عقلي أو اعياء جسمي ناشيء
عن الحرمان Bereavement ، أو بسبب بعض المشاكل العائلية ، أو
الخسائر المالية ، أو الصدمات في العمل أو نواحي الحياة الأخرى .

(١) مكينغن ، المصدر نفسه ، ص ١٠ - ١١ .

كما يحتمل أن يكون أصل الداء ناجماً عن صراع نفسي يدور حول
رغبة مكبوتة لا يستطيع المرء تحقيقها ، مما يؤدي إلى تحويل نشاطه
عنها بصورة لا شعورية ، وصرفه في مظاهر الهوس أو الاكتئاب
هرباً من حالة الألم والقلق الناتجة عن فشله ، وعدم قدرته على احتمالها^(١).

مثال الذهان الدوري :

ومن أمثلة الذهان الدوري حالة رجل اتهم بجرمة اطلاق النار
من مسدس كان يحمله على مراقب التذاكر في إحدى قاطرات
السكة الحديدية . وبمجل هذه القضية أن « المتهم » كان مسافراً ذات
يوم في تلك القاطرة إلى مقر عمله ، فجاءه المراقب يسأله إبراز بطاقة
السفر ، فرفض اجابة طلبه محتجاً عليه لجرأته عليه بسؤاله عن « البطاقة »
وهو شخص ذو مركز رفيع ومكانة عالية في المجتمع . لكن المراقب
لم يعبأ بهذا كله ، وأصر على ضرورة تقديم « التذكرة » أو شراء تذكرة
جديدة ، الأمر الذي دفع « المتهم » إلى أن ينتهره طالباً منه الكف
عن الخلاف في سؤاله والانصراف من امامه . فلم يمثل المراقب
لهذه الأقوال ، عندئذ قام « المتهم » وأشهر مسدسه واطلقه عليه من
فوره ، فأحدث دويًا عاليًا ، سبب ذعر المراقب وفراره ظاناً أنه قد
اصيب بجرح بليغ . غير أنه قد تبين فيما بعد أن « المسدس » هو من
العباب الاطفال التي لا تحدث أي ضرر .

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

ولما فحص الطبيب العقلي المتهم بأن له أن « المريض » كثير الكلام والحركة والنشاط والزهو ، وقد قص عليه « روايته » بفخر و إعجاب ، كما سرد له « نوادر » أخرى تماثلها من جعلها أنه القى كيس دقيق فارغ على ثياب صديق له كان مسافراً وإياه ، ذات مساء ، في القاطرة نفسها ، حين كان الصديق مرتدياً ثياب السهرة ذاهباً لحضور حفلة زفاف أحد أقربائه . ولم يظهر على « المريض » أي وهن في الذاكرة أو الوظائف الذهنية ، أو أية هذات بالمرة . ولكنه ثبت أن سلوكه مع المراقب قد حصل بتأثير حالة الزهو والتيه التي كانت بادية عليه ، وأن جريمته قد نجمت بصورة مباشرة عن اضطراب عقله ^(١) .

الذهان الدوري والجريمة :

يرتكب المصاب بالذهان الدوري جميع أنواع الجرائم من المخالفات البسيطة الى القتل الوحشي ، ويمكن أن يقال اجمالاً بأن الخطر في حالات الهوس يكون موجهاً الى الغير ، بينما يتجه في حالات الهبوط والكآبة الى النفس بالذات .

وأهم أنواع الجرائم التي يسببها هذا الذهان هي : المشاجرة والاعتداء - دون استفزاز سابق - والتشرد ، والفسق بالاكرام ، ومحاولة الانتحار ، واقدام بعض الامهات في احدى نوبات الكآبة على قتل أطفالهن حباً في تخليصهم ، على زعمهن ، من الالم او الجوع ^(٢) .

(١) المصدر السابق ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) ذلك ان الام تشعر في حالة الكآبة كأن الدنيا كلها قد أصبحت سوداء في عينيها ، لا ترى فيها بصيصاً من امل ، وتغشاها ذكريات =

وفي حالات المانيا الكاملة أو الحادة تكون أعمال العنف والتخريب والاعتداءات الوحشية من أعراضها الشائعة . إلا أن انحراف المريض أو شذوذه يظهر في الأغلب واضحا يحمل من يعينهم أمره على وضعه تحت الحماية والمراقبة قبل ارتكابه أي جرم ذي بال .

وفي الهايبومانيا (المانيا الخفيفة) يظل المرض كامنًا مدة طويلة قبل اكتشافه ، وإن ما يصاحبه من الزهو والخيلاء والاعجاب بالنفس ، وفقدان الاستبصار ، كثيرا ما تؤدي بالمريض إلى سوء السلوك كالسفه - تبديد الاموال بطيش وحماسة - والاسراف في شرب الكحول ، وإطلاق العنان للشبهوات والمسرات ، والاستهتار بالناس والمغالاة في الهزء بهم وتحقيرهم ، والاعتداء المقتن مرتا بالعنف ، والانهاك في الشذوذ الجنسي ، واقرار الجرائم الجنسية^(١) .

وكثيرا ما يلجأ مرضى الذهان الدوري ، لاسيما في ساعات الهوس والسرور ، إلى احتساء الخمر ، آملي أن يجدوا فيها ما يضاعف نشوتهم ويزيد فرحهم ، ولكنها - على عكس ذلك - تعمل على اضعاف قوة ضبطهم لأنفسهم ، وتزيد نزعاتهم المحرمة حدة وشدة .

= وخاطر قاتمة ، وأوهام ووساوس لا أساس لها . وتبدو وكأنها تحمل مصائب الدنيا بأسرها على كتفها . - أحمد عزت راجع ، المصدر نفسه ، ص ٣١٢ - ٣١٥ .

(١) لما كان المريض يحتفظ بصفاته العقلية ، ويدل سلوكه على انحراف متطرف في ظواهره الخلقية العادية فإن ذلك يجعل من العسير فهم حقيقة أعماله وتفسيرها تفسيراً صحيحاً ، حين تقع منه أفعال غير قانونية ، ومعرفة ما إذا كانت قد وقعت نتيجة ظاهرة مرضية ذهانية أو بسبب انحطاط خلقي وعادات سيئة رديئة . - مكينغ ، المصدر نفسه ، ص ١١ - ١٢ .

أما الملائخوليا فإنها تعتبر أحيانا سببا لوقوع جرائم خطيرة ، كما تعتبر من عوامل انتحار المصاب نتيجة دافع عرضي طاريء ، أو عقب تفكير سابق واحكام وتدبير .

وحرى بالذكر أن فكرة الانتحار تظل قائمة باستمرار في نفس الملائخولي . تسوقه غالبا لمحاولة القضاء على حياته عند وقوع أي حادث تافه ، أو إصابته بأي حرمان لا أهمية له . ومثال ذلك أن سيدة عمرها ٤٥ سنة مصابة بالملائخوليا ، قد شاهدت في أحد الأيام ممرضتها تحاول تركها والذهاب لزيارة أهلها ، فرجتها أن تظل عندها لأنها لا تستطيع فراقها . ولكن الممرضة لم تصنع لرجائها ، وما أن همت بالخروج من عندها حتى ألقت المريضة بنفسها من إحدى النوافذ العالية ، وأصيبت بأضرار بالغة . وقد عللت فعلتها بأنها لا تشعر بالسعادة إلا إذا ظلت الممرضة بجانبها ، وإنها آثرت الموت على فراقها .

ويصرح رجال الطب العقلي ، في هذا الصدد ، أنه عندما يرتكب المريض بالذهان الدوري جريمة عنف في نوبة الهبوط والكآبة ضد شخص فإنه يكون — في الغالب — مدفوعا إلى ذلك بعاطفة الغيرية والاثار نحوه ، كما يحصل عندما يقدم الوالد على قتل أبنائه وأفراد عائلته — أحيانا — اذ يعتقد خطأ بأن المستقبل لا ينحني لهم غير التعاسة والألم ، وأن خير وسيلة لانقاذهم مما يهددهم هو قتلهم ، فلا يحسون فيما بعد تعب ولا يصيبهم شقاء أو اهانة^(١) .

(١) المصدر السابق ، ص ١٥ - ١٦ .

الفصل الثالث

المرض العقلي العضوي

Organic Reaction Types

تعريف المرض العقلي العضوي واعراضه :

هو اضطراب القوى العقلية واختلالها ، ناشيء عن اصابة الدماغ اصابة مرضية مباشرة ، أو تأثر الجهاز العصبي بصورة غير مباشرة نتيجة مرض أو اعتلال حل في أجزاء أخرى من الجسم . ومثال ذلك التهاب المخ السبائي Encephalitis Lethargica ، ومرض الـ Myxoedema الناجم عن اعتلال الغدة الدرقية Thyroid^(١) .

وأهم أعراض هذا المرض ، الاصابة العضوية ، وتمطيل الذاكرة ، وضعف الذهن ، وعدم القدرة على التفكير أو التركيز بصورة تامة أو جزئية ، وسرعة الانفعال ، وسوء السلوك ، وفقدان الزواجر الخلقية^(٢) . والجرائم المتصلة بالأمراض العقلية العضوية كثيرة مختلفة تشمل أفعال الاعتداء ، والسرقة والاغتصاب ، والقتل وغيرها ، وتكون في الغالب غير متعمدة ، متسمة بطابع صياني يدل على الذكاء واختلاط العقل وانحراف الخلق.

(١) راجع الباب الخامس «اعتلال الجسم» .

(٢) ويفترق المرض العقلي عن الجنون المطبق Insanity أنه في حالات الجنون يفقد المصاب صلته التامة بالواقع ، وتصيب عندئذ الحوافز الغريزية والعقد المكبوتة شعورية يراها حقيقة ماثلة أمامه . وعندها تتداعى شخصيته وتتحطم ، وتسير أعماله وحركاته وفق مطالب اللاشعور .

اشكال المرض العقلي العضوى :

للأمراض العقلية العضوية اشكال عديدة أهمها : جنون الكحول ،
وجنون الشيخوخة ، والشلل الجنوني العام ، والصرع^(١) ، والالتهاب
السباتي ، وسنأتي فيما يلي على وصفها بإيجاز .

جنون الكحول

Alcoholic Psychosis

تعريف جنون الكحول وأشكاله :

جنون الكحول اضطراب يصيب العقل نتيجة الاسراف
والمغالاة في تعاطي المسكرات بمض الأحيان ، أو الادمان عليها وشربها
باستمرار . ذلك أن المشروبات الروحية سموم مخدرة Narcotic قريبة
الشبه بالكوروفورم وأكسيد الأثيل (الأثير) Ether ، تشل وظيفة
المراكز العليا في الدماغ - لا سيما اللحاء Cortex - ، وتعطل حركة
التفكير والمحاكمة السديدة في الانسان . كما تسبب الحرق^(٢) - أحيانا -
لمعاء في الجسم وخمود الحس ، وتخفف الشعور بالمسؤولية ، وتزيل حواجز
الخجل والخوف من الآثم والحذر من الأخطار والأخطاء ، وتساعد
الأفكار الرذولة على الانطلاق والظهور دون رادع يردعها ، أو وازع
يمنعها . أو أنها تؤدي أحيانا أخرى إلى ظهور هياج عام لدى الفرد
يستحثه على العنف والجدل ، ويحدث عنده عدم القدرة على ضبط النفس

(١) لم يثبت بصورة قاطعة ، كما سنرى ، سبب عضوى للاصابة
بالصرع . كذلك فإن الكلمة لم تتفق بعد على اعتبار جنون الشيخوخة من
الامراض العقلية العضوية ، ولكننا نميل الى ترجيح الجانب الذى يعتبره كذلك .
(٢) الكحول والمسكرات والمشروبات الروحية والخمر والشراب تفيد
معنى واحد .

ضبطا صحيحا ، او تسبب له فقدان الوعي والرشد إلى درجة تبلغ حد
الذهول أو الفيوبة Cona ، واختلال اتران الجسم^(١) ، أو الشلل^(٢) .

ولقد ثبت بأن الاسراف في الشراب Acute Alcoholism ،
يؤدي مع مرور الزمن إلى انحلال الشخصية ، واختلال كفاءة الفرد
العقلية والجسمية ، وفساد الأحكام الخلقية ، ويجعل الشخص كسولا
مهملًا واجباته ، لا يوثق بأماته ، غير مستقر المزاج ، كثير المشاجرة
والخصام ، ويصبح سلوكه بوجه عام صعب الاحتمال ، وعلى الاخص
داخل المنزل حيث ترداد انفعالاته وتشتد اعتداءاته على زوجته وأطفاله
وأفراد أسرته^(٣) .

ويؤدي الادمان على المسكرات إلى حدوث أشكال أخرى من
الاضطرابات العقلية أهمها : الهذيان الارتجاجي ، وذهان كورساكوف .
فالهذيان الارتجاجي^(٤) ، Delirium Tremens ينشأ من إغراق

(١) من تأثير الشراب على المخ .

(٢) Dr.G.M. Scott, Alcoholism and Criminal Behaviour, (٢)
(Mental Abnormality and Crime), op. cit, p. 163-166

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٩ . ولقد ظهر ان الاشخاص الذين
حصلت عندهم من قبل أصابات فيروسيهم ، أو امراض في أدمغتهم ، أو
أصيبوا بضربة شمس Heatstroke ، أو بالصرع أو الجنون ، أو كانوا من
قاصري العقول هم أكثر من غيرهم عرضة للتأثر الشديد بمفعول الكحول .
- المصدر السابق ، ص ١٦٨-١٦٩ .

(٤) يميل بعض العلماء لاعتبار هذا الهذيان من صنف الامراض العقلية
العضوية وليس الوظيفية . راجع مكينفن ، المصدر نفسه ، ص ٤٠-٤١ .

مدمن الخمر وانهماكه في احتساء الشراب فترة طويلة بأسراف ومغالة ، لا سيما اذا كانت معدته خالية آتئذ من الطعام . كما ينشأ من اصابة معتاد السكر بمرض أو أذى ، أو عند اضطارره للكف عن الكحول بسبب مفاجيء كدخوله السجن حيث يتمتع عليه تعاطي المسكرات . ومن أعراض هذا الهذيان الرئيسية الهياج ، والأرق ، والهلوسات المفزعة بصرية أو سمعية وغيرها ، كأن يخيل إليه أنه يرى أفاعي خطيرة تقترب منه ، أو يشاهد أشباحا ماثلة أمامه تصوب إلى صدره أسلحة ماضية بغية القتل به . وينلب على المصاب القيام بأفعال العنف والاعتداء ، ومحاولة الانتحار ، وفقد الذاكرة . وهو يستمر على هذه الحال فترة تتراوح بين ثلاثة وعشرة أيام ، يعقبها نوم هادي عميق ينبيء باقتراب حالة الشفاء ^(١) .

أما جنون كورساكوف Korsakow's Psychosis فنادر الظهور ، يتميز بالتهاب الأعصاب Polyneuritis وضياع الذاكرة ، واعتلال الشخصية وانحلالها Deterioration .

وتفعل المقاقير الخطرة (المخدرات) - كالخشيش والكوكايين والأفيون - في الانسان فعل الخمر في التأثير على عقله وجسمه . فهي ، مثلها في ذلك مثل الكحول ، تزيل الحواجز التي تقيمها المراكز الدماغية العليا في وجه الحوافز الغريزية ، وتضعف الحوائل الصادة للدوافع

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٠ - (وأحيانا ما تحدث الوفاة خلال هذه الفترة من أثر حدة الشراب) .

الفطرية . ومتى وهنت عملية الكف Inhibition والصد Frustration التي يمارسها العقل نحو الميول المدوانية والاندفاعات الجنائية ، فلها لا تلبث أن تجد لها منفذا تبرز منه في شكل أعمال لاجتماعية^(١) .

جنون الكحول والجريمة :

للجريمة ارتباط وثيق بالاسراف في تماطي المسكرات أو الادمان عليها ، فالكحول كما ذكرنا تشل وظيفة الجهاز العصبي وتترك القوى الغريزية حرة في بلوغ أهدافها وتحقيق رغباتها دون مانع يعترضها ، أو حاجز يردها الى مقرها ومكمنها .

كما وان الهذات المخيفة والشكوك المفزعة التي يولدها هذا الذهان في المصاب تحمله أحيانا على الخطيئة والاجرام . فهو اذا ما تصور أن زوجته تخونه عمد إلى ايذائها والاساءة إليها . واذا خيل إليه أن أسرته تتآمر عليه تريد قتله انصرف إلى اهانتها والاعتداء عليها ، واذا توهم أن أحد اصدقائه وضع له السم في الطعام للقضاء عليه اندفع الى محاسبته على ذلك والاقصاص منه . هذا ما تدفع الخمر المعتادين عليها لاقتراف مختلف الآثام لاسيما الأفعال المنافية للحياء والجرائم الجنسية ضد الأولاد ، وما تسببه للمدمنين وذويهم - أحيانا كثيرة - من عيشة مملوءة بالضيق والفقر ، والتعاسة والحرمان نتيجة اتفاق الرواتب أو الأجور في دفع أثمان الشراب .

Kate Friedlander, the Psycho-Analytical Approach (٧)
to Juvenile Delinquency, London, 1947, P. 178-179

يبد أنه يتعذر على المرء كثيرا ان يعين بدقة تامة مدى ارتباط تناول الخمر بحوادث الاجرام ، ولكنه من الثابت أن الكحول تساعد كثيرا على وقوع الجريمة ، وعلى الأخص حين يتوافر لدى المجرم استعداد سابق لها (للجريمة) ناشيء عن الوراثة السيئة ، أو التربية الرديئة ، أو المنزل الفاسد^(١). وتحقق بعضهم أن احتساء الخمر يعتبر سببا مساعدا في نحو ٨٠ ٪ من جرائم الاخلال بالأمن واغلاق الراحة وفي ٧٠ ٪ من جرائم العنف والاعتداء ، وفي ٤٠ ٪ من حوادث السرقات والجرائم الجنسية^(٢).

ولقد بلغ عدد الاشخاص الذين حوكموا في انكلترا بتهمة السكر بين ١٩١٠ - ١٩١٤ نحو ١٩٣,٣٥٤ فردا ، ثم تضاعف هذا العدد كثيرا خلال الحرب العالمية الأولى واستمر في النقصان بين ١٩٢٠ - ١٩٣٢ ، وفي هذه السنة (١٩٣٢) عاد إلى الارتفاع ثانية حتى بلغ ٥٤,٤٠٢ شخصا سنة ١٩٣٨^(٣).

هذا وإن معظم جرائم المراهقين - كما يصرح نورود ليست - قليلة الارتباط بالمشروبات الروحية ، وكذلك جرائم الشيوخ والكهول . ففي سنة ١٩٣٧ لم يظهر له بين ٤٥٠٩ من السجناء الذكور الذين اتهموا بالسكر سوى ١٩ شخصا فقط تتراوح أعمارهم بين السابعة عشرة

(١) راجع الباب السادس (بحث الاسرة) .

(٢) الدكتور سكوت ، المصدر نفسه ، ص ١٧٢ - ١٧٣ . راجع الدكتور وليم الخولي ، المصدر نفسه ، ص ٢٣١ . وأحمد عزت راجع ، المصدر نفسه ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٣) نورود ايست ، المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

والحادية والعشرين . وفي سنة ١٩٣٨ لم يلاحظ بين ٥٠٠٧٨ من أمثال هؤلاء المتهمين سوى ٢٥ شخصا من المراهقين^(١) .

جنون الشيخوخة

Senile Psychosis

تعريف جنون الشيخوخة وأعراضه :

يظهر هذا المرض - كما يدل عليه اسمه - في أيام العمر المتأخرة حين يجاوز المرء الستين من سنوات حياته . ولا يصيب - في الغالب - إلا الشيوخ الذين كانت تبدو عليهم ظواهر الانكماش والانزواء والعزلة عن المجتمع ، وقلماء يشاهد فيمن كان في شبابه كثير الحيوية جم النشاط مندججا في الجماعة .

ومن أعراضه ضعف الذاكرة ، وشدة الحساسية ، وسرعة الانفعال ، وانحلال القوى النفسية ، وكثرة الغضب والصياح والسب والضرب ، والهلوسة ، والهذاء (كأن يظن أن أبناءه يريدون قتله طمعا في ماله ، أو يتوهم أن زوجته تخونه وتبدد ثروته) .

والشيخ المصاب بهذا المرض ينتكس فيصير كالأطفال يقلدهم في أفعالهم ويتصرف مثلهم ، وتراه يحن بلوعة إلى أيام الصبا والقوة ، ويهفو فؤاده إلى سني الرجولة والشباب . وقد يقع وهو في سن السبعين مثلاً في حب صبية لم تتجاوز العقد الثاني من عمرها ، يلح في طلبها والتفاني في الوصول إليها . وكلما تقدم المرض كلما أمعن الشيخ في انتهاج

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٣ - ملاحظة : أننا لم نجد احصاءات مماثلة لهذه في العراق .

مسالك الصغار ، وعجز عن سياسة نفسه ، وأصبح في حاجة لمن يعنى بأمره ويقوم بخدمته^(١).

سبب جنون الشيخوخة :

لقد اختلف العلماء في تعيين سبب هذا الجنون ، فمنهم من يعزوه لأسباب عضوية ، كحصول تغيرات كبيرة في النسجة المخ^(٢) ، ومنهم من يسنده إلى عوامل نفسية بحتة ناشئة عن شدة القلق والخوف والنفور من الشيخوخة ، والاحساس بمحنة وطأها وعظيم قسوتها .
جنون الشيخوخة والجريمة :

للاضطراب العقلي المصاحب للشيخوخة صلة وثيقة بالجرائم الجنسية المختلفة ، لاسيما كشف العورة ومحاولة الفسق باكره والاعتداءات المنافية للحياء على الأولاد والبنات الصغيرات^(٣) . وفي بعض الأحيان يتخذ السلوك الجنائي الجنسي للشيوخ شكل كتابة رسائل غرامية بذئنة ، أو ارسال رسوم وصور خليعة أو كتب ومؤلفات غير خلقية لبعض القتيات والسيدات^(٤).

وأحيانا أخرى يرتكب المصاب جريمته نتيجة الهلوسات البصرية أو السمعية التي تعتريه ، أو الهذات القوية التي تحتل عقله .

(١) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) Norwood East, Sexual Offenders, (Mental Abnormality and Crime) op. cit., p. 189, 193.

ومكتيفن ، المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

(٣) لما كان من الصعب على الشيخان يجد عادة شركاء له في الجرائم

الجنسية فانه ينصرف لتحقيق ذلك نحو الاطفال والصغار . (١)

(٤) نورود ايسست ، (المجرمون الجنسيون) ، المصدر نفسه ، ص

فإذا توهم ان أبناءه يحرقونه أو يؤذونه أو يحولون دون زواجه من « البنت » التي يهيم بها اندفع في صلب لعنته عليهم والتشهير بهم والانتقام منهم . وإذا تصور أن لزوجته « عشيقا » من الشبان تحبه وتهواه عمد إلى تمزيقها أو قتلها والثأر منها^(١).

وتدل الاحصاءات على أن ٦٠٪ من جرائم الشيوخ جنسية ، و ٣٠٪ سرقات ، و ١٠٪ جرائم أخرى مختلفة . وكثير من هؤلاء الشيوخ المجرمين من عاش طيلة حياته من قبل سويا ، مشهورا بمكاته الرفيعة وسلوكه الطيب وخلقته الممتاز^(٢).

الشلل الجنوني العام

(٣) General Paralysis of the Insane

تعريف الشلل الجنوني العام واعراضه :

الشلل الجنوني العام اضطراب يحصل في العقل نتيجة اصابة المخ بالزهري ويعتبر مثالا نموذجيا للأمراض العقلية العضوية . وهو لا يصيب الجسم بشلل عام كما يبدو من اسمه ، بل انه يؤدي فقط بعد فترة تتراوح بين خمس سنين وعشرين سنة إلى ضعف القوى العقلية وانحلال عام في الوظائف النفسية ، وينتهي الأمر بصاحبه — في الغالب — إلى الجنون .

وتشبه أعراضه في مراحله الأولى أعراض أي من الأمراض

(١) وليام الخولي ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٠

(٢) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٣١٦ .

(٣) أو General Paresis, or Dementia Paralytica

العقلية الوظيفية التي سبق بحثها . فتشاهد فيه حالات الهياج والسكابة ،
وهذات العظمة والاضطهاد ، وتبدل الشخصية ، واختلاط الكلام ،
وتبذل الخلق — فحش في القول ، واسراف في شرب الكحول ،
وانهماك في المذات الجنسية — وقلة الاهتمام بشؤون النفس والأسرة
وأمر اللباس والمظهر ، وضياح الذاكرة ، وفساد الأحكام ، وصعوبة
حصر الذهن ، وممارسة كثير من الحركات والأعمال الصبائية .

وأهم أعراضه الجسمية العجز عن ضبط المثانة وعدم تساوي
انساني العنين ، وعدم انتظام حركتهما وقلة تأثيرهما بالضوء
الشديد^(١) .

وفي مراحل المرض الختامية ينتاب المصاب انهيار تام في العقل
والجسم يؤدي به ، ان لم تجر معالجته ، إلى الوفاة خلال سنتين أو
خمس سنين^(٢) .

ومن الأمثلة على الشلل الجنوني العام قضية رجل آهم بفعل مناف
للحياء (كشف العورة) ، وقد ظهر من خص حالته ان أمه قد وجدته
في احدى الليالي جالسا بباب المنزل يغني بأعلى صوته ، ينتظر قدومها
كما تفتح له الباب رغم أن « المفتاح » كان بيده . كما تبين أنه
كان يكثر من الأناشيد في فراشه قبيل النوم ، ويقوم بإشارات

(١) مكتيفن ، المصدر نفسه ، ص ٤٢ - ٤٣ . ومجلة علم النفس ، المجلد
الثاني ، العدد الثاني ، ص ٣٦٤ .

(٢) مكتيفن ، المصدر نفسه ، ص ٤٢ - ٤٣ . وأحمد عزت راجح
، المصدر نفسه ص ٣١٧ .

وحر كات غريبة باصابعه على الحائط الملاصق لسريره . وقد حدث ذات مساء أنه ترك بيته في منتصف الليل وسرق دراجة أخذ يطوف بها شوارع المدينة ، وقطع بها مسافة تقارب الثلاثين كيلو مترا ، فقبض ووقع عنها . عندئذ قام رجال الشرطة بأسعافه ، واحتفظوا له بالدراجة (دون أن يعلموا بأنه سرقها) . وفي اليوم التالي عاد لدائرة الشرطة طالبا استرجاع « دراجته » . وبعد هذا الحادث بيومين قبض عليه متلبسا بجريمة « العرض » التي أشرنا إليها ، وثبت أنه مصاب بشلل جنوني عام ، فادخل إلى مستشفى الأمراض العقلية^(١) .

ومن الامثلة الأخرى على ذلك أيضا قضية رجل عمره ٤٣ سنة كان محاسبا موثوقا بأمانته في إحدى الشركات التجارية ، انقطع فجأة عن عمله ، واتضح عندئذ فقدان ١٠٠٠ جنيه من الأموال المودعة عنده . ولقد ظل محتفيا في مكان مجهول أربعة أيام كاملة ، عاد بعدها إلى منزله في حالة شبه غيبوبة استمرت نحو يومين . ثم أخذت تظهر عليه امارات اهمال نفسه اهمالا مطلقا لاسيما عدم العناية بملابسه ومظهره ، وتبذل في خلقه وسلوكه ، وقلة رعاية اصول الآداب والمجاملات . فاذا ما حضر زائرون عند أهله مثلا كان يقول لهم فجأة « الساعة الآن السادسة مساء ، وقد حان موعد النوم ، ويجب أن ينصرف في الحال كل الى فراشه » ثم يذهب وينام . وقد أدخل على أثر ذلك إلى مستشفى

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤ - ٤٥ .

الأمرض العقلية . وفي المستشفى قام يوما بسرقة « علبة سجائر » الطبيب ، ووزع محتوياتها على زملائه ، ثم ألقاها على مائدته إلى أن جاء صاحبها فاستعادها بحضوره دون أن تبدو عليه أية إشارة تدل على التأثر ، أو محاولة ذكر كلمة لتبرير فعلته ^(١) .

الشلل الجنوني العام والجريمة

يبدأ هذا المرض هينا بسيطا ، يظهر فيه المصاب كأنه من الأسوياء لا يرتكب أخطاء أو جرائم خطيرة ، وجل ما يقوم به في هذا الدور سرقة أموال زهيدة القيمة قل أن يحاول اخفاءها ، وتبديد أمواله بطيش وحماسة . ثم يقوى المرض بعد ذلك تدريجيا ويشدد ، وعندئذ يصبح المريض عرضة لاقتراف جرائم هامة كإغتصاب النساء أو الأولاد ، وحرق المنازل بغية « التدفئة » بنيرانها المشتعلة أو « الاستمتاع » بمنظر لهيبتها الوهاج ونورها المتلألئ في السماء ^(٢) .

كما تحمله أوهام العظمة أحيانا لا قحام نفسه في مغامرات تجارية فاشلة أو مضاربات مالية طائشة ، أو القيام بأعمال التزوير والاختلاس . أما جرائم القتل والاتجار فنادرة في هذا الجنون ، وفي مراحلها الأخيرة تقل الجرائم ، أو تنعدم كلياً ، بسبب ما يصيب جسم المريض من انحطاط شامل يحول دون قدرته على ارتكاب أية جريمة ^(٣) .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢) وليم الخولي ، المصدر نفسه ص ٢٣٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣٢ . ونورود ايست ، المجرم المراهق ، ص

الصرع Epilepsy

تعريف الصرع واعراضه :

الصرع اضطراب عقلي مستديم قلما يمكن شفاؤه ، يظهر غالباً أيام الطفولة أو في سنوات المراهقة ، وما زالت أسبابه الحقيقية غامضة مجهولة ، لم تتفق كلمة العلماء بعد على اثباتها وتعيينها .

ومن أعراضه الشائعة تشنجات Convulsions تصيب أعضاء الجسم ، واختلال الوعي والشعور . وهو يتميز بنوبات كبرى أو صغرى . ففي النوبة الكبرى Grand Mal أو Major Attack يفقد المصاب شعوره فجأة^(١) ، فيقع على الأرض ، وتتقلص عضلاته Tonic Spasm ، ويزرق وجهه ، ويصبح نفسه صعباً ، ويستمر على هذه الحالة بضع ثوان (٢٠ — ٤٠ ثانية) . أما التشنجات فتبقى دقائق قليلة تعقبها غيبوبة قصيرة Coma تشبه النوم العادي^(٢) . وعند اليقظة يشعر المريض بحالة إعياء شديد واختلاط عقله وفكره^(٣) .

وفي بعض الحالات لا يعقب هذه النوبة أية غيبوبة وإنما يدخل المريض بعدها في دور جديد يكون فيه كالألة الصماء يتحرك حركات ذاتية على غير هدى ، دون أي باعث ظاهر عليها أو هدف واضح معلوم ترمي إليه . وقد يندفع حينئذ ، وهو على هذه الحالة ، لارتكاب جرائم

(١) وقد تسبقها أحيانا علامة منذرة تدعى Aura ، وهي نوع من التهيج ، أو الهلوسة يحس بها بعض المرضى قبيل النوبة مباشرة .

(٢) وقد تحصل هذه النوبة خفيفة — أحيانا — بحيث يستطيع المريض النهوض بعدها ومتابعة أعماله الأولى .

(٣) مكينفين ، المصدر نفسه ، ص ٤٦-٤٧ .

خطيرة كالقتل أو الاعتداء أو السرقة ، بلا وعي أو تبصر .

وفي النوبة الصغرى لا يقع المريض - في الغالب - على الأرض ، ولا تحصل عنده أية تشنجات ، وإنما تكون النوبة في شكل ذهول عقلي قصير الأمد ، لا يتجاوز بضع لحظات ، يسبب انقطاع المصاب فجأة عن متابعة نشاطه ، وجود بصره في مكانه ، وتوقف أعماله وحركاته جميعاً . فإذا كان يأكل فإن المعلقة قد تقف وتثبت في يده قبل وصولها إلى الفم . وحالما تنتهي النوبة يرجع إلى اتمام أعماله كالاعتاد كأن شيئاً لم يحدث له .

وتختلف هذه النوبات باختلاف الاشخاص ، فهي قد تحدث عند بعضهم مرة واحدة كل شهر أو سنة ، بينما تستمر على الظهور عند الآخرين مرات عديدة في كل يوم .

ومن الظواهر الشائعة في شخصية المصاب بهذا الداء الحس الدقيق المرهف والأناية الحادة . فالريض بالصرع يتميز عن غيره بشدة الاهتمام بأمر نفسه ، ويبدو سريع الانفعال ، محبا للشجار والخصام ، كثير الغيظ والحقد مختلط العقل ، ضعيف الذاكرة ، لا يقوى على تركيز فكره والتعبير بسهولة عن رأيه . كما يلاحظ عليه أنه يثور من غير مناسبة ويشكو من أتفه الأسباب ، لا يعبأ بفظاته مهما عظمت ويحاسب الغير على أبسط الخطيئات . يتأثر كثيراً بالمديح والاطراء كالأطفال ولا يقبل أي نقد أو ارشاد ، ولا يفرق عن الصغار والصبيان في عواطفه وعلاقاته بمن

حواله ، ومن السهل جرح كرامته وإيلا م نفسه^(١) .
ومن الأمثلة على هذا المرض قضية رجل عمره ٢٣ سنة اتهم بجريمة
اغتصاب إحدى الفتيات وقد أظهر البحث أن أعراض الصرع قد
شوهدت فيه منذ بلغ سن الثامنة من عمره ، وأن سلوكه المدرسي
كان في بداية أمره حسناً ، لكنه تغير بـمد ذلك حين أخذ يهمل واجباته
ويقوم بمخالفة الأنظمة المقررة . وفي المنزل كان شديد التأثر والفيظ
والشجار وسوء الخلق . وتميزت حياته بفساد الأحكام وقلة المبالاة ، وانفاق
أمواله من غير حساب . وقد وصفه والده بأنه عديم الأمانة ، مغرور بنفسه
كثير التبجح والزهو . وفي السجن أصابته نوبات صرعية عديدة ، وكان
يبدو متقلب المزاج يبكي ويولول ويلقي بنفسه على الأرض مهدداً
بالاتجار ، ثم يحتاج ويتوعد مديري السجن بإيذائهم والاعتداء عليهم .
وقد ثبت في المحاكمة أنه مريض العقل (بالصرع) ، فادخل الى
مستشفى الأمراض العقلية^(٢) .

الصرع والجريمة :

تقسم جرائم مرضى الصرع إلى صنفين : الجرائم التي تقع في
حالات اليقظة والوعي - أي بين النوبات الصرعية - والجرائم التي تقع
في المرحلة الآلية Post-epileptic Automatism التي وصفناها . ففي
غير النوبات الصرعية يقدم المصاب على الإجرام نتيجة هذهات مؤذية أو

(١) مكينف ، المصدر نفسه ، ص ٤٧-٤٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٩ . ص ٢٣٠ .

بسبب انحطاط قواه العقلية^(١). أما السلوك الجنائي في الدور الآلي فإنه يتخذ شكل عمل قد اعتاد المريض عليه في حياته العادية كالتشرد أو التسول أو السرقة أو ما يماثله . وهو إنما يفعله دون باعث يستوجهه ومن غير أن يحاول إخفاءه . وعندما يستعيد المريض وعيه فإنه لا يذكر شيئاً عما يكون قد اقترفه من الجرائم والآثام ، ويكون نسيانه هذا حقيقة - ليس نتيجة الكبت - لا يمكن أن يعود الى ذاكرته مرة أخرى .

وفي حالة الذهول (النوبة الصغرى) فإن المريض قد يقبل على الأفعال المنافية للحياء ، أو المخلة بالأمن ، أو على أعمال العنف والاعتداء والقتل والاعتصاب عن غير قصد وانتباه . وهو لا يعتبر مسئولاً عنها لفقدان وعيه وشعوره عند إتيانها^(٢).

مع ذلك فإن صلة الصرع بالجريمة ليست قوية بتلك الدرجة التي يبالغ بعض العلماء في تصويرها . فقد أكد نورود إيست بأنه لا يوجد أي سبب يحمل على الاعتقاد بأن هذا الداء معتبر من عوامل الجريمة الهامة . وهو لم يجد بين ٧٠٦ نساء سجينات في انكلترا سوى خمس منهن مصابات بالصرع (أي بنسبة ٠.٦ ٪)^(٣) ، ولم يلاحظ بين الـ ٤٠٠٠ مراهق الذين فحصهم إلا ٣٥ شاباً مريضاً به - هذا الداء (أي

(١) ولیم الخولی ، المصدر نفسه ،

(٢) مكثيفن ، المصدر نفسه ، ص ٤٧-٤٨ .

(٣) نورود إيست ، المجرمون الجنسيون ، المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

بمعدل ٠.٩٪). أما توزيع حالات هؤلاء المرضى حسب أعمارهم المختلفة فهو كما يلي^(١):

عدد الحالات	السن
٣	١٦
٨	١٧
٨	١٨
٦	١٩
١٠	٢٠
٣٥	المجموع

ويشير هذا العالم بأن ظاهرة الصرع تبدو في الأشخاص المتهمين بجرائم العنف والاعتداء أكثر منها بين الأشخاص المتهمين بالجرائم الجنسية أو جرائم اتلاف الأموال^(٢).

التهاب السباتي

Encephalitis Lethargica

التهاب السباتي أو التهاب المخ من إصابات الدماغ العضوية ذات الأهمية البالغة في السلوك الجنائي، لاسيما جناح الأحداث. وهو مرض يظهر قبل دور المراهقة، يؤثر تأثيرا مباشرا على المصاب، ويؤدي إلى اضطراب عقله وخلقه، ويسوقه مرات كثيرة للوقوع في الجريمة بمختلف

(١) نورود ايسست، المجرم المراهق، المصدر نفسه، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

اشكالها ، وعلى الاخص جرائم الاعتداء على الاطفال والأولاد والحيوانات^(١) .

ولقد دل البحث على ان هذا الداء يكاد يكون نادر الظهور في سنوات العمر الأخيرة ، وأن عدد المجرمين المراهقين او البالغين المصابين به قليل جدا^(٢) . فنورود ايسست لم يجد بين ٤٠٠٠ قضية من قضايا المجرمين المراهقين في انكلترا سوى ٠.٦ ٪ مصابين بالالتهاب السباتي . أما نسبة وجوده بين الأحداث الجانحين فلا شك في أنها أعلى من ذلك بكثير^(٣) .

١) ويحسن بنا ان نختتم بحث هذه الأمراض العقلية بايراد الاحصاء الذي نظمه الدكتور وليم الخولي عن عدد الجرائم ونوعها بين ١٤٠١ مجرم ثبتت اصابتهم بأمراض عقلية ، وظيفية وعضوية ، من المتهمين الذين أرسلتهم النيابة العمومية المصرية الى مستشفى الأمراض العقلية بالقاهرة خلال السنوات العشر الاخيرة (راجع مجلة علم النفس الجنائي ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ص ٢٣٣) .

(١) كيت فريد لاندر ، المصدر نفسه ، ص ١٧٩-١٨١ . ومكينفن ، المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

(٢) Dr. T. W. D. Pearce, Certain Aspects of Juvenile Delinquency, (Mental Abnormality and Crime), Op. cit p. 209. 218

(٣) نورود ايسست ، المجرم المراهق ، ص ١٩٣-١٩٤ . ولقد ثبت أن العلاجات الطبية لا تنفع في مداواة هذا المرض ، ولهذا فقد انشئت في بعض البلدان الغربية مؤسسات خاصة تعنى بأمراض المصابين به (كيت فريد لاندر ، المصدر نفسه ص ١٧٩-١٨١) .

جدول رقم «١٩»

بيان الصلة بين الامراض العقلية ومختلف الجرائم

Psycho.

الجنس	الاضاعه العقلية	الشخصية	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس
٢٤	١	٠	٠	١	١٣	٠	١	٣	٢	٣
٥٤٢	١٤	٢	٢	٢٣	١١٤	٤١	٢٦	١٤٦	١١١	٦٢
٦٠	٢	٠	١	١	٢	٤	١٠	١٣	١١	١٦
٤٧	١	٠	٠	١	٤	١	٢	٩	٤	٢٥
٤٢	١	٠	٠	١	٤	٢	٠	١٢	٨	١٤
٣٨٤	١٦	٠	٨	١٥	٧١	١٨	١٣	٩٤	٥٨	٩٦
٢٤١	٢	٠	٣	١٢	١٩	٢١	٦	٧٩	٢٦	٧٣
٢٥	٢	٠	٠	٦	٢	١	١	٤	٩	١٠
٢٦	٠	٠	٣	١	١	٠	٤	٤	٧	٦
١٤٠١	٤٢	٢	١٧	٥٦	٢٣٠	٨٨	٦٣	٣٦٤	٢٣٦	٢٠٥
										الجموع
										مخالفات أخرى
										احراز المخدرات
										التمرد والتسول
										السرقة والتزوير والاختلاس
										التخريب
										الفسق
										السب والدم
										التشريع في الانتحار
										{ جرائم العنف ، القتل ، الخرق ، الاعتداء ، الخطف ، القاء ، القنابل

الفصل الرابع

السيكوباتية

Psychopathy

تعريف السيكوباتية ووصفها :

لا تزال كلمة « السيكوباتية » من الكلمات المحيرة للأفكار ، ذات معان كثيرة ، لم يتضح بعد مفهومها ومدلولها ، ولم يجتمع الرأي على تفسيرها وتعليلها .

فمن العلماء (لاسيما الأميركان) من يرى بأن السيكوباتية تشمل كل حالات الشذوذ النفسي والخلقي والعقلي ، عدا الجنون Insanity والقصور العقلي Mental Deficiency ، كحالات اختلال المزاج وعدم الاستقرار وانحراف الخلق والعصاب والذهان Functional Psychosis . ومنهم من يذهب إلى اعتبارها ذات معنى أكثر دقة وتحديدًا تفيد الاندفاع المطلق الدائم في نواحي السلوك المعوج أو المضاد للمجتمع بغية تحقيق اللذة بأي ثمن . ومنهم أخيراً فريق يصرح بأنها حالة قريبة من الجنون ، تقع على الحد الفاصل بين الصحة العقلية التامة Perfect Sanity والمرض العقلي Psychosis ، وتشمل الأشخاص غير مستقري المزاج بالولادة أو الوراثة الذين تبدو عليهم ظواهر هذه خفيفة ، أو اعراض هوس واكتئاب معتدلة^(١) .

(١) برت ، المصدر نفسه ص ٥٩٥ ، ٥٩٦ و Henderson D. K .

Psychopathic Constitution And Criminal Behaviour,
(Mental Abnormality And Crime), op cit., p. 105-108

ولقد كانوا يطلقون قديماً^(١) على السلوك السيكوباتي لفظة الجنون الخلفي Moral Insanity أو البله الخلفي Moral Imbecility^(٢) أي إصابة الأشخاص في انفعالاتهم ووجداناتهم دون ذكائهم وفهمهم وإدراكهم . فقد كتب بريشارد Prichard عام ١٨٣٥ يقول : « يعاني عدد كبير من الناس ، من صنف خاص ، من اختلال عقلي يتميز بانحراف المبادئ الخلقية وفسادها ، وفقد القدرة على ضبط الذات وتمطلها عندهم إلى حد بعيد يعجزهم عن السلوك المحتشم اللائق في الحياة من دون أن يفقدوا القدرة على التحدث أو التفكير في أي موضوع يعرض لهم^(٣) » .

وفي سنة ١٨٨٨ ظهر لفظ السيكوباتية للمرة الاولى ، اذ أطلق كوخ Koch الألماني كلمة « النقص السيكوباتي » و « الشخصية السيكوباتية » على الجنون الخلفي والبله الخلفي^(٤) ، وتبعه ماير Mayer في امريكا فأطلق على السلوك السيكوباتي « النقص الجلي

(١) في القرن التاسع عشر .

(٢) راجع ص ٣٦ (هامش رقم ٣) .

(٣) راجع صبرى جرجس ، الجريمة السيكوباتية بين الطب العقلي والقانون ، مجلة علم النفس ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ص ١٦٤-١٦٦ .

(٤) صبرى جرجس ، مشكلة السلوك السيكوباتي ، المصدر نفسه ،

ص ٢ - ٥ وهندرسون ، المصدر نفسه ، ص ١٠٧-١٠٨ . راجع أيضاً Koch, Die Psychopathischen Mindwergkeiten, 1891. و Stelzner, Die Psychopathische Konstitutionen und Ihre Sociologische Bedeutung, 1910.

النفسى *Psychic Constitutional Inferiority* « أو النقص الجلي *Constitutional Inferiority* ^(١).

ويميل اليوم فريق من العلماء الذين درسوا المشكلة السيكوباتية أمثال هندرسون وكلاركلي وكاربمان وصبري جرجس لاعتبارها ضرباً من الجنون ^(٢) (الانفعالي) لا يقل أثراً في الحث على السلوك اللا اجتماعي أو الانحراف الخلقي والفتك بالشخصية من أنواع الجنون الأخرى. ذلك أن السيكوباتي وإن بدا في ظاهره عادياً أو متفوقاً في ذكائه، منطقياً في حديثه، سليماً في شكله ومظهره إلا أنه في الحقيقة شخص شاذ في انفعالاته، غير سوي في خلقه، دأبه منذ طفولته أو حداثة أشباع شهواته، وهمه تحقيق نزعاته ورغباته، لا يقوى على الامتناع عن الشر رغم معرفته به، ولا الاقلاع عن فعل الأذى رغم ادراكه فسادته، وله في الحياة أمثلة معينة تقوم على أساس من اللذة دون حساب للنتائج أو اكتران بالتكاليف والعواقب، واسلوب خاص يعتمد على نشوة اللحظة الحاضرة، مقطوع الصلة بما كان، معدوم الارتباط بما سوف يكون. وهو - بعد هذا - لا تفيده الحوادث

(١) هندرسون، المصدر نفسه، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) صبري جرجس، مشكلة السلوك السيكوباتي، ص ٢٥٠.

وصبري جرجس، الجريمة السيكوباتية، المصدر نفسه، ص ١٦٤ - ١٦٦.
- الجنون في نظر هؤلاء العلماء هو العجز كلياً عن ضبط السلوك وعدم القدرة على الاختيار بين الخطأ والصواب مهما اختلفت العوامل والأسباب التي أدت إليه.

والتجارب ، ولا تؤثر عليه الصدمات والنكبات ، ويرى نفسه في النهاية عاجزاً عن مجازاة الأسوياء وتكييف نفسه مع ضرورات الحياة وأحوال البيئة ومطالب الجماعة ، ولا تجدي معه وسائل الردع أو العقاب . فهو اذن - والحالة هذه - مريض الأخلاق (لاشربراً) في حاجة أكيدة إلى من يراقبه ويشرف عليه ، حماية له من خطر نفسه ، ووقاية للآخرين من اعوجاجه وأذاه^(١) ، وينبغي ارساله للمصحات الخاصة بالشواذ قصد المعالجة والاصلاح^(٢) .

اسباب السيكوباتية :

أما أسباب الحالة السيكوباتية فما زالت غامضة مختلفا عليها . فقريق يزو عليها للجيلة القطرية أو الوراثية ، وبعضهم يسند لها للبيئة ، ولكل أنصاره وحججه . غير أن الراجح - في اعتقادنا - أنها ناشئة كغيرها من حالات الشذوذ أو الاجرام من اتحاد عاملي الوراثية والبيئة كما فصلنا ذلك من قبل^(٣) .

ومهما تكن العوامل والأسباب المؤدية للسيكوباتية فمن الواجب بذل أقصى جهد مستطاع في معالجة المصاب واصلاحه بمختلف الوسائل وان بدت حالته صعبة أو ميثوسا منها . فقد ثبت امكان النجاح والشفاء

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥٠-٢٥٦ .

(٢) برت ، المصدر نفسه ، ص ٥٦٥-٥٩٦ .

(٣) راجع صفحة ٤٤ - ٤٦ . راجع محمد عبدالحكيم ، التشخيص المقارن للحالات السيكوباتية ، مجلة علم النفس ، المجلد الرابع ، العدد الثالث ، ص ٣٢١ - ٣٢٧ . وهندرسون ، المصدر نفسه ، ص ١١٩ .

في كثير من الحالات التي خيل للباحثين في بداية الأمر أنها بالغة الخطورة لا أمل فيها ، ولا فائدة ترجى من علاجها^(١).

مثال على السيكوباتية :

ومن الأمثلة على السيكوباتية الحالة التالية التي ذكرها الدكتور صبري جرجس في كتابه القيم « مشكلة السلوك السيكوباتي » . وهي قضية شاب في الرابعة والعشرين من عمره أنهم بارتكاب طائفة من المخالفات الخلقية والقانونية ، نشأ في اسرة محترمة ذات سمعة حميدة ومركز مادي حسن . وقد بدأ شذوذه الخلقي في الظهور منذ طفولته المبكرة اذ كان عنيدا مخادعا كذوبا مشاكسا ، كثير الأخطاء ، لا يؤثر فيه عقاب ولا يفيده توجيه أو ارشاد . ولما أدخل الى المدرسة لم يستطع التقدم فيها لا لقصور ذكائه بل لكسله وإهماله وعدم اهتمامه بالنجاح وقلة اكرانه بالفشل . وكان متلافا لا يقي على كنبه ، عاملا على الدس والمداخلة فيما لايعنيه من أمور غيره . أما المراهقة فقد ابتدأت عنده بين سن الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره فأخذ يفرط في الاستمناة افراطا كبيرا وقلما كان يستطيع الامتناع عنه يوما واحدا حتى في الفترات التي وجدت له فيها علاقات جنسية مع نساء عديدات . وهو اذا ما شعر برغبه في القيام بأي عمل اتجه فورا الى تحقيقه وتنفيذه ، وقد يعود اليه مرة اخرى بعد ذلك بلحظات قليلة اذا أحس بما يدفعه لمعاودته وتكراره ، ولو كان يدرك فساده وضرره . كما أخذ يكثر الهرب من المدرسة ، والاتصال بمحترفات

الدعارة والخادومات وعبارات السبيل وأعمال النصب والاحتيال واختلاس الاموال لاتفاقها في الملمات وأحياء البغاء .

ولما أتم دراسته الثانوية بعد رسوب عدة سنوات وجد له عملا ، لكن ذلك لم يمنعه من متابعة حياة التبذل والشذوذ والاستهتار ومعاشرة الأشرار ، مما أدى الى فصله وطرده فلم يؤثر ذلك فيه وقد قابله بالضحك وعدم المبالاة . وأخذ يمشي فيما بعد حياة ملاءى بالتهتك والاحمول والفضول والاجرام ، وقبض عليه اخيرا بتهمة انتحال شخصية موظف عمومي ادخل على اثرها الى مستشفى الامراض العقلية بالقاهرة . وثبت من فحصه ودراسة مشكلته ان جميع مخالفاته ونواحي شذوذه قد ارتكبت عفوا لحظتها من غير تدبير سابق او تفكير ، لم يقو على كفها ومنعها ، ولم تبد عليه في المستشفى أية امارات تدل على الندامة أو الأسف على ما حل به ^(١) .

السيكوباتية والجريمة :

السلوك السيكوباتي وثيق الصلة بالاجرام . فكما تحمل السيكوباتية في ثناياها بذور الجريمة بما تنطوي عليه من ميول عدوانية ونزعات عنيفة وعجز عن تحقيق التوافق بين رغبات المرء وبين مقتضيات الحياة وضرورات الواقع فكذلك الجريمة ، من الناحية الاخرى ، ليست سوى ثمرة من ثمرات السيكوباتية الحادة ، ومظهر من مظاهرها وعرض من أعراضها . بيد انه لا يشترط ان يصبح كل سيكوباتي مجرما حتما ، ومن الجائز

(١) صبرى جرجس ، مشكلة السلوك السيكوباتي ، ص ٥٩-٦٨ .

ب) تبقى مشكلة السلوك السيكوباتي في المصاب ظاهرة مستقلة بنفسها تحمله على القيام بأعمال وحركات طفلية فجأة لا تبلغ حد الاجرام ، كالغناد والمشاكسة والكذب واللهو والتبذير والانهماك في المسرات والملذات واهمال الواجبات وغيرها . كما يجوز أن تتحول فيه إلى مرض نفسي بأنواعه المختلفة أو إلى أحد أشكال الذهان .

وأصدق مثال بين الجرائم على الحالة السيكوباتية الانتحار . فالانتحار تعبير واضح عن الروح الانهزامية الخبيثة في المريض ، وفشله في مواجهة مشاكل الحياة بشجاعة كالأسوياء ، وعدم قدرته على الاندماج في المجتمع والتعامل الناجح في البيئة وتكييف الأحوال حسب ميوله ورغباته ، أو تكييف نفسه وفق مطالب الظروف ولوازم الأحوال . ولولا السيكوباتية وما تسببه من عجز فعلي في مجابهة الصعوبات والصدمات والمتاعب ، وما تحدثه في المصاب من إسراف في عدم تقدير اعتبار الذات وصالح الجماعة ، وامعان في الأفعال اللااجتماعية دون مبالاة بالعواقب فإن من المحتمل أن يستطيع المصاب إيجاد حلول سليمة لمشاكله دون التجاء لهذه الوسيلة الفاشلة من وسائل الحل والعلاج .

هذا ولا يميز المريض بالسيكوباتية عن ارتكاب سائر أصناف الجرائم الأخرى ، فاستعداده للاجرام عام شامل لا ينحصر في جريمة دون غيرها . فهو قد يقدم على السرقة والاعتداء والنصب والاحتيال والقتل وسواها . غير أن نسبة القتل قليلة عنده إذا قورنت بغيرها من

الأفعال غير القانونية التي يقرها ، ولم يجد هندرسون بين ٤٩ مجرماً قام بفحص حالاتهم النفسية والعقلية سوى أربعة أشخاص فقط من السيكو باتين أما الباقون فكانوا من الأصحاء أو قاصري العقول أو المجانين^(١).

وفيما يتعلق بالجرائم الجنسية فهي كثيرة الشيوع بين السيكو باتين وأغلب ظواهرها عشق الجنس المشابه واغراء الأولاد والبنات الصغيرات ، والمرض ، والفسق في الحيوان^(٢).

الباب الخامس

اعتلال الجسم

وعيوبه

صلة النفس بالجسم :

الانسان كائن واحد مؤلف من عنصرين : نفس وجسم .
وهذان العنصران مرتبطان ببعضهما ، متحدان معاً اتحاداً تاماً ، يؤثر
كل منهما في الآخر تأثيراً فعالاً ، ويشتركان سوية في كل ما يقوم به
الفرد من مظاهر الحركة والنشاط والسلوك .

وفي الواقع فإن الجسم هو مسرح العقل^(١) ، يمثل فيه العقل معظم
فصوله وأدواره ، وتبدو فيه مختلف حالاته ومشاهدته . كما تتأثر النفس ،
من ناحيتها هي الأخرى ، بما يعتور الجسم من عوامل الصحة أو
الاعتلال والشذوذ .

فإذا أحس الانسان باتعمال الخوف الشديد مثلاً بدت بوادر
ذلك عليه وعمد أحياناً إلى الهرب . وإذا شعر بماطفة حب قوية لبلاده
انصرف بكليته إلى خدمتها والتفاني في العمل على رفع شأنها والتضحية
في سبيلها . وان تكونت عنده عقدة نفسية - كمقدرة النقص أو القصور -

(١) النفس والعقل في هذا الباب بمعنى واحد ، كل منهما يعني الإدراك
والانفعال والنزوع ، ويشمل الشعور واللاشعور ، والهوى والأنا والآنا
الأعلى .

تأثرت شخصيته بها وانتهج له في الحياة سبيلا يتفق وطبيعته . وان هو
أصيب بمرض نفسي نتيجة الحرمان أو السكبت والصراع ظهرت فيه
أعراض الشلل أو الطرش أو العمى - كما يحصل في الهستيريا - أو الاعياء
وضعف الجسم واختلال الذاكرة المصاحبة للنوراستانيا ، أو ظواهر
خفقان القلب وسوء الهضم والصداع المرافقة للقلق النفسي . وان ابتلى
بالقصور الذهني أو بالذهان والسيكوباتية أصبح اما عاجزاً عن المشي
والكلام والعناية بأمر نفسه وإدارة شؤونه وقضاء حاجاته ، أو اختل
تفكيره واختلط فهمه واضطرب سلوكه وساءت علاقاته في المجتمع
وتداعت شخصيته ، واندفع أحيانا لاقتراف الجرائم لا سيما أفعال
التخريب والقتل والاعتداء والانتحار .

كذلك فان للخصائص الجسمية آثاراً هامة في النفس والسلوك .
فالإنسان المريض يختلف عادة في سلوكه عنه في حال صحته ، ومن
أصابته عاهة في البدن أو تشويه في الجسد أو شذوذ في الحلقة أو نقص
في التكوين أو ملابسات حادة في مراحل النمو أصبح عرضة للسلوك
الاجتماعي ، شأنه في ذلك شأن من أصابته علل انفعالية أو خلقية أو
ذهنية ، سواء بسواء .

لهذا فانه يجب اعتبار الفرد وحدة كلية ، لا مجموعة من النفس
والجسم يمكن تحليلها وتجزئتها . كما يجب اعتبار جميع الظواهر النفسية
والجسمية صادرة في حقيقتها عن الكائن ككل واحد ، لا عن النفس

وحدها أو الجسم وحده^(١) .

الطب النفسى الجسمى (السيكوسوماتى) :

واستناداً الى هذه الحقيقة التي تعتمد على أن الناحية النفسية والناحية العضوية^(٢) هما العنصران الأوليان اللذان يتركب منهما الكائن الحي ، وتتألف من اقترانهما وارتباطهما وحدته الكاملة ، وتتوقف على طبيعة صلتها ببعضهما توافقه في البيئة وصحته أو شذوذه واعتلاله فقد نشأ في السنوات الأخيرة الطب النفسى الجسمى Psychosomatic Medicine وموضوعه دراسة العلاقات والصلات المتبادلة بين الأوجه النفسية Psychogenic والأوجه الفسيولوجية Physiogenic لـجميع الوظائف البدنية ، خصوصاً في حالة المرض ، حتى يمكن جمع العلاج العضوي والعلاج النفسى في سلك واحد .

(١) ومما ساعد على انتشار هذه النظرية الكلية للكائن - وتعرف في علم النفس بنظرية الهيئة الكاملة (الجشتلطة Gestalt) - البحوث التي قام بها كثير من العلماء في الاسس البيولوجية للسلوك وخاصة Coghill وشايلد Child . ولقد قال كوجهل « ان الدراسات العلمية تقودنا حتما الى فكرة أن الكائن هو وحدة في أساسه لا مجموعة (راجع مصطفى زيور ، الطب النفسى الجسمى ، مجلة علم النفس ، المجلد الاول ، العدد الاول ، ص ٢٢-٢٣) » وراجع أيضاً موكسلى ، المذاهب المتباينة في علم النفس الحديث ، مباحث في علم النفس الحديث ، ترجمة حسن أحمد السلطان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ١٥ - ٥٣ .

(٢) كلمة العضوية ، والجسمية ، والبدنية ، تستعمل بمعنى واحد .

فلقد ثبت حديثاً أن العوامل النفسية لا يقتصر مفعولها على توجيه سلوك الفرد وتعيين سبل نشاطه وأسلوب حياته فحسب بل إنها قد تؤثر أحياناً كثيرة في صحته وسلامة جسمه ، لاسيما إحداث الأمراض العضوية المزمنة^(١) كفققر الدم والروماتزم والتهاب غشاء المعدة وقرحة المعدة^(٢) وارتفاع ضغط الدم الجوهرى Essential Hypertension وتضخم القلب والبواسير وغيرها ، ذلك ان لاضطراب الحياة الانفعالية في الانسان أثر في التغيرات الفسيولوجية كأثر البكتريا والتوكسينات . ولقد قام كانن Cannon بدراسة هذه التغيرات الملائمة لأنواع الانفعالات المختلفة كالخوف والغضب والتهيج الجنسي والحزن ، وظهر له أنها تسبب دائماً توتر العضلات ، واضطراب الغدد ، واختلال جهاز التنفس والجهاز الدوري ، وتحدث خللاً او اضطراباً في وظائف الاعضاء^(٣).

هذا وينكر الطب السيكوسوماتي أن يكون المرض جسمياً بحتاً أو نفسياً بحتاً . وهو لا يحاول معرفة ما اذا كانت عوامله عضوية صرفة أو

(١) أى الامراض السيكوسوماتية .

(٢) منذ نحو عشرين سنة أعلن هارفى كاشنج Harvey Cushing مؤسس جراحة المخ ، وشارلس مايو Charles Mayo من كبار جراحى أميركا أن قرحة المعدة تنشأ من التوترات الانفعالية أى من أسباب نفسية . ويحصل تضخم القلب من ارتفاع ضغط الدم بشكل مستمر ، والبواسير من الامساك المزمن نتيجة الاضطرابات الانفعالية . - مصطفى زيور ، المصدر نفسه ، ص ٢٤ - ٢٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣١ - ٣٢ .

نفسية ، بل ان ما يبنى الوصول اليه هو التحقق الى أي حد تعتبر
العلل جسمية ، وإلى أي حد هي نفسية^(١) . وهو يعنى والحالة هذه
بدراسة الأعراض المرضية جميعا العضوية والعقلية ، وادماجها في اطار
واحد هو اطار شخصية المريض ووحدته الأصلية^(٢) .

العالم النفسى والعوامل الجسمية :

كما يحاول الطبيب فهم الأسباب النفسية للأمراض العضوية
فكذلك من واجب العالم النفسى أن يتحرى بدوره عن العوامل الصحية
أو الجسمية في حالات اضطراب السلوك واختلال الحياة الاتقالية^(٣)
والاقدام على الجريمة . واندراسة هذه العوامل لتساعده ولا شك كثيرا
في معرفة عوامل الزيف والخطأ ، ودوافع الشر والفساد . وبدون ذلك فان
أبحاثه كلها تظل ناقصة غير وافية بالغرض ويصعب عليه تشخيص العلة
أو النجاح في وصف العلاج^(٤) .

(١) ذلك لانه من الصعب فى بعض القضايا الفردية أن نقرر بجزم ما اذا
كانت الحالة الجسدية وحدها ، أو الحالة النفسية وحدها هي سبب حدوث
المرض . بيد أننا نرجو أن يساعدنا تقدم العلوم النفسية - الطبية فى
المستقبل على تحقيق ذلك . راجع Norwood East, Physical
Conditions And Criminal Behaviour, (Mental Abnormality
And Crime), op cit , p. 159-160.

(٢) مصطفى زيور ، المصدر نفسه ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٣) مع هذا فان علاج الاجرام عن طريق العلاج العضوى Organo-
Therapy ، أو العلاج الغدى Hormono-Therapy لا يمكن الانتجا
اليه الا في حالات قليلة . فالتقدم فى هذا الميدان ما يزال بطيئا . (راجع
أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٤) .

وأهم ما تجب ملاحظته وفحصه في هـ - هذا الصدد آثار الأمراض
والعاهات والعيوب الجسدية - إن وجدت - وحالة الغدد والتكوين
الطبيعي Physical Constitution وملابس المراهقة . وسنبين أهمية
كل حالة منها وآثارها في السلوك الجنائي في الفصول الآتية ببعض
الابحـاز .

الفصل الاول الامراض والعاهات

للأحوال الجسمية كما قلنا تأثير بالغ الأهمية في السلوك ، ذلك أن تقيد الفرد بالنظام الاجتماعي واحترامه للعرف والقانون ومحافظة على اعتبار ذاته وصالح الجماعة رهن بدوام صحته وسلامته من الأمراض والعاهات . فان كان عليل البدن ، أو مصابا بعاهة ، أو بدا عليه الهزال والضعف نتيجة سوء التغذية كان لذلك كله أثر مباشر أو غير مباشر في سلوكه وحركانه ونظرة الغير اليه ومعاملتهم له .

ولقد رأينا من قبل ما تسببه الأمراض العقلية العضوية من تعطيل الذاكرة ، وضعف الذهن ، وعدم القدرة على التفكير والتركيز ، وسرعة الانفعال ، وفقدان الزواجر الخلقية ، والوقوع في الشذوذ والاجرام^(١) . كذلك فان الأمراض الاخرى التي تنتاب الفرد والعاهات التي تلازمه قد تسوقه بصورة غير مباشرة لارتكاب الجريمة . اذ هي تعوقه عن اتباع سبيل قويم في العيش ونحط من قدرته على النجاح في تحصيل القوت ، وتحول دون بلوغه مرتبة راقية في الحياة ، أو تمنعه من مواصلة دراسته وتخلق في نفسه كره التعليم والتحصيل وتدفعه للهرب من المدرسة والتشرد^(٢) .

(١) راجع صفحة ٢٥٢ - ٢٧٠ .

(٢) أحمد عزت راجع ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٤ - ٢٣٦ . وجيلين ، المصدر نفسه ، ص ٦٩ - ٧٠ .

ويرى أدلر أن الأمراض والعاهات الجسمية تفرس في المرء ،
 لا سيما الطفل ، الشعور بالنقص أو القصور . وكل فرد سقيم أو هزيل ،
 أحسب أو أعرج ، قصير البصر أو ثقیل السمع عليه أن يدفع — في
 الغالب — ثمن عيبه مرتين . فان عيبه يجعله دون غيره صحة وعافية
 وسلامة حواس ، كما يجعله هدفا لنفور الآخرين منه ، وحرمانه من
 الأعمال والوظائف ، عدا ما قد يجره عليه ذلك من ألقاب السخرية التي
 تصاحبه طول حياته وما يسببه له من انحراف في الشخصية وكره
 للمجتمع السوي الراقي وميل للاندماج في جماعات فاسدة الخلق سيئة
 الطباع ^(١) . وما ظواهر الثورة والعنف ، وأعراض الملل العصبية
 والنفسية وحالات الشذوذ الخلقي وسوء السلوك ، وحوادث الجريمة
 والانتحار — في نظر أدلر — سوى نتيجة الشعور بالقصور والدونية
 الذي يعتبر المرض من جملة عوامله وأسبابه ^(٢) .

ولقد صرح الدكتور كريستيان Christian أنه فحص ٨٠٠٠ مجرم
 في إحدى إصلاحيات نيويورك وظهر له أن ٢٥ ٪ منهم مصابون
 بأمراض وعاهات مختلفة في الرأس والنظر والسمع والأسنان ، وأن
 ٢٨ ٪ منهم مرضى بالسل ، و ٤٣ ٪ يعانون من إصابات زهرية
 Venereal Diseases ^(٣) ، وأن التغذية تنقص ٤٢ ٪ منهم وقد سببت

(١) المصدر السابق ، ٦٩ - ٧٠ .

(٢) Alfred Adler, What Life Should Mean To You

N.Y., 1934, p. 26

(٣) نورود ايست، المجرم المراهق ، المصدر نفسه ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

لهؤلاء هزلا شديدا ، بينما لم تزد نسبة نقصان التغذية عن ١٩ ٪ بين غير المجرمين ^(١).

كذلك فان نورود ايسست قد أيد في دراسته لمشاكل المجرمين المراهقين في انكثرت الأثر الخطير الذي تحدثه العلل الجسمية في السلوك وقد ظهرت له الحقائق التالية :

١- إن ١٢,٥ ٪ من مجموع الشبان الذين خصهم قد تميزوا بنظر رديء bad أو معيب Impaired ، وإن نسبة هذا العيب قد بدت في القتيان في سن التاسعة عشرة والعشرين - لا سيما المتهمين منهم بالجرائم الجنسية - أعلى مما هي عند أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والثامنة عشرة ، كما بدت هذه النسبة أكثر ارتفاعا عند المجرمين العائدين (المكررين) عما هي عند المجرمين المبتدئين ^(٢).

٢- إن ٤ ٪ فقط من المراهقين مصابون بسمع رديء أو معتل ، وكانت نسبة هذا العيب زائدة بين من بلغوا التاسعة عشرة أو العشرين عما هي عند من لم تتجاوز أعمارهم السادسة عشرة أو السابعة عشرة أو الثامنة عشرة . ولم يلاحظ نورود ايسست أي ارتباط بين السمع الضعيف أو الميب ونوع الجرائم أو عددها ^(٣).

(١) جيلين ، المصدر نفسه ، ص ٧١ .
(٢) نورود ايسست ، الحالات الجسمية والسلوك الجنائي ، المصدر نفسه ، ص ١٥٢ ، والمجرم المراهق ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

٣- إن ٥٪ من القضايا تتميز أصحابها بعلامات ظاهرة ، و ٢٪ منهم مصابون « بالفتاق » Hernia و ٣٪ مصابون بالروماتزم ، و ٣٥٪ مصابون بالسل ، و ٢٦٪ مصابون بالتهقمية Gonorrhea ولا يوجد أي ارتباط بين التشويه ، أو الفتاق ، أو الروماتزم ، أو السل ، أو التهقمية وبين نوع الجريمة وتعدادها^(١).

ومن الحالات الشائعة بين الجانحين الأحداث ضعف القلب . وهذا الضعف يمنعهم من الحركة واللعب ، ويدفعهم إلى محاولة التعويض عن هذا القصور بأعمال لاجتماعية تعيد لهم أمام رفاههم اعتبارهم المهتد بالضياع . فكل فرد ، صغيراً كان أو كبيراً ، يطمح أبداً لتغطية نقائصه وعيوبه ، وأن يثبت له وجوداً في هذا العالم وقد شرحنا ذلك تفصيلاً من قبل في بحثنا « غريزة اثبات الذات » فلا حاجة لتكراره هنا مرة أخرى^(٢).

وأخيراً فإن جوردون وهيلي يؤكدان بأن جناح الأحداث ، وعلى الأخص التشرد والسرقة ، إنما يرجع إلى مرض الزهري الولادي Syphilis^(٣) . كما ثبت لبرت أن معظم المجرمين العائدين ليسوا أصحاء

(١) غير أن نسبة الفتاق قد ظهرت له في سن ١٩ و ٢٠ ضعفها في سن ال ١٦ ، والتهقمية في سن ال ٢٠ أربعة أضعافها منها في سن ال ١٦ وال ١٧ - المصدر السابق ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) راجع صفحة ٨٤ - ٨٨ .

(٣) القوصي ، المصدر نفسه ، ص ٥٨ . أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ .

الجسم ، بل هم ضعاف مرضى مشوهو الحلقة . وقد ظهر له أن ٧٠ ٪ منهم قد كانوا ضحية أمراض جنسية مختلفة ، و ٥٠ ٪ وجدوا في حاجة ماسة لمعالجة طبية سريعة ، و ١٧ ٪ من جرائمهم قد نشأت بصورة رئيسية عن أسباب مرضية^(١) .

غير أن ما تجدر الإشارة إليه أن الأمراض والعاهاات وغيرها من العيوب الجسدية لا تقوم بدورها في إحداث الجريمة بصورة مباشرة بل بما تحدثه في نفس المصاب من شعور بالنقص ، وحس بالظلم والحرمان ، وميل للنقمة من المجتمع . وهي تكون مصحوبة عادة بنفس أو شخصية ليس في مقدورها القيام بتعويض موفق ناجح عن هذه العيوب^(٢) . وإذا ما اقترنت الأمراض الجسمية بقصور ذهني أو تأخر علمي فإن الشخص يعاني عندئذ نقصاً مزدوجاً في الجسم والعقل إذا قيس بالأفراد أصحاء الجسم سليمي العقول . ويكون أثر ذلك عظيم الخطورة في تعريضه للجريمة والأعمال المنافية لقواعد الحياة الاجتماعية وآدابها .

(١) بورت ، المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٢) جيلين ، المصدر نفسه ، ص ٦٩ - ٧٠ . إن الدور الذي يلعبه الشعور بالفشل والقصور في أحداث الجريمة كبير ، لهذا فإن الحاجة تدعو لكل ما يزيد في شعور الشخص باحترام نفسه واعتبار ذاته وتكامل شخصيته .

الفصل الثاني شذوذ الجسم

Abnormal physical Constitution

الخلفة غير الطبيعية :

نظرية لمبروزو : لقد اعتقد لمبروزو منذ سنة ١٨٧٦ بأن المجرمين يؤلفون طبقة خاصة من الناس تتميز عن الأسوياء بصفات ووسمات بدنية معينة تعرف بـ « وسمات الانحلال » Stigmata of Degeneration ، وان هذه العيوب فيهم هي مصدر سلوكهم الشاذ وخروجهم عن جادة الصواب . وهؤلاء في نظره يمثلون ارتداد الفرد الى أدوار الوحشية البدائية ، لم يشملهم التطور البشري كما شمل الأفراد الآخرين وأهم أخط من غيرهم عقلاً وخلعاً ومظهراً . وهو قد لاحظ أكبر عدد من هذه الوسمات فيمن سماه بالمجرم المطبوع أو المجرم بالولادة (١) Born Criminal .

ويقول لمبروزو أن المجرم بالولادة يتميز بشذوذ في الجمعية ، فهي أكبر من المتوسط أو أصغر منه ، غير متماثلة الشقين مشوهة ، تعترضها

(١) أما اذا كان الاجرام نتيجة عامل بيئي فانه لا يشاهد في المجرم من الوسمات والعيوب أكثر مما هو موجود عند بقية الناس من غير المجرمين . وجدير بالملاحظة أن لمبروزو لم يذهب الى أن هذه الوسمات هي أسباب الجريمة بل هي أعراض للارتداد الوراثي لادوار الوحشية البدائية أو الجنون .

تنوءات وأغوار وأخاديد غير عادية . كما يمتاز ببروز عظام الخدين ،
وأهداب ثقيلة فوق العينين ، وجهية منخفضة مترجمة ضيقة ، وبروز
الفكين وعدم استوائها ، وكبر الأنف وتنوئه وانحنائه الى اليمين أو
اليسار ، وعدم انتظام الأسنان وظهورها كأسنان آكلي اللحوم ، وأذرع
طويلة كأذرع الغوريلا ، وسـيـقان وأصابع شبيهة بما عند القرد ،
وانشقاق الشفتين ، وارتفاع سقف الحلق ، ووجود خصائص الأنوثة
الثنائية في الرجال ، وخصائص الرجولة في الاناث^(١) .

ولقد أخذت هذه النظرية شهرة كبيرة في أواخر القرن الماضي
وكانت القاعدة الأساسية للمدرسة الإيطالية في علم الاجرام التي ذهبت
الى ضرورة العناية في بحث حالة المجرم وشخصيته وعدم الاكتصار على
بحث وقائع الجريمة وحدها . لكنها لم تلبث أن فقدت مكانتها وأهميتها
نتيجة الدراسات الحديثة التي قام بها علماء ثقات أمثال جورج وهيلي
وبرت وغيرهم .

دراسات جورج وأعمل أشد نقد وجه الى نظرية لبروزو في المجرم
المطبوع هو ما قام به جورج . فقد استنتج هذا العالم من فحص ٣٠٠٠
سجين انكليزي أن الاجرام ليس كالحالات المرضية يمكن تشخيصه
من وجود علامات ظاهرة أو أعراض بارزة ، وأن المجرمين لا ينفردون

(١) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٥٩ - ٦١ .

من دون سائر الناس بأية إمارات عقلية أو جسمية خاصة^(١)، فضلا عن عدم وجود أية خصائص عامة فيهم جميعاً. وهذه الاستنتاجات تنفي وجود المجرمين بالفطرة أي بالولادة كما تنفي أن يكون هنالك نموذج خاص للمجرمين يميزهم عن غير المجرمين، أو قيام أية علاقة مباشرة بين الشذوذ الجسمي ومخالفة القانون.

يبد أن جورنج - في الوقت نفسه - لا ينكر وجود ظواهر معينة غير عادية في كثير من نزلاء السجون كشذوذ القامة ونقص الوزن وصغر الجمجمة أو كبرها. ولكن هذه الظواهر ليست خاصة بهم وحدهم بل هي تشاهد أيضا في الأسوياء والأشخاص العاديين، وتكون مصحوبة عادة في المجرمين بحالات أخرى تؤثر على السلوك كالفصور العقلي أو الجنون^(٢). فالسارقون والشارقون وقطاع الطرق (وهم يشكلون نحو ٩٠٪ من مجموع المجرمين) يبدون أحط نفسا وجسما من بقية الناس، بل ومن سائر المجرمين^(٣). أما المتهمون بجرائم العنف ضد الأشخاص فقد ثبت أنهم أوفر صحة وأشد بنية وأقوى ساعداً من غير المجرمين^(٤).

(١) ويقول جورنج بأن المجرم وغير المجرم اللذين هما من سن واحدة وقد واحد وطبيعة واحدة وذكاء واحد سواء في التكوين العقلي والجسمي. ومن ذلك فهو يستنتج بأن لا علاقة بين الشذوذ الجسمي والجريمة.

(٢) جيلين، المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٠ - ٧١.

(٤) المصدر السابق، ص ٧١ - ٧٣. أحمد عزت راجح، المصدر

نفسه، ص ٢٥٠. (٥) جيلين، المصدر نفسه، ص ٦٨.

ويفسر جورنج آثار العيوب الجسدية في الخارجين على النظم وأحكام القانون بغير ما فسر لها به لمبروزو . فهذه الحالات في رأي العالم الانكليزي ليست عوامل رئيسية تدفع بصاحبها حتماً إلى الجريمة ، بل هي - كما قال أدلر - عوامل مساعدة لا تحت على الاجرام إلا اذا كان لها رد فعل سيء في نفس المصاب كالشعور بالصور والحرمان والثورة على المجتمع ، أو كانت سبباً لعجزه عن إيجاد عمل يعتاش منه ، أو حائلاً دون ارتقائه في حرفته أو مهنته ، أو عاملاً من عوامل فشله في الحياة الاجتماعية . وبهذا فانه لا يشترط أن يصبح كل شاذ في الجسم ، وفقاً لرأي جورنج ، مجرماً بل ان انحرافه نحو الجريمة انما يتوقف على حالته النفسية ، ووضعه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، واسلوبه وفلسفته في الحياة ، بدليل أن كثيراً من هؤلاء الشواذ قد حافظوا دائماً على أرقى مثال من الخلق الطيب والسلوك الحميد .

وجاءت دراسات روك سليستر Dr. Rock Sleyster الأمريكي التي قام بها في سيجون وسكنسن Wisconsin State مؤيدة لبحوث جورنج ، فهو قد تحقق أن المجرمين الذين فخصهم بخصائص غريبة تشاهد بين بعض الاسوياء ، وان المجرم في وسكنسن أقصر طولاً عن الأمريكي المتوسط الذي في نفس عمره من غير المجرمين بنحو انشين ونصف . ولكن ذلك لا يكون وحده دافعاً للاجرام - كما قلنا - الا اذا اقترن باضطراب الحياة الاتقالية أو بانحراف خلقي أو شذوذ عقلي^(١) .

(١) جيلين ، المصدر نفسه ، ص ٧٠ - ٧١ .

النمو الجسماني الشاذ

تصنيف كريتشمر : يذهب كريتشمر Kretshmer إلى أن الناس من جهة بنائهم الجسمي Physical Constitution أصناف عدة أهمها ثلاثة هي : أصحاب البنية الضعيفة Asthenic ، وأصحاب البنية الرياضية Athletic ، وأصحاب البنية المترهلة Pyknic . أما أفراد الصنف الأول (أصحاب البنية الضعيفة) فهزيلة أجسامهم ، معتدلة قاماتهم ، ضيقة أكتافهم ، ضعيفة عضلاتهم . ويمتاز أفراد الصنف الثاني (أصحاب البنية الرياضية) بحسن تكوين بنيتهم ، واعتدال قاماتهم أو طولها ، وقوة سواعدهم . ويتصف أفراد الصنف الثالث (أصحاب البنية المترهلة) بقصر القامة أو اعتدالها ، وضخامة الأعضاء ، وبروز الجوف البطني ، والسمن . ولقد استنتج كريتشمر من دراسته حالات المصابين بالأمراض العقلية الوظيفية (الذهان) بأن هنالك ارتباطا بين البنية المترهلة والاصابة بالذهان الدوري ، وصلة بين البنية الضعيفة والرياضية والاصابة بالفصام^(١) .

دراسات نورود إيست : في الفترة الواقعة بين ١٩٣٠ - ١٩٣٦ قام عدد من الخبراء الانكليز برئاسة نورود إيست بدراسة بضعة ألوف من المجرمين المراهقين الذين بلغوا السادسة عشرة من عمرهم ولم يتجاوزوا العشرين . وقد دلت نتائج أبحاثهم على ما يأتي :

(١) موكسلي ، المصدر نفسه ، ص ١٢٤ . ولقد بينا من قبل تأثير الذهان في المصاب وعلاقته بالجريمة (راجع ص ٢١٨ - ٢٥١) .

١ - طول القامة Stature : لا يوجد أي ارتباط بين طول القامة وتكرار الجريمة . غير أن الفتيان المتهمين بجرائم اتلاف الأموال أو العنف أو الاعتداء على الأشخاص قد بدوا أطول من المتهمين بالجرائم الجنسية ومخالفة الأنظمة disciplines^(١) .

٢ - الوزن Weight : لا يوجد أي فرق يذكر في الوزن بين المجرمين الداخلين في حياة الاجرام للمرة الأولى واولئك الذين سجلت عليهم « أسبقية » واحدة . أما المجرمون أصحاب « السوابق » المتعددة فقد ثبت أنهم أثقل وزنا من المجرمين الناشئين الذين لا أسبقيات لهم بعد^(٢) . كما ظهر بأن متوسط ثقل الشباب المتهمين بجرائم اتلاف الأموال والعنف والاعتداء على الأشخاص أعلى نسبة مما هو عند المتهمين بالجرائم الجنسية ومخالفة النظام ، ولا سيما بين الفتيان في سن السادسة عشرة والسابعة عشره . مع ذلك فإن نورود ليست يؤكد بأنه لا توجد بينة قاطعة على قيام أي ارتباط بين الميول الجنائية والوزن^(٣) . أما جورنج فيخالف هذا الرأي ويصرح بأن جميع المجرمين (عدا المحكومين

(١) N. East, Physical Factors and Criminal Behaviour, Mental Abnormality and Crime, op. cit. p. 150-152.

ونورود ليست المجرم المراهق ، ص ٢٠٢ . - ووجد سلاوسون Slawson ان المجرمين أطول من الاولاد العاديين الذين هم من نفس أعمارهم ومستواهم الاجتماعي .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(٣) نورود ليست، المجرم المراهق، ص ٢٠٢ .

منهم بالاحتيال (Fraud) مختلفون تماماً في طول القامة ووزن الجسم عن معدل مجموع السكان ، وأن ٩٠٪ منهم يتميزون بقصر قاماتهم وخفة ثقلهم بالنسبة إلى متوسط الأفراد العاديين^(١) .

٣- اتساع الصدر Chest Girth : لقد ثبت أن المجرمين العائدين ذوي السوابق الكثيرة أوسع صدوراً من المجرمين المبتدئين حديثاً في سلك الاجرام . وقد ظهرت هذه الزيادة كبيرة على وجه الخصوص بين المجرمين الذين هم في سن السادسة عشرة^(٢) . ولم يقد دليل على وجود أي ارتباط بين حالة اتساع الصدر ونوع الجريمة سواء أكانت ضد الأموال والأشخاص أو جرائم جنسية ومخالفة النظام^(٣) .

دراسات هيلي وبرت : لقد وجد هيلي في دراسته ٨٢٣ مجرماً أن شذوذ البنية كان سبباً من أسباب الجريمة لدى ١٣٪ منهم . وفي دراسة أخرى قام بها بالاشتراك مع برونر لآلني حدث مكرر (عائد) في شيكاغو تبين له أن ٥٠ - ٦٤٪ من الأولاد ، و ٧٢ - ٧٣٪ من البنات قد تميزوا ببنية نامية نمواً زائداً عن الحد المتوسط للاحداث غير المجرمين^(٤) . ووجد برت أن في ١٢٪ من الأولاد و ٥٪ من البنات

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) نورود ايست ، الحالات الجسمية والسلوك الجنائي ، ص ١٥٠

- ١٥٢ -

(٣) نورود ايست ، المجرم المراهق ، ص ٢٠٣ .

(٤) جيلين ، المصدر نفسه ، ص ٧٣ - ٧٧ . ووجد نورود ايست أن البلوغ المبكر قد بدأ في نحو ٢٠ بالمائة من الشبان الذين هم في سن السادسة عشرة والسابعة عشرة ، و ٦ بالمائة فيمن بلغوا السابعة عشرة والثامنة عشرة ، و ٢ بالمائة فيمن بلغوا العشرين (نورود ايست ، المجرم المراهق ، ص ٢٠٣) .

كان النمو الجسماني الزائد أو النمو غير المتناسب Inadequate سبباً في حدوث الجريمة عندهم^(١). كذلك فقد ظهر أن النمو المتأخر أو القاصر كان هو الآخر في بعض الحالات من عوامل الزيف والخطأ والاجرام^(٢).

فالنمو الزائد في الطول أو الوزن في الأولاد يورثهم السخط والقلق والتبرم Restlessness والتمطش للحرية والهواء الطلق ويدفعهم ذلك إلى الهرب من المدرسة حين يجدون أنفسهم في الصفوف مع أشخاص ليسوا أصغر منهم سناً بل أقل «حجماً» وأدنى جسماً^(٣). أما النمو الناقص في الأولاد فيؤثر فيهم بما يحدثه في نفوسهم من حس بالفشل وعدم المساواة وشعور بالدونية والقصور. وإن كان مقترناً بصحة معتلة، أو عاهة دائمة، أو قصور عقلي، أو تأخر علمي، فإنه يصبح عندئذ فيهم عاملاً من عوامل السلوك المضاد للمجتمع وحافزاً من حوافز الأثم والجناح^(٤).

أما النضوج المبكر الزائد عن الحد الطبيعي في البنت فإنه يجعلها

(١) وبين هؤلاء كان الأولاد قصارا، أما البنات فكان ناميات كثيراً overgrown - نورود ايست، الحالات الجسمية والسلوك الجنائي، ص ١٥٣ - ١٥٤

(٢) نورود ايست، المجرم المراهق، ص ٢٠١. برت، المصدر نفسه، ص ٢١٠.

(٣) جيلين، المصدر نفسه، ص ٧٣ - ٧٧. ويقول برت أن أغلب الشكاوى التي تقدمت ضد من كانت أجسامهم زائدة النمو هي اتلاف الاموال والعنف والتمرد. - برت، المصدر نفسه، ص ٢١٦.

(٤) برت، المصدر نفسه، ص ٢١٠.

أكثر بروزاً بين رفيقاتها، وأعظم جاذبية في نظر أفراد الجنس الآخر ،
ويحول دون اختلاطها ببنات سنّها اللاتي لم يبلغن نمو أجسامهن درجتها ،
ويفرض عليها في الأغلب معاشرّة من هن في «حجمها» واكبر عمراً منها .
ولاشك في أن ذلك يقودها غالباً للاهتمام أو التأثر بالمسائل الجنسية ، في
وقت لا يزال عقلها نجماً لم يكتمل بعد ، عاجزاً عن إدراك أهمية هذه
المسائل وطبيعتها وتقدير آثارها وخطورتها .

ويشاهد في الحالات النموذجية لمثل هذا النمو الشاذ أن
الحجم Size ، والقوة Strength ، والشكل Figure ، والهيئة Form ،
والوظائف الجنسية ، والوعي الجنسي قد نضجت جميعها معا بصورة
مبكرة غير سوية Prematurely^(١) .

ولقد أكد هيلي بأن الجريمة الجنسية عند الفتاة امر يكتسب تلاحظ دائماً مقترنة بظواهر نموها الزائد ونضوجها المبكر وفقدان التوازن في الغالب بين جسمها وعقلها^(٢).

(۱) نورود ایست ، المجرم المراهق ، ص ۲۰۳ .

(٢) جيلين ، المصدر نفسه ، ص ٧٣ - ٧٧ . ملحق ، ص ٢٠٠ .

الفصل الثالث

طور المراهقة

Adolescence

من الأدوار الهامة التي يمر بها الفرد في حياته ونموه البيولوجي دور المراهقة أو الفتوة ، وهو يتميز بنضوج الفرائز الاجتماعية واستيقاظ الحاسة الجنسية ، ويمتد من البلوغ حتى الرشد أي من الرابعة عشرة إلى الرابعة والعشرين في الذكور ، والثانية عشرة إلى الحادية والعشرين في الإناث^(١) ، ويكون لما يعتور الجسم فيه من تطور وتغير أثر كبير في السلوك والعلاقات الاجتماعية .

ومن التغيرات الظاهرة التي تحصل عند الشخص في مرحلة المراهقة استطالة القامة ، ونمو الشعر على العارضين والشفة العليا وتضخم الصوت (عند البنين) ، وبروز الصدر (عند البنات) . أما التغيرات الخفية فيها فهي ما يطرأ على بعض الغدد كالصغترية (التي موسية) والصنوبرية من ضمور ، وما يصيب بعضها الآخر كالنخامية والتناسلية من نشاط^(٢) . كما تبدو في سن المراهقة علام التآخر في نمو الذكاء ، ثم توقف

(١) وقد يمتد دور المراهقة أحياناً من سن ١٣ - ٢٣ في الذكور ، وال ١١ - ٢٠ في الإناث . ويختلف ذلك عادة باختلاف بنية كل شخص وبيئته الاجتماعية وحالته المادية .

(٢) راجع الفصل الرابع من هذا الباب (صفحة ٣٠٤ - ٣١٣) .

نموه بالمرة . ويزداد فيها اضطراب المزاج ، وحدة الانفعالات ، وتقوى
الزغرات الداخلية لتحقيق اللذة الجنسية .

ويمتاز دور المراهقة بالروح الثائرة التي تتجلى فيه ، والأزمات
النفسية التي تلازمه ، ويتجاذب الشاب فيه عاملان متناقضان : أحدهما
يدفعه للانسجام والتوافق الاجتماعي بينما يميل الآخر به للتحرر من
كل قيد ونظام والنزوع للحرية المطلقة والاستقلال . وظهور هذين
العاملين أثناء فترة المراهقة أمر طبيعي يدل على سلامة الجسم وصحة
العقل ، ويعتبر من مظاهر الصراع النفسي سعيًا وراء ضبط النفس
وبلوغ التوازن الذاتي .

وغني عن البيان أنه يحيط بالفتى المراهق حالات نفسية خطيرة
شتى أهمها الغيرة والحسد والمغامرة والشك والتقلب ، وسرعة الغضب
وأحلام اليقظة والتفنن في ابتداع الخيالات وابتكار الصور والاسراف
في آمال الحب والمجد والسعادة في المستقبل^(١) .

والى هذه التغيرات والحالات المختلفة ، أو الكبت والصراع اللذين
يصاحبان الرغبات والزغرات الجنسية العنيفة المتحفزة أبدأً للظهور
والانطلاق ، يرجع كثير من الاضطرابات النفسية والمشاكل الاجتماعية

(١) وما ذلك سوى صورة من صور الاضطراب التناسلي ، وعدم
الموافقة بين سن نضوج الميول الجنسية وسن الزواج - أى سن الاستقلال
الاقتصادي - الذي يتيح الفرصة للشباب الجنسي بطريقة شرعية
سليمة .

التي يقع فيها المراهقون في هذا الدور الخطير من أدوار الحياة .
وانه لمن الخطأ الفادح أن يعمد الآباء والمربون لاختداد هذه « الروح »
المنهبة في مهدها ، أو القضاء عليها بالعنف والشدة . فان هم فعلوا ذلك
تمادى المراهق في عناده وطغيانه واشتط في مشاكسته ، وازداد في
مقاومة الضغط الواقع عليه ، وأصبحت حياته عندئذ ، نتيجة ذلك كله ،
عرضة للإصابة ببالغ الأضرار وعظيم الأخطار .

طور المراهقة والجريمة :

يعتبر العلماء بحق أن سن المراهقة هي سن الاجرام والخطيئة .
ففيها تبرز — كما قلنا — الفرائز العنيفة ، وتمعظم في النفس حوافز الشر
والاثم في حين يشتد على الفتى ضغط التقاليد ، أكثر من أي وقت
مضى ، بضرورة التقيد بقواعد الآداب السائدة بين الكبار ، ولزوم
ضبط سلوكه بما يتفق وأصول اللياقة والاحتشام .

ولقد دل الإحصاء على أن نسبة المجرمين المحكومين بالجرائم
الاتهامية Indictable offences في انكلترا سنة ١٩٣٧ قد بلغت نهايتها
القصى في مجموعات المتهمين الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة
والسادسة عشرة . وثبت ان نسبة الاجرام تنخفض بعد سن السادسة
عشرة ، كما يدل ذلك الجدول الآتي :

جدول رقم « ٢٠ »

معدل عدد المجرمين الانكليز

بين ١٩٣٠ - ١٩٣٧

في مجموعات العمر المختلفة (١)

معدل عدد المجرمين لكل

١٠٠ ألف من السكان

السن	١٠٠ ألف من السكان
١٠ - ١٤ سنة	٧٨٨
» ١٦ - ١٤	٨٢٢
» ٢١ - ١٦	٧٠٨
» ٣٠ - ٢١	٤٤٦
٣٠ سنة فأكثر	١٧١
المجموع	٢٩٣٥

ومن مراجعة الجدول « ٤ » (صفحة ٢١) يظهر لنا أن نسبة الجرائم تبلغ في دور المراهقة نحو ٧٠٪ من المجموع (٢)، وأنها قد

(١) نورود ايسست المصدر نفسه ، ص ١٥٤ - ١٥٥ . ولقد كانت نسبة عدد المجرمين بين جميع السكان الذين تجاوزوا العاشرة من عمرهم ٣٥٤ لكل ١٠٠ ألف منهم . المصدر السابق ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) ان معدل تقدم نمو الجسم البشري متغير ، وأكثر ما يكون النمو تقدماً بين سن ٥ - ٧ ، وبين سن ١٣ - ١٦ . وقد ثبت أن فترة نشاط النمو الأخيرة تطابق الفترة العظمى للخروج على القانون ، ومن ذلك يظهر أن انشغال الكائن الحي في نموه الجسدي في هذا الدور لا يبقى له قوة فائضة يستفيد منها في نموه الاجتماعي . ولكن المشكلة في الواقع أكثر من ذلك تعقيداً ، فهناك عوامل نفسية وجسمية وبيئية تلعب دورها الكامل خلال أيام البلوغ وسنوات المراهقة - نورود ايسست ، المجرم المراهق ، ص ٢٠١ ، والحالات الجسمية والسلوك الجنائي ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

وصلت نحو ٤٠ ٪ منه عند الشباب الذين هم بين الخامسة عشرة والعشرين من العمر^(١).

كما وجد برت أن شدة الدوافع الجنسية قد كانت سببا في سن المراهقة في وقوع نحو ١٤ ٪ من قضايا المجرمين ، بينما ان مثل هذه الدوافع لم تبد له إلا في ٥ ٪ فقط بين غير المجرمين^(٢).

فعلى كل فتى (وقتاً) اذن أن يتأهب لملاقاة هذا الدور الهام في حياته ، ويستعد لمواجهة الكثير من الوعي والنهم والحيطة والحذر . وعلى الآباء والمربين أن يدركوا معنى مشكلات المراهقة وعواملها ، وأن يأخذوا على عاتقهم أمر توجيهها في وجهات صالحة مقبولة ، وأن يتحلوا في معالجتها بالصبر والحلم والأناة ، وينتهجوا في اصلاحها نهج الحكمة والعقل والعطف على المراهقين^(٣).

(١) راجع صفحة ٢٢٠ .

(٢) المجرمون الاحداث ، سوندرز ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ - لا بد من الاشارة مرة الى أخرى ان العوامل الجسمية ، كالعوامل الصحية ، قلما تكون وحدها من دوافع الجريمة المباشرة ، ولكنها أغلب ما تكون من العوامل المساعدة فقط في وقوعها .

(٣) نورود ايست ، الحالات الجسمية والسلوك الجنائي ، المصدر نفسه ، ص ١٥٤-١٥٥ . راجع أيضا القوصي ، المصدر نفسه ، ص ١١٦ -

الفصل الرابع

اضطراب الغدد الصم

(١) Disorder of Ductless Glands

يؤثر الجسم تأثيراً كبيراً في حياة الانسان النفسية بواسطة الغدد الصم وما تفرزه من سوائل تصب في الدم مباشرة وتختلط به وتنقل معه إلى جميع أجزاء الجسد^(٢). ولم يدرك العلماء بعد كنه هذه الغدد وماهيتها ولكنهم يلاحظون أن سوائلها ذات فعالية شديدة يشبه تأثيرها على الفرد تأثير العقاقير الخطرة أو المواد المخدرة أو الفيتامينات، وتناول أقل كمية منها يحدث فيه تغيرات باطنية هامة يحمل العضلات والغدد الأخرى على العمل، أو يمنعها من الحركة والنشاط، ولهذا سميت بالرسيل الكيميائية Autocroids أو الهرمونات.

ولقد أثبت الباحثون في علم الغدد الصم Endocrinology أنه يجب أن تكون الإفرازات (الهرمونات) في حالة توازن دقيق فيما بينها حتى يسير النمو الجسمي والعقلي سيره الطبيعي. فإذا ما اختل هذا التوازن بأن افترطت أحداها فيما تفرزه من السوائل أو ضعفت

(١) أو Endocrine Glands

(٢) سميت هذه الغدد بالغدد الصم تمييزاً لها عن الغدد القنوية التي تصب إفرازاتها في إحدى فتحات الجسم أو على سطحه بواسطة قنوات كالغدد الدرقية والغدد العرقية.

الأخرى في افرازاتها اختل النمو الجسمي واضطربت الحياة النفسية -
وخاصة الناحية الاتقالية ، وأدى ذلك بدوره للشذوذ في السلوك وعجز
الانسان عن تكيف نفسه وفق أحوال بيئته ، وانهاج سبل الجريمة
أحيانا كثيرة .

من هذا يبدو أنه بينما يؤكد علماء النفس - لا سيما أصحاب
مدرسة التحليل النفسي - أثر العوامل النفسية والكبت والصراع
الداخلي في إحداث الجريمة^(١) ، فإن علماء الغدد الصم يجمعونها (أي
الجريمة) إلى عوامل فسيولوجية وكيميائية الجسم^(٢) ويعتبرون ان اضطراب
الغدد سبب رئيسي ان لم يكن السبب الوحيد في السلوك الجنائي .

فلقد أجرى برمان Berman وجريمبرج Grimberg الامير كيان
تجارب واسعة على نزلاء السجون من الصغار والرجال فظهر لهما ان
اضطراب هذه الغدد يشاهد في المجرمين ثلاثة اضعافه عند غير المجرمين .
وبحث رو Row ما يزيد عن الاربعمئة طفل من الأطفال العصاة
والمتمردين والجانحين فوجد في ٥٠٪ منهم ظواهر اختلال الغدد الصم ،
وقد تحسنت حالتهم بعد معالجة هذا الاختلال فيهم ومداواته .

وفحص هنتر Hunter الأمير كي ٤٠٠ سجين من المحكوم عليهم

(١) أى أنهم يعتمدون فى تفسير الجريمة على المبدأ النفسى

Psychogenic Principle

(٢) أى أنهم يركزون فى تعليل الجريمة على المبدأ الفسيولوجى

Physiogenic Principle

بهم جنسية فتحقق أن معظمهم مصاب باضطرابات غدية ، على الأخص في الغدة الدرقية أو النخامية أو التناسلية .

كذلك فقد قام كاسون Cassone الايطالي بدراسة عدد كبير من سجناء صقلية فوجد قصوراً في افراز النخامية والكظرين عند القتلة واللصوص ، وإفراطاً في التناسلية عند مرتكبي الجرائم الجنسية .

فهذه الأبحاث والدراسات الحديثة المتصلة بوظائف الغدد الصم تؤيد أن اضطراب المزاج في الانسان انما ينشأ عن افرازات هذه الغدد^(١) . ولكن العلماء رغم اجماعهم على ما تحدثه التغيرات الطارئة في فعالية الغدد الصم من تأثير في سلوك الشخص وتصرفاته وشخصيته بصورة عامة فانهم لم يتفقوا بعد على ان اضطراب افرازاتها يسبب وحده اختلاف الأمزجة أو اعتلالها^(٢) .

ويقول نورود ليست ان انحراف الخلق وشذوذ السلوك يتأثران الى حد ما بالهرمونات غير أن عمل هذه السوائل في الجسم ، وتفاعلها مع بعضها ، لم يتضح بعد تماماً ، وما زالت صلتها بالجريمة غير ثابتة . ولهذا فانه لا يمكن - في رأيه - التوصية بمعالجة مشكلة الاجرام عن طريقها بثقة واطمئنان^(٣) .

(١) راجع صفحة ٥٥ - ٥٦ . وأحمد عزت راجع المصدر نفسه ، ١٦٤-١٦٦ و ١٧٥-١٧٧ . وحامد عبدالقادر ، الانفعالات ، في علم النفس ؛ الجزء الثالث ، ص ١٨١-١٨٢ .

(٢) موكسلي ، مباحث في علم النفس الحديث ، المصدر نفسه ، ص ١٢٣ - راجع صفحة ٤٧-٥٥ من هذا الكتاب .

(٣) نورود ايبست ، المجرم المراهق ، المصدر نفسه ، ص ٣٠١ .

اصناف الغدد الصم :

الغدد الصم كثيرة أهمها : الدرقية والغدد المجاورة لها ، والكظرية (فوق الكلوية) والصغترية ، والصنوبرية ، والحلوة ، والتناسلية .
وسنأتي على وصف كل منها فيما يلي :

الغدة الدرقية Thyroid : توجد هذه الغدة في أسفل الرقبة على جانبي الحنجرة ، تتركب من فصين كل منهما على شكل جناح الطير يتصلان ببعضهما بقناة أمام القصبة الهوائية ، ووظيفتها افراز سائل يعرف بالثيروكسين Thyroxin يقوم بتنظيم نشاط الأنسجة من هدم أو بناء Metabolism .

فاذا كانت هذه الغدة ضعيفة قاصرة منذ الميلاد وقف نمو الجسم عند الطفل وخاصة هيكله العظمي ، وجف الجلد ودق الشعر وانتفخ البطن ، ولم يكتمل نمو خلايا اللحاء في المخ فيقف نمو الذكاء تبعاً لذلك .
وفي الحالات الحادة يصاب الطفل بالفدامة Cretinism ويشاهد قزماً مسخاً منحط الذكاء .

أما إذا حل الضعف والقصور في هذه الغدة بعد الميلاد ، أو أصيبت بمطب أدى الى عجزها عن أداء وظيفتها كالمعتاد ظهرت على المرء أعراض « الخرج » Myxoedema فتجف البشرة وتتكشف ، ويسقط الشعر ، وتهبط حرارة الجسم ، ويفرط المريض في النوم ، ويضعف نشاطه الجنسي ، كما يصاب بتبلد الفكر ، ويصبح عيياً كثير

النيسان لا يستطيع تركيز انتباهه ، وبدا عليه السمن الزائد ، وقلة الحيوية ^(١) .

وإذا زادت افرازات الغدة الدرقية عن معدلها الطبيعي ، وفاقت القدر الضروري ، أصبح الشخص عديم الاستقرار ، شديد القلق سريع الاستفزاز ، حزينا مهموما . ذلك أن وفرة الثيروكسين في الجسم تؤدي إلى زيادة ضربات القلب ، والأرق ، وسرعة النمو وخاصة في الطول ^(٢) .

الغدد المجاورة للدرقية Parathyroid Glands : وهي أربع غدد صغيرة مجاورة للدرقية تفرز سائلا يؤثر على نمو العظام وتكلس الأسنان . وهذا السائل على عكس الثيروكسين يهدىء الجهاز العصبي . فإن عطبت هذه الغدد أو أزيلت أصاب المرء تهيج شديد وتشنجات عضلية مؤلمة . أما إذا أفرط نشاطها ساد الهدوء والفتور وترهل العضلات واسترخاء عام في الجسم ^(٣) .

الغدة النخامية Pituitary Gland : هي عضو مخاطي صغير في حجم الحمصة ^(٤) ، لا يزيد وزنها عن نصف جرام ، وتقع في تجويف في

(١) وقد تمكن علم الغدد الصم من اكتشاف علاج للفدامة والخزج باعطاء المريض طعاما من الغدد الدرقية للغنم أو بحقنه من خلاصة هذه الغدد ، بشرط أن يبدأ العلاج في سن مبكرة وأن يكون مستمرا . - حامد عبدالقادر ، المصدر نفسه ، ص ١٨٣ - ١٨٧ .

(٢) إذا كان الشخص في طور النمو فيصبح فارعا عملاقا دون أن يصاحب ذلك زيادة في النمو العقلي (الذكاء) .

(٣) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .

(٤) أو حبة البازيلا .

الشق الأسفل من الدماغ بين نصفي الكرتين الخيتين ، يوصلها بقاعدة المخ جسم اسطوانى أجوف ، وتنقسم إلى فصين : أمامي وخلفي .
فالفص الأمامي يفرز سائلا يذبه الغدة الدرقية والتناسلية وقشرة الكظرين^(١) ، ويؤثر في انقباض العضلات الداخلية غير الارادية ، وبدونه لا تنمو الغدد الأخرى ولا تقوم بوظيفتها بطريقة سوية^(٢) .
وينشأ عن شدة نشاط هذا الجزء خلال فترة النمو سمن فاحش ، وزيادة في الطول^(٣) وتأخر في النمو العقلي ، وضعف في القوة التناسلية .
اما اذا أفرط في إفرازه بعد انتهاء مرحلة النمو عند الانسان فلا تستطيل القامة أكثر مما هي عليه انما تستطيل اليدين والقدمان والأنف ، وتضخم الأذن والفكان^(٤) . وأما ضمور هذا الفص أو ضعف سائله خلال دور النمو فانه يؤدي إلى القزامة^(٥) .

والفص الخلفي يفرز مادة ترفع ضغط الدم رفعا سريعا ، وسائلا

-
- (١) ان انتزاع الغدة النخامية من الجسم يفضى الى ضمور الاعضاء التناسلية وضعف الدرقية واضطراب الكظرين . كما وجد أن هنالك صلة بين هذه الغدة واستهلاك السكر في الجسم .
(٢) لهذا فان البعض يطلق على الغدة النخامية سيدة الغدد .
(٣) فيصبح الشخص عملاقا تبلغ قامته سبعة أقدام أو عشرة . الا أن هذا الفص بعد اجتهاده سيصيبه الاعياء فيفقد العملاق قوته العضلية ويموت صغيرا .
(٤) وهذا هو مرض المرودة .
(٥) لكنها تختلف عن القزامة الناشئة عن قصور الغدة الدرقية حيث يظل هناك ذكاء القزم سويا . (خلاصة هذا الفص تجعل من هؤلاء الاقزام أسويا في النمو) .
(٦) (٧)

آخر يحدث قبض العضلات ويؤثر في حفظ توازن الجسم ونظام الهضم ودرجة الحرارة العامة. وإن أي خلل يحدث فيه يؤدي لاضطراب المشي ونقص درجة الحرارة والنحافة والاسهال . وإذا زادت افرازاته كثيراً كان ذلك سبباً في طول القامة طولاً غير عادي ، أو في طول الأعضاء البارزة كالأنف والأطراف^(١) .

الكظران أو الغدتان الكلويتان Adrenal or Supra Renal Glands :

الكظران فصان صغيران صفراوان على شكل مثلث قائمان فوق الكليتين^(٢) لكل منهما قشرة ونخاع . فالقشرة غدة صماء مستقلة ، تختلف عن النخاع ، تفرز « الكورتين » ، والنخاع غدة صماء سائها هو « الأدرنالين » .

ويعتبر الأدرنالين أهم السوائل الغدية وأشدّها تأثيراً في المزاج واضطراب الحياة الاتقالية وحركات الأمعاء . ولقد توصل كانن Cnnon إلى أن مادة الأدرنالين تكثر في الدم عند حدوث اتفعالات قوية في الإنسان كالخوف والغضب والحزن ، وتسبب عندئذ انكماش

(١) حامد عبدالقادر ، المصدر نفسه ، ص ١٨٣ - ١٨٩ . وينشأ أحيانا عن اعتلال هذه الغدة أو اختلالها المرض المعروف بـ Fröhlich's Disease وهو مرض يصيب الصبيان ويسبب لهم ضعفاً جسدياً ، تأخر جنسياً يغري رفاقهم بعض المرات على استغلالهم من الناحية الجنسية . - القوصي ، المصدر نفسه ، ص ٥٦ - ٦٦ . أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) يقع كل فص فوق إحدى الكليتين .

المعضلات غير الارادية وتمطيل الحركات الهضمية . كما ان الحقن بكميات قليلة منها تؤدي الى ازدياد سرعة النبض وحركات الرئتين ، وارتفاع ضغط الدم ، ووقف نشاط المعدة والأمعاء ، واتساع مسالك الهواء في الرئتين ، وصرف السكر المخزون في الكبد ، وتمدد انسان العين ، وافراز عرق بارد غزير .

أما الكورتين فيمنع الجسم في زيادة قوة حصاته ضد الأمراض ، ووقايته من العدوى ، ومقاومة الاجهاد العضلي . فاذا تلفت « القشرة » أصيب الانسان بمرض مميت يطلق عليه « مرض أديسون » Addison's Disease ، وتقل مناعته ضد العدوى ، ويحل به الكلال والاعياء الشديد والضعف والأرق وكثرة الهواجس وتوتر الاعصاب وسرعة الانفعال وعدم احتمال أخف حالات الحر أو البرد ، وتموت فيه الرغبة الجنسية ، وتقل قدرته على الحكم الصحيح والصبر وحسن تقدير الأمور^(١) .

واذا زاد نشاط القشرة في افرازها اشتدت صفات الذكورة في الرجل والمرأة على السواء . فلمرأة يفارقها شكلها الأنثوي ، ويغلب صوتها ، وقد تأخذ اللحية عندها في الظهور^(٢) .

غدة الطفولة : الصعترية «النكفية» ، والصنوبرية

الغدة الصعترية Thymus جسم رخو وردي اللون قائم

(١) وتزول هذه الاعراض أحيانا اذا حقن المريض بالكورتين .

(٢) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ١٦٨ - ١٧٠ .

فوق القلب يبلغ وزنه عند الميلاد نحو ربع أوقية ثم يكبر حتى يصل قبيل البلوغ أوقية كاملة ، ثم يضمّر تدريجيا فلا يبقى منه بعد ذلك سوى أثر يسير .

أما الغدة الصنوبرية Pineal Gland فتقع في الدماغ خلف الغدة النخامية . ولقد جعل ديكارت مقر النفس في هذه الغدة ، ولا يزال العلماء في ريب من وظيفتها الحقيقية ، لا يدرون تماما اذا كانت تفرز سائلا خاصا بها أولا^(١) .

وسميت هتان الغدتان بغدتي الطفولة لأنهما تضمران عادة قبل البلوغ . فاذا لم يحدث هذا الضمور بقي الفرد ، رغم نموه وكبره ، كالطفل في سلوكه ، ضعيف الارادة بطيء التفكير نحيف الجسم رفيع الصوت . أما نشاطهما فيكف من نشاط الغدد التناسلية ، ويساعد على النمو في الطول والوزن .

الغدة الخولة Pancreas : تقسم هذه الغدة إلى شطرين أحدهما قنوي يفرز عصيرا هضميا ينصب في الأمعاء لا في الدم ، والآخر غدة صماء تفرز سائلا هو الأنسولين يحمله الدم إلى العضلات فيمكنها من استخدام السكر بحرقه وتمثيله . ولبلغ الأنسولين في الجسم صلة بنشاط المرء وشعوره . فالكثير منه يجعله يحس بالجوع والاعياء والقلق وأحيانا يؤدي به إلى الهذيان والاعماء .

(١) المصدر السابق - ص ١٧٣ - ١٧٤ . وجان تيرد بلندا (٢)

واذا قصرت هذه الغدة في افرازها تأثرت حالة الفرد النفسية ،
وأصيب بمرض السكر ، فلا يعود السكر « يتأكسد » بل يتجمع في
الدم حتى تفرزه الكليتان^(١).

الغدد التناسلية The Gonads : وهي الخصيتان في الرجل وتفرزان
الحيوانات المنوية ، والمبيضان في المرأة ويفرزان البويضات . غير انها
تفرز فوق ذلك سوائل مختلفة ذات تأثير خطير في النمو الجسدي
والسلوك^(٢). ولا بد أن يتم الاتزان في افراز السوائل الذكورية حتى
يتجه النمو الى الذكورة عند القتي ، وفي افراز السوائل الانثوية حتى
تتحقق الانوثة عند الفتاة . وفي طور البلوغ تساعد هذه السوائل على
اكتمال نضج الأعضاء التناسلية ، وظهور الصفات الجنسية الثانوية كاللحية
وتضخم الصوت عند الأولاد ، وبروز الصدر ونمو الفخذين عند البنات^(٣).

واذا قصرت هذه الغدد في افرازاتها او اختل نظامها ، أضحت
النمو الجنسي ضعيفا ، والصفات الجنسية غير بارزة في الشخص كما هي
الحال عند الأسوياء ، وأصيب الفرد باضطرابات عقلية خطيرة^(٤).

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) بعضها مشترك عند الرجل والانثى على السواء .

(٣) ولهذه السوائل أثر بعيد في العمليات التناسلية الباطنية عند

الانثى كالحمل والطمث الشهري . - القوصي ، المصدر نفسه ، ص ٥٦ - ٦٦ .

(٤) وقد لوحظ أن ضمور الخصيتين هو من أعراض الفصام .

راجع أحمد عزت راجع ، المصدر نفسه ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

الباب السادس

فساد البيئة

Defective Environment

انتهينا في أبحاثنا السالفة من دراسة العوامل المزاجية والخلقية والذهنية والجسدية للجريمة ، وهي جميعها كائنة في الفرد ذاته ، تتكون منها شخصيته ، ويتميز بها عن غيره من الأفراد . وهذه العوامل تتركز في تكوينها ونشوتها على عنصرين أساسيين هما : الوراثة والبيئة ، أي على ما انتقل للشخص من مورثات واستعدادات فطرية عن آباءه وأجداده وبني جنسه ، وما حصل عليه من استعدادات وقدرات مكتسبة بتأثير الوسط الذي يعيش فيه ، والتربية التي يحصل عليها ، والظروف والأحوال التي تحيط به . ولا ينفك الإنسان طول حياته يتأثر بهذين العنصرين في سائر ضروب سلوكه ومختلف نواحي نشاطه وأعماله .

فالوراثة - كما بينا ذلك من قبل ^(١) - مسئولة عن القوى والدوافع الكامنة في نفس المرء ، والبيئة مسئولة عن اظهار تلك القوى وانطلاقها وتوجيهها . فان كانت البيئة صالحة اتجه الفرد في طريق الخير والصلاح ، وان كانت فاسدة حملته على انتهاج مسالك الشر والرذيلة والفساد .

(١) راجع صفحة ٣٥ - ٤٦ .

كالنبات في المنبت السوء لا تزال بيئته به حتى تضعفه أو تميته ، وهو في المنبت الصالح ينمو ويتزعرع ويعطي أطيب الثمرات .

وهكذا تظل الوراثة والبيئة في تفاعل مستمر ، واصطحاب دائم واتحاد ثابت لا تنفصم عراه ، يؤثران معا في سلوك الفرد ، ويقرران سوية نجاحه أو خيبته في الحياة .

وانما نقصد بالبيئة جميع العوامل والكائنات التي تحيط بالإنسان فتؤثر على نشوئه وتكوينه وعلاقاته الاجتماعية بالآخرين . وهي على أصناف عديدة أهمها : البيئة الطبيعية ، والمنزلية ، والمدرسية ، والبطالة ، والفقر ، والرفاق ، والجيران ، وظروف العمل والفراغ ، وغـيرها .

ولهذا فقد أصبح واجبا أن نلم الملمة موجزة بعالم هذه البيئة وحالاتها المختلفة ، ونقف على مبالغ أهميتها ومدى تأثيرها في تكوين الشخصية وقوتها في تقرير السلوك ، لاسيما الحث على الموعج والانحراف والشذوذ ، والحض على الرذيلة والفساد والاجرام .

الفصل الاول

البيئة الطبيعية

Physical Environment

لقد حاول بعض العلماء أن يثبت وجود رابطة سببية بين حالات البيئة الطبيعية والسلوك البشرى . فنتسكيو وفون ترايتشكه Von Treitschke ظنوا أن لموقع الاقليم الجغرافي وأحوال المناخ وظروف الجو أثراً قوياً مباشراً في تقدم الناس أو تأخرهم ، وهي علة الفروق بين سكان المعمورة . كما أكد لمبروزو ورجال المدرسة الإيطالية في علم الاجرام ما للعوامل الطبيعية من تأثير فعال في حدوث الجرائم والأعمال الاجتماعية بوجه عام .

ولكن باكل Buckle وسبنسر Spencer وجدينج Gidding وغيرهم من الثقات قد أبوا التسليم بهذه الأقوال وصرحوا بأن المسألة ليست سهلة الى هذا الحد ، بسيطه بهذا المقدار ، وأن ليس للبيئة الطبيعية سوى آثار غير مباشرة في حياة الأفراد وسـلوـكهم نتيجة تكاثف السكان في المدن الكبيرة ، أو جذب التربة في الأراضي القاحلة وانعدام الموارد الطبيعية Natural Resources والمواد الأولية . فكثافة السكان في المدن الكبيرة تعتمد على طبيعة الاقليم الجغرافية ، وهي تنتج - في جملة ما تنتجه - نسبة عالية من الاجرام . كذلك فإن القحط والجذب

أو نقصان الكفايات الطبيعية في البلاد يحدث الضيق الاقتصادي وبسبب الحاجة والعوز ، وهذه تعتبر ولا شك من العوامل المساعدة في حدوث الجريمة وصنع المجرمين كما سنرى .

هذا ولا ينكر أن نشاهد أحيانا علاقة وثيقة بين الموقع الجغرافي والمناخ والفصول السنوية وبين الجريمة ، لكن هذا لا يدل وحده على أن الاجرام قد حصل نتيجة هذه العوامل الجغرافية بل هو قد يكون ناشئا عن أسباب أخرى غير الحالات الطبيعية^(١) .

الموقع الجغرافي والجريمة :

وجد لمبروزو أن الجرائم التي تقع على الأشخاص - عدا الزناء - قليلة في البلاد السهلية ، شائعة في المناطق التي تكثر فيها التلال ، واسعة الانتشار في الأماكن الجبلية . كما تحقق ازدياد الجرائم الجنسية وحوادث السرقات واتلاف الأموال في السهول والمدن الكبيرة المحيطة بالسكان .

ويسند لمبروزو علة ازدياد الجرائم ضد الأشخاص في المحلات الجبلية إلى شدة نشاط أهل الجبال وقوة مراسهم وزيادة حرمتهم ، وكثرة المخابىء التي تساعد على الاختفاء عن أنظار رجال الشرطة ، والفرار من وجه العدالة . كما يعزو زيادة الجرائم الجنسية والسرقات في السهول والسواحل إلى وجود المدن المزدهرة بالأهالي ، ووفرة الثروات ،

(١) جيلين ، المصدر نفسه ، ص ٦١ - ٦٢ .

وشدة احتكاك الناس فيها واتصالهم ببعض . عندما يوجد
الازدحام من فرص تمكن المجرمين من اقتراف أفعالهم الاجتماعية
سرّاً في أحياء بعيدة عن الرقابة ، وتساعدهم مرات كثيرة على الاختباء
ولإخفاء الذات .

يبد أن تأثير الموقع الجغرافي المباشر في حوادث الاجرام ليس
ثابتاً بعد ، ولا يكون ذلك عادة الا بطريق غير مباشر ، أي بتأثيره على
حالة البلد الاقتصادية ، وتحديد مستوى المعيشة ، والقدرة على الاستيعاب
الاقتصادي وإعالة السكان ، وعلاقات الافراد الاجتماعية واتصالهم
ببعضهم^(١) .

المناخ والجريمة :

لقد لاحظ فريق من الباحثين أن نسبة جرائم العنف والاعتداء
ترتفع في الاقاليم الحارة وتنخفض في الأماكن الباردة ، كما تكثر نسبة
السراقات في المناطق الباردة وتقل في الجهات ذات المناخ الحار .

وعلة ذلك عندهم أن الحرارة تزيد الهياج في الجسم وتثير الانفعال
في نفس الانسان . أما سكان المناطق المعتدلة أو الباردة فإن مزاجهم
هادئ لا تبدو فيه الحدة والنزق والاضطراب . لكن صحة هذه الحجة
لم تثبت حتى الآن ، فبينما نرى بعض أهل البلاد الحارة كثيري التهيج

(١) راجع : عوني وفا الدجاني ، علم النفس الجنائي ، بغداد ، ١٩٤٠ ،
ص ٤٧ - ٥٠ .

والاقتعال ، نرى البعض الآخر رزينا متزناسويا ، أو بليداً خاملاً بطيء
الحركة فائر الهمة والنشاط .

فصول السنة والجريمة :

ظهر من الاحصاءات التي نشرتها دول عديدة أن جرائم التعدي
والسجّار والقتل كثيرة في الصيف قليلة في الشتاء ، بعكس الجرائم
الواقعة على الأموال فإنها تخف أيام الصيف وتزيد في فصل الشتاء .

وهذه النتائج تؤيد ما قاله لمبروزو من وجود ارتباط وثيق بين
الحرارة أو البرودة وبين بعض أشكال الاجرام . فهو قد صرح بأن
جرائم القتل والاعتداء على الناس تصل أقصى حدودها في شهر تموز ،
والجرائم الجنسية تشتد وتزداد في أيار وحزيران وآب ، وجرائم الزنا
تبلغ ذروتها في حزيران . أما الجرائم على المتاع والمال فتصيب حدها
الأعلى في أعظم الشهور برداً أي في كانون الأول وكانون الثاني .

ويفسر لمبروزو وصحبه هذه الظاهرة بأن الناس يعمدون في الصيف
إلى ترك منازلهم والتجول في الأماكن العامة والمتنزهات والطرق
أكثر مما يفعلون ذلك في أيام البرد والأمطار . ويؤدي احتكاكهم
ببعضهم واتصالهم فيما بينهم إلى زيادة الخلاف وكثرة حوادث التنافر
والتناحر والاعتداء والسرقات ، بله الجرائم الجنسية والأفعال المنافية للحياء .
أما في الشتاء فإن شدة البرد تحمل الكثيرين على العزلة والانزواء
كما تؤدي إلى اغلاق بعض المعامل أو تعطيل بعض الأعمال فيزيد ذلك

عدد المعوزين ويدفع بالمحتاجين إلى ارتكاب السرقة أو الاحتيال والاختلاس لسد ثغرات اللبس والغذاء والسكن والوقود^(١).

بيد أن هذه الحجج وتلك الاحصاءات غير كافية وحدها لتفسير الاجرام، ومن الجائز أن يكون للسلوك الجنائي عوامل أخرى أقوى أثراً من ذلك وأعظم أهمية.

وصفوة القول أنه وإن جاز أن يكون للاقليم الجغرافي والمناخ والفصول بعض الأثر المباشر على الجسم البشري والسلوك أحياناً فإن أثر البيئة الطبيعية غير مباشر في معظم الحالات. وليس من شك في أن معرفة هذا الأثر غير المباشر في حدوث الجريمة يساعد على تخير الطرق الواجب اتباعها في مكافحة أسباب الزرع والشطط والأفعال المضادة للمجتمع.

فإذا كان حر الصيف مثلاً يشجع الأفراد على ارتياد الحدائق والشوارع وغيرها من الأماكن العمومية ويسبب كثرة الاجتماع والاتصال، فإنه من الممكن عندئذ زيادة المراقبة والتنظيم في المحلات التي يكثر فيها الازدحام والاختلاط واشتباك الناس.

كذلك إذا كانت لبعض الفصول تأثير على البطالة التي تمتد على الفساد والأعمال المخالفة للقانون أمكن معالجة هذه الحالة بإيجاد أعمال في

(١) راجع جيلين، المصدر نفسه، ص ٦٥-٦٦. عوني وفا الدجاني، المصدر نفسه، ص ٤٨-٥٠.

تلك الفصول ، أو اسعاف من كانوا بحاجة فيها إلى الضروريات .
وبذلك تخفف مثل هذه الاجراءات الاجتماعية حدة مفعول العوامل
الجغرافية وتزيل أضرارها كمعامل طبيعية من عوامل السلوك الجنائي .
وفي الجداول الآتية بيان بالنتائج التي توصل إليها برت في دراسته
أثر البيئة الطبيعية في حوادث الجناح والاعرام .

جدول رقم « ٢١ »	
نسبة ارتكاب الجرائم في	
ايام الاسبوع المختلفة (١)	
اليوم	النسبة المئوية من مجموع الجرائم
الاثنين	٨٠٣
الثلاثاء	١٠٠٠
الأربعاء	١٤٠٣
الخميس	١٣٠٣
الجمعة	٩٠٠
السبت	٢٩٠٣
الأحد	٢٣٠٨
	المجموع ١٠٠٠٠

٤٥,١ ٪

ومن ذلك يبدو أن ارتكاب الجرائم يزداد في يومي السبت
والأحد ويخف كثيراً في يوم الاثنين والجمعة .
والجدول التالي يظهر النسبة المئوية للجرائم التي تم ارتكابها خلال

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .

الساعات المختلفة من ساعات اليوم ، وهو يدل على أن هذه النسبة عالية بين الساعة الرابعة والسابعة مساء ، ضئيلة بين الساعة السادسة صباحا والثانية مساء ، وضئيلة جداً بعد الساعة العاشرة مساء .

جدول رقم « ٢٢ »

نسبة الجرائم في الساعات المختلفة (١)

الساعة	النسبة المئوية
٦ - ٩ صباحاً	١.٣
٩ صباحاً - ١٢ ظهراً	٣.٠
١٢ ظهراً - ١ مساء	٤.٣
١ - ٢ مساء	٣.٤
٢ - ٣ »	٦.٠
٣ - ٤ »	٧.٧
٤ - ٥ »	٢٣.١
٥ - ٦ »	١٠.٢
٦ - ٧ »	١٩.٧
٧ - ٨ »	٦.٨
٨ - ٩ »	٨.٥
٩ - ١٠ »	٤.٧
١٠ مساء - ٩ صباحاً	٩.٣
المجموع	١٠٠.٠

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ١٥٩ ، نسبة مئة ، ص ١٢٠

فهرست الجداول رقم ١٠٠٠ من سنة ١٢٢٠ هـ في الأبحاث في الفقه
 الفقهية العامة، ومجالس دراسة الفقه في شهر رجب سنة ١٢٢٠ هـ (في ٢٢٢)
 (١) نقلها من كتابها في تاريخها

رقم الجداول	مجلد	مجلد	مجلد	مجلد	مجلد	مجلد
١	١	١	١	١	١	١
٢	١	١	١	١	١	١
٣	١	١	١	١	١	١
٤	١	١	١	١	١	١
٥	١	١	١	١	١	١
٦	١	١	١	١	١	١
٧	١	١	١	١	١	١
٨	١	١	١	١	١	١
٩	١	١	١	١	١	١
١٠	١	١	١	١	١	١
١١	١	١	١	١	١	١
١٢	١	١	١	١	١	١
١٣	١	١	١	١	١	١
١٤	١	١	١	١	١	١
١٥	١	١	١	١	١	١
١٦	١	١	١	١	١	١
١٧	١	١	١	١	١	١
١٨	١	١	١	١	١	١
١٩	١	١	١	١	١	١
٢٠	١	١	١	١	١	١
٢١	١	١	١	١	١	١
٢٢	١	١	١	١	١	١
٢٣	١	١	١	١	١	١
٢٤	١	١	١	١	١	١
٢٥	١	١	١	١	١	١
٢٦	١	١	١	١	١	١
٢٧	١	١	١	١	١	١
٢٨	١	١	١	١	١	١
٢٩	١	١	١	١	١	١
٣٠	١	١	١	١	١	١
٣١	١	١	١	١	١	١
٣٢	١	١	١	١	١	١
٣٣	١	١	١	١	١	١
٣٤	١	١	١	١	١	١
٣٥	١	١	١	١	١	١
٣٦	١	١	١	١	١	١
٣٧	١	١	١	١	١	١
٣٨	١	١	١	١	١	١
٣٩	١	١	١	١	١	١
٤٠	١	١	١	١	١	١
٤١	١	١	١	١	١	١
٤٢	١	١	١	١	١	١
٤٣	١	١	١	١	١	١
٤٤	١	١	١	١	١	١
٤٥	١	١	١	١	١	١
٤٦	١	١	١	١	١	١
٤٧	١	١	١	١	١	١
٤٨	١	١	١	١	١	١
٤٩	١	١	١	١	١	١
٥٠	١	١	١	١	١	١
٥١	١	١	١	١	١	١
٥٢	١	١	١	١	١	١
٥٣	١	١	١	١	١	١
٥٤	١	١	١	١	١	١
٥٥	١	١	١	١	١	١
٥٦	١	١	١	١	١	١
٥٧	١	١	١	١	١	١
٥٨	١	١	١	١	١	١
٥٩	١	١	١	١	١	١
٦٠	١	١	١	١	١	١
٦١	١	١	١	١	١	١
٦٢	١	١	١	١	١	١
٦٣	١	١	١	١	١	١
٦٤	١	١	١	١	١	١
٦٥	١	١	١	١	١	١
٦٦	١	١	١	١	١	١
٦٧	١	١	١	١	١	١
٦٨	١	١	١	١	١	١
٦٩	١	١	١	١	١	١
٧٠	١	١	١	١	١	١
٧١	١	١	١	١	١	١
٧٢	١	١	١	١	١	١
٧٣	١	١	١	١	١	١
٧٤	١	١	١	١	١	١
٧٥	١	١	١	١	١	١
٧٦	١	١	١	١	١	١
٧٧	١	١	١	١	١	١
٧٨	١	١	١	١	١	١
٧٩	١	١	١	١	١	١
٨٠	١	١	١	١	١	١
٨١	١	١	١	١	١	١
٨٢	١	١	١	١	١	١
٨٣	١	١	١	١	١	١
٨٤	١	١	١	١	١	١
٨٥	١	١	١	١	١	١
٨٦	١	١	١	١	١	١
٨٧	١	١	١	١	١	١
٨٨	١	١	١	١	١	١
٨٩	١	١	١	١	١	١
٩٠	١	١	١	١	١	١
٩١	١	١	١	١	١	١
٩٢	١	١	١	١	١	١
٩٣	١	١	١	١	١	١
٩٤	١	١	١	١	١	١
٩٥	١	١	١	١	١	١
٩٦	١	١	١	١	١	١
٩٧	١	١	١	١	١	١
٩٨	١	١	١	١	١	١
٩٩	١	١	١	١	١	١
١٠٠	١	١	١	١	١	١

فهرست الجداول رقم ١٠٠٠ من سنة ١٢٢٠ هـ في الأبحاث في الفقه
 الفقهية العامة، ومجالس دراسة الفقه في شهر رجب سنة ١٢٢٠ هـ (في ٢٢٢)
 (١) نقلها من كتابها في تاريخها

١٠٠٠

١٠٠٠

جدول رقم ٢٣

نسبة جرائم الأحداث في الأشهر المختلفة (١)

المجموع	التشرد	التخريب	السرقه	الجنس	العنف	درجة الحرارة (مهرنهايت)	
%	%	%	%	%	%		
٨٠٢	٦٠٩	٨٠٤	٩٠٦	٦٠٥	٧٠٥	٤٠٠٥	كانون ثانى
٧٠٥	٦٠٧	٧٠٠	٨٠٥	٦٠١	٧٠٠	٤٠٠٦	شباط
٧٠٧	٧٠٦	٧٠٠	٨٠٤	٦٠٩	٧٠٨	٤٢٠٨	آذار
٨٠٨	٨٠٢	٧٠٦	٩٠١	٩٠٧	٩٠١	٤٧٠٠	نيسان
٩٠٣	١١٠٩	٨٠٩	٧٠٤	١١٠٤	٩٠٧	٥٥٠٥	مايس
٩٠٤	١٢٠٨	٨٠٢	٦٠٩	١٢٠٢	١٠٠٥	٥٩٠٤	حزيران
٨٠٥	٨٠٩	٧٠٢	٧٠١	١٠٠٧	١١٠١	٦٢٠٣	تموز
٧٠٦	٦٠١	٩٠٢	٧٠٤	٧٠٣	٨٠٨	٦٢٠٩	آب
٧٠٨	٧٠٠	٨٠٩	٧٠٩	٨٠٠	٧٠٠	٥٨٠٣	ايلول
٨٠٢	٧٠٨	٨٠٩	٨٠٢	٩٠٠	٧٠٨	٥١٠١	ت ١
٨٠٠	٧٠٦	٩٠٨	٨٠٩	٦٠٣	٦٠٨	٤٣٠٤	ت ٢
٨٠٩	٨٠٥	٨٠٩	١٠٠٦	٥٠٩	٧٠٠	٤١٠٣	ك ١

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ١٦٦ .

والجدول رقم « ٢٣ » يبين نسبة جرائم الأحداث في أشهر السنة المختلفة ، ومعدل درجة الحرارة في كل شهر ، ومنه يبدو أن :
جرائم العنف تزداد في مايس وحزيران وتموز ، وتقل في تشرين أول وتشرين ثاني و كانون أول .
الجرائم الجنسية تزداد في مايس وحزيران وتموز ، وتقل في شباط وتشرين ثاني و كانون أول .
جرائم السرقة تزداد في كانون أول و كانون ثاني و نيسان ، وتقل في حزيران وتموز وآب .
جرائم التخريب تزداد في آب وتشرين ثاني و كانون أول ، وتقل في آذار و نيسان و حزيران .
جرائم التشرد تزداد في مايس وحزيران و كانون أول ، وتقل في كانون ثاني و شباط و ايلول .
معدل مجموع الجرائم يزداد في حزيران وتموز و كانون أول ، ويقل في شباط وآب و ايلول .
والجدول رقم « ٢٤ » يوضح نسبة جرائم الكبار في الأشهر المختلفة ، ومنه يستدل على ان :
جرائم العنف تكثر في حزيران وتموز وآب ، وتقل في كانون ثاني و شباط و آذار .

الجرائم المنافية للحياء تكثر في حزيران وتموز وآب ، وتقل
في تشرين ثاني وكانون أول وشباط

الجرائم ضد الأموال (المقرونة بالشدة) تكثر في تشرين أول
وتشرين ثاني وكانون ثاني ، وتقل في مايس وحزيران وتموز .

الجرائم ضد الأموال (غير المقرونة بالشدة) تكثر في تشرين أول
وتشرين ثاني وكانون ثاني ، وتقل في حزيران وتموز وآب .

جرائم التخريب الجنائي تكثر في ايلول وتشرين أول وتشرين
ثاني ، وتقل في شباط وحزيران وكانون أول .

جرائم التزوير تكثر في نيسان وحزيران وتشرين ثاني ، وتقل
في كانون أول وتموز وآب .

جرائم الاتجار تكثر في حزيران وتموز وآب ، وتقل في تشرين
ثاني وكانون أول وشباط .

جرائم أخرى تكثر في كانون ثاني وتشرين أول وتشرين ثاني ،
وتقل في شباط وآذار ونيسان .

معدل جميع جرائم الكبار يزداد في كانون ثاني وتشرين أول
وتشرين ثاني ، ويقل في نيسان ومايس وحزيران .

جدول رقم « ٢٤ »

نسبة جرائم الكبار في الأشهر المختلفة (١)

الشهر	جرائم العنف	الجرائم المنافية للأخلاق	جرائم ضد الأموال مقرونة بالعنف	جرائم ضد الأموال غير مقرونة بالعنف	جرائم التخريب بقصد سيء	جرائم التزوير	جرائم الانتحار	جرائم متفرقة أخرى	المجموع
	%	%	%	%	%	%	%	%	%
كانون ثاني	٧٠.٥	٧١.٧	٩٢.١	٨.٩٦	٧.٥٧	٨.٥٢	٦.٧٤	٩.٤٢	٨.٨٥
شباط	٧١.٠	٩٣.١	٨٧.٢	٨.٨٠	٧.٠٧	٨.٨٤	٦.١٩	٧.٣٧	٨.٦٣
آذار	٧٠.٨	٩٨.٣	٨٣.٠	٨.٢٢	٨.٠٩	٨.٥١	٧.٠١	٧.٢٦	٨.١٤
نيسان	٧٧.٧	٨٢.٩	٨٨.١	٨.٠٣	٨.٣٤	٩.٥٨	٨.٧٨	٦.٩٣	٨.٠١
مايس	٨٢.٠	٩٦.٦	٧٢.٩	٨.٠٣	٨.١٦	٧.٦٨	٩.٦٩	٧.٦٣	٨.٠٢
حزيران	٩٣.٩	١٠٨.٥	٧٤.١	٧.٦٣	٧.٢٠	٩.٠١	١٠.٤٠	٨.٥١	٧.٧٦
تموز	١٠٤.٩	١٢٠.٣	٧٤.٠	٧.٩١	٧.٩١	٧.٩٠	١١.٤٦	٨.٦٠	٨.٠٧
آب	٩٦.٨	١٠٦.٦	٨٧.٣	٧.٩٥	٨.٧٢	٧.٩٢	١٠.٠٢	٧.٩٤	٨.١٧
ايلول	٩١.٧	٨٩.١	٨٣.٩	٨.٢١	٩.٠٤	٧.٧٧	٨.٨٧	٨.٥٣	٨.٢٧
تشرين أول	٨٩.٧	٧٦.٤	٨.٥١	٨.٨٧	٩.٧٠	٨.٩٠	٨.١٨	٩.٧٨	٨.٢١
تشرين ثاني	٧٧.٦	٦٦.٣	٨.٩٤	٩.٠٧	١٠.٨٨	٧.٩٨	٦.٥٥	١٠.٢٠	٨.٩٢
كانون أول	٧٣.٤	٥٠.٣	٩.٢٩	٨.٣٢	٧.٣٢	٧.٣٩	٦.١١	٧.٨٣	٨.٣٥

الفصل الثاني

الأسرة Home

لقد أصبح ثابتاً اليوم أن شخصية الإنسان وأسلوب حياته Style of Life ^(١) وفكرته عن هذا العالم ومن فيه تتقرر معالمها الأساسية وقواعدها الرئيسية في السنوات الخمس أو الست الأولى من حياته . وهو إنما يسلك ويتصرف في مستقبل أيامه وفقاً لهذه المبادئ والنواضع الأولية الهامة . فكل عمل يقوم به ، وكل اتجاه يسير فيه يكون - في الغالب - متأثراً بها ، مطبوعاً بطابعها ، وعليها يتوقف ، الى حد بعيد ، نجاحه أو فشله في الحياة ، وانسجامه أو شذوذه في المجتمع . ومن هنا تظهر لنا أهمية هذا الدور - بصورة خاصة - من أدوار الحياة ، وعظيم أثره في الكبر .

ولما كان الفرد منذ ميلاده حتى البلوغ لا يزال في مسهل عمره لم يكتمل بعد نمو جسمه ، ولم يتم تكوين ملكاته ، ولم تبرز قدراته فانه يبقى ، ريثما يتحقق له ذلك ، فترة غير قصيرة معتمداً على والديه في اعالته وحمايته وتوفير راحته وتربيته واعداده للحياة المقبلة . لهذا فان المسؤولية الملقاة على عاتق الآباء نحو صغار أبنائهم جد خطيرة ، وواجبهم لزامهم كبير بالغ الأهمية .

(١) الفرد أدلر ، الحياة النفسية (ترجمة بدران وعبد الخالق)
القاهرة ، ١٩٤٤ ، ص ٦٤-٧٧ .

وللمنزل صلة في حدوث الجريمة من نواح أربع هي : الحالة الاقتصادية السيئة ، وانحلال الرابطة العائلية ، والتوجيه الخاطيء ، والجو الخلقي الفاسد . وسنبحث أثر كل منها على حدة فيما يأتي :

١ - الحالة الاقتصادية السيئة

يدعي كثير من الكتاب أن أهم بواعث الفساد وسوء السلوك هي الحاجة أو الفقر ، أي عدم كفاية موارد الانسان لسد نفقاته الضرورية من طعام ولباس ومسكن ووقود . وتعليل ذلك أن الفقر يحدث الجوع ويسبب الضيق ، وهذان يدفعان بصاحبهما للجرام ولا سيما السرقة . ولقد دلت الاحصاءات أن الفقر من عوامل الشر وحوافز الخطيئة وعلى الأخص اذا سبقته عند الفرد حالة غنى ورفاه . وثبت لبرت أن ٨١٪ من جرائم الفقراء هي السرفات^(١) .

ومن نتائج الفقر السيئة الأخرى العيش في مساكن وضيعة غير صحية مزدهمة بالسكان . وتبين لسوندرز ومانهايم ورودز Saunders, Mannheim and Rhodes أن ٢٨٫٢٪ من المجرمين في لندن يعيشون في أماكن غير ملائمة كثيرة الازدحام ، بينما أن نسبة ذلك لم تزد على ١٣٪ بين غير المجرمين^(٢) . وتدل هذه الأرقام أن نسبة الازدحام وضيق المكان تربو بين المجرمين على ضعف ما هي

(١) لبرت ، المصدر نفسه ، ص ٦٦-٦٧ ، وص ١٠٠ .

(٢) سوندرز ومانهايم ورودز - المجرم الحديث ، لندن ١٩٤٣ ، ص ٨٢ .

عليه بين الأسوياء ، وتوضح مدى تأثيرها البالغ على الجريمة^(١) .
ومن نتائجها أيضا حرمان الأولاد من أسباب اللعب والتسلية في
المنزل التي لا غنى لهم عنها ، فقلما توجد في بيوتهم أية وسائل للهو
والترفيه ويرغمون - لهذا السبب - على الخروج إلى الشوارع والحارات
لقضاء الوقت ، والاختلاط بمختلف أصناف الرفاق واكتساب عادات
ضارة تستوجب النقد أو العقاب .

فضلا عما يحدثه الفقر في نفوس الصغار من حنق وحقد على
« السعداء » أرباب الثراء وسخط على القوانين والنظم ، وما يسببه لهم
من ارغام على مغادرة مقاعد الدرس ودخول معتك الحياة في سن حادثة
لتحصيل القوت أو مساعدة الوالد في جهاده الشاق لاعالة الأسرة
وبلوغ حد الكفاف .

يبد أن أثر الفقر كما يبدو غير مباشر ، ولم يجد برت الفقر سببا
مباشرا إلا بين ٣٪ من جميع قضاياها ، وهو يقول : « إذا كان معظم
المجرمين هم من الفقراء والمحتاجين ، فليس معظم المحتاجين والفقراء
هم مجرمون »^(٢) .

وكذلك الشأن في الفقر النسبي ، أي حين يتوفر لدى الفرد حاجاته
الضرورية ولكنه لا يقنع بها ويطمع في الحصول على كماليات كثيرة ،

(١) ان جمع عدد كبير من أفراد العائلة في غرفة واحدة يضعف روح
الحشمة والوقار في نفوس الصغار ، ويسبب لهم نضوجا جنسيا مبكرا
بعض الأحيان .

(٢) برت ، المصدر نفسه ، ص ٢٨-٣٠ .

أو اشباع رغبات لا يقوى دخله على سد ثمنها وتكاليفها ويكون أثر ذلك عليه كأثر الفقر الحقيقي باعتباره عاملاً غير مباشر من عوامل الاجرام^(١). وسنأتي فيما بعد على بحث ذلك بتفصيل أوفى في فصل خاص.

٢ - انحلال كيان الأسرة

يتأثر الولد بكل فرد من أفراد أسرته ، فهو يأخذ عن والدته ، ويتعلم عن أبيه ، وينقل عن اخوته وأقاربه ، ولكل من هؤلاء تأثير خاص في تكوينه . وان أي تغيرات تحصل في الأسرة ، أو وقوع حادث لأحد والديه أو كليهما ليحدث في نفسه أثراً قد يبقى معه طول حياته ، وتلازمه ذكرياته في جميع أطواره .

ولقد وجد الباحثون في عدد كبير من قضايا الأحداث الجانحين أنهم أمام نقطة تتكرر كثيراً وهي وجود انحلال في كيان الأسرة وتفكك روابطها ناشئين عن وفاة أحد الوالدين أو كونه مطلقاً أو مهجوراً ، أو لوجود زوجة أب أو زوج أم أو أخوة غير أشقاء أو وصي أجنبي لا تربطه بالحدث صلة ، أو بسبب انفصالات موقفة أو دائمة بين الزوجين نتيجة اضطرابهما للعمل خارج المنزل لكسب العيش أو غير ذلك .

وان وجود الولد في مثل هذا الوضع غير الطبيعي وشعوره بالحرمان من المحبة والمطف والاطمئنان ، وكثرة ما ينتابه بسبب ذلك من قلق واضطراب في حياته الاتعمالية وال عاطفية تجعله يمتد في قرارة نفسه انه

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٢-٩٣ .

يواجه مشكلة صعبة معقدة لاطاقة له على احتمالها أو التغلب عليها. وينزع عندئذ ثقته من الكيان العائلي ، وبالتالي فانه يفقد ثقته بنفسه وغيره ، ويضطر في كثير من الأحيان إلى الهرب من المنزل للأزقة والحارات حيث يحتمل أن يبدأ فيها سلسلة من الأفعال المؤذية والأعمال غير المرغوب فيها .

اما تعاون الوالدين واتفاقهما والاحتفاظ بكيان الأسرة سليما فانه يخلق جوآ هادئا ينشأ فيه الولد نشوءآ متزنا ، مملوءآ ثقة بنفسه وبالعالم الذي يحيط به . ويؤكد الدكتور عبد العزيز القوصي في كتابه النفيس «أسس الصحة النفسية» أن دراساته لما يزيد عن ثلاثمئة حالة من حالات الأحداث المجرمين والمشردين قد دلت على أن الاجرام والتشرد يرجع في ٧٥٪ منها إلى انهيار صرح الأسرة^(١) .

وتؤيد الابحاث المختلفة الأخرى هذه النتائج التي وصل إليها الدكتور القوصي . فالسير ادوارد كادوغان Sir Edward Cadogan يقول إنه وجد ظواهر ضعف الرابطة العائلية أو انحلالها وتفككها بين نسبة عالية جداً من الأولاد المجرمين . وثبت لبرت أن عدد مثل هؤلاء الأحداث هو بين الجانحين ثلاثة أضعافه بين غير الجانحين^(٢) . ووجد سوندرز ومانهايم ورودز أن نسبة اضطراب كيان الأسرة بين المجرمين هي ٦٨٪ ، بينما هي لم ترد على ٢٨٪ بين الأشخاص المحافظين

(١) القوصي ، المصدر نفسه ، ص ١٨٦ .

(٢) ولاحظ آثار ذلك في ٥٨٪ في قضاياهم بين المجرمين . - برت المصدر نفسه ، ص ٦٤ ، ٩٣-٩٨ ، ١٠٠ .

على القانون^(١).

لهذا فإن مصلحة الآباء والأبناء والأمة ليست في انتاج المواليد دون حساب ، بل هي في أن يؤمن لهم قبل كل شيء أسرة سليمة ، وبيئة منزلية صالحة ، وإلا ضلوا السبيل ، وعاشوا عبثاً على المجتمع ، وكانوا مصدر شر لا ينقطع لأنفسهم وللآخرين .

٣ - التوجيه الخاطئ . وجهل الام

يقول برت انه ليس بين جميع عوامل البيئة ، أو بالحري بين جميع عوامل الاجرام على اختلاف أنواعها وأشكالها ما يوازي في أهميته وخطورته التوجيه الخاطئ أو النظام السيء في تربية الطفل وتنشئته ، وقد ثبت له أن ظواهر ذلك قد بدت بين المجرمين خمسة أضعافها بين غير المجرمين^(٢).

فلزوم الوالدين للصغار لا يقف عند حد اطعامهم وتأمين الكساء والسكن لهم بل ان من بالغ الأهمية أن يبذل الآباء كل جهد في توجيه سلوك أبنائهم توجيهاً صالحاً ، وان يصوغوا من الطفل انساناً يتفق مع الجماعة ويستطيع الحياة مع الناس ، ويساعده على تكوين شخصيته الخاصة ، ويتيحوا له فرصة النمو وفقاً للسبيل الذي يلائم استعداداته ويتسق مع ميوله^(٣).

(١) سوندرز ومانهايم ورودز ، المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

(٢) برت ، المصدر نفسه ، ص ٤٩ ، و ٩٦ - ٩٨ .

(٣) دوجلاس توم ، المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

وينبغي أن يكون كلا الوالدين رفيقا بالحدث صديقا له موطنا لثقته
« وليس من شيء أبث على الأسي من ولد شاء له سوء طالع له أن يرث
أهلا لا يسمحون له بالنمو ، ويحرمونه فرصة تكوين شخصيته تبعا
للخصائص العقلية التي وهب إياها أصلا ، ويستنكرون أي زيغ عن
الصرراط قد تدفعه إليه الطبيعة أثناء نموه »^(١).

والام هي الربى الأول المسئول قبل غيرها عن طفلها ، فعلها يغلب
اعتماده وعلى مجهوداتها تتوقف نشأته وتربيته . فهي التي تطعمه وتدفعه
وتوفر راحته وتجمل حياته بحسن التوجيه سعيدة محفوفة بالأمن
والطمأنينة والثقة بالنفس ، وتقوده بالارشاد الصحيح في سبل الخير
والتهذيب والصلاح .

ويتبع الآباء عادة في توجيه أبنائهم أساليب مختلفة . فمنهم من يلجأ
إلى الشدة والعنف ، ومنهم من يعمد إلى اللين وفريق يلجأ إلى اللين
والشدة معا ، وفريق آخر لا يعنى بأمر التوجيه كلية ويترك الولد وشأنه
يوجه نفسه بنفسه ويتعلم من أخطائه .

التوجيه بالشدة :

ولقد ثبت ان التماهى في استعمال الشدة والقسوة في تدريب
الحدث وتنشئته لا ينفع في تهذيبه وتقويم خلقه بل ان ذلك قد ينتج
عنده رد فعل غير صالح كالمقابلة بالمثل والاعتداء على الغير ، أو الهرب
من المنزل والتشرد والاجرام . فلدى الحدث ظمأ شديد للحب ناشيء

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢ .

بعضاً عن شعوره بالضعف والاعتماد على الغير . فإن لم يجد ما يطفى غلته هذه ، أو هو لو وجد ما يقاومها فإنه قد يصبح عنيفاً لا يجد في الحب معنى ، أو قد تتولد فيه روح عدائية نحو العالم في بقية حياته ^(١) . ووجدت برت أن الشدة قد كانت سبباً في وقوع ١٠ ٪ من قضاياها ^(٢) .

ولا يقتصر أثر القساوة على العقوبات البدنية وحدها بل يشمل الشدة في العقوبات النفسية كأن يذكر الطفل بخطئه ويوبخ عليه يوماً بعد آخر . وكثيراً ما تكون هذه الحالة أعظم ألماً ومضرة من العقوبات الأولى والواجب يقضي بأن يعود الآباء أنفسهم نسيان كل ما يتعلق بالذنب بعد توقيع العقوبة . كما ان بعض الآباء يرغبون أبناءهم على وجوب « الاعتذار » بعد معاقبتهم مباشرة ، ولكن في ذلك اذلاً لهم وجرحاً لكرامتهم وعزة نفوسهم . وخير طريقة هي أن يترك الطفل دون مناقشة بعد مجازاته لأنه يكون عندئذ غاضباً ، وليس من العدل أن تتوقع منه متابعة مناقشة منطقية وهو في مثل هذه الحالة النفسية الحادة ^(٣) .

ومن الآباء من يفرض ارادته ومشئته على أولاده وإن كانت لا تلائمهم مطلقاً ، أو تراه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة تتعلق بهم ، ويحكمهم على امتثال أوامره قسراً . ومثل هذا التصرف يورثهم التردد

(١) Claud Mullins, Why Crime, London, 1945, p. 33 .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٦ - ٩٨ .

(٣) القوصى ، المصدر نفسه ، ص ١٨٣ .

وضعف الشخصية ، وفطور عواطف الحب والعطف ، والنقمة على الآباء .
لهذا يحسن أن يقف الوالد موقف الموجه الناصح لأبنائه لا موقف
المستبد الحاكم بأمره .

وجدير بالإشارة أن من أكبر أخطاء الوالدين شدة انفعالهم أثناء
العقاب ، وإيقاعه بصورة انتقامية لا بروح اصلاحية مما يدعو الأطفال
لكراهيتهم ومقتهم . وليس يكفي العطف والحنان الذي يضممه الوالدان
نحو الطفل بل عليهم أن يخلقوا في البيت جوا من المحبة تسوده الرعاية
ويشيع فيه العدل والحكمة وحسن تصرف الأمور .

أما التهديد فهو طريقة أخرى شائعة لضبط قياد الأطفال ، لكنها
مع هذا أمر عديم النفع لا تنمر خيرا . فهي لا تؤدي إلا إلى إحدى
تيجتين ، فاما أن يسيطر الهلع على الطفل ويورثه الذلة والخضوع ،
واما أنه يتحقق بأن شيئا من التهديدات لن يحل به فلا يحفل بها البتة ،
وفي كلتا الحالتين تكون النتيجة واهية غير مرضية ^(١) .

التوجيه باللين

كما أن فقدان الحب الأبوي أو استعمال القسوة من العوامل
الضارة في التربية فكذلك الدلال الشديد أو اللين الزائد يحدث
تأثيرات سيئة في أخلاق الولد وسلوكه . ووجد البروفسور جلويك
Glueck ٣٨ ولدا بين قضاياه من المدللين ^(٢) .

(١) دوجلاس توم ، المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

(٢) مولنس ، المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

وقد ثبت للدكتور القوسي في القضايا التي قام بفحصها ودراسها
للأشخاص المجرمين والأسوياء أن الطفل الأول قد ظهر في ٣٨٪ منها، والطفل
الآخر في ٢٦٪، والطفل الوحيد في ١١٪، والابن الوحيد مع عدة
ذكور في ٣٪ منها جميعا . وهو يقول بأن هذه النتائج تتفق مع ما وصل
إليه أدل وبرت . فقد وجدت برت الطفل الوحيد مظهراً في ١٢١٪
من حالات الجانحين ، بينما هو لم يظهر إلا في ١٧٪ من حالات غير
الجانحين (الأسوياء)^(١) .

التوجيه المتذبذب بين الشدة واللين :

غير أن ما هو أخطر الأمور جميعا هو التذبذب في معاملة الحدث
أي الجمع بين الشدة واللين في آن واحد ، كأن يدلل الولد أولاً ثم إذا
بدرت منه هفوة بسيطة عوقب عليها بغير شفقة ولا رحمة . أو كأن
يقوم الولد بعمل فيوافق الوالد عليه ويرضى عنه ثم إذا هو عاوده استنكره
الوالد وجازاه بسببه . أو كما لو كان الوالد قاسياً شديداً بينما الأم لينة جداً
في معاملتها نلبي كل طلب لأبنائها وتتغاضى عن أخطائهم وأفعالهم السيئة
وتساعدهم على النجاة من العقوبة^(٢) . ومثل هذا النوع من
التوجيه لا يورث الولد غير القلق والحيرة والتردد والاضطراب النفسي
وعدم القدرة على البت في صفات الأمور .

ويرى هادفيلد أن الشدة الثابتة خير من اللين مع التذبذب .

(١) المصدر السابق ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) ومثال ذلك أن يشتتم الولد أباه فيضحك الوالد لهذه الشتمية ،
ويسر لها ، لكنه إذا أعادها الولد حنق عليه بسببها وضربه عليها ضرباً
مبرحاً .

فالسياسة الثابتة تسهل على الطفل طاعة السلطة ، وتقدير الأمور على حقيقتها ووجهها الصحيح ، وتساعده على حسن ادراك النتائج المترتبة على سائر صنوف سلوكه وأعماله .

اهمال التوجيه بالمرءة :

كثيراً ما يحدث أن لا يوجد في المنزل أي نظام لتوجيه الأطفال بالكلية ، فيهمل الحدث اهمالاً مطلقاً ، لا يأبه أبواه أو غيرهم لسلوكه وتصرفاته ، ولا يعينان بملاحظته وتقويم خلقه ، أو بمراقبة نموه وحسن تربيته . وهذا الوضع يتفق مع ما ينادي به بعض المربين من وجوب ترك الأبناء يتعلمون كل شيء في الحياة بأنفسهم عن طريق ردود الفعل التي تصيبهم نتيجة أعمالهم وأخطائهم . فان جاءت النتيجة مؤلمة كان طبيعياً أن يتجنب الطفل العمل الذي أدى إلى ألمه ، وان بدت سارة كان طبيعياً أن يزاوله حتى يصبح فيما بعد عادة ثابتة . وهؤلاء هم الذين يدينون بما يسمى « مبدأ التربية الطبيعية أو التربية السلبية » .

يبد أن في هذا المبدأ اسرافاً في الاعتماد على قدرة الطفل في توجيه نفسه وضبط سلوكه . لذا فليس من الحكمة ترك الصغير يكتسب تجاربه واختباراته وحده دون قائد يرشده أو ناصح يوجهه . وهناك مواقف كثيرة تؤثر تأثيراً قوياً على خلق الحدث أو تهدد صحته أو حياته ومستقبله لا مندوحة من تدخل الآباء في أمرها والحيلولة دون وقوعه في أخطارها أو إصابته بأضرارها . ومثال ذلك الحالات التي يعتمد فيها

الولد الى مخالفة الآداب العامة ، أو الصياح والتخريب وازعاج الغير
أو الاعتداء على الآخرين . ولا شك في ان الاهمال المطلق - لا سيما
اهمال تهذيب الخلق - نوع من التقصير المؤذى الذي لا مبرر له يدفع
بالولد غالبا إلى حظيرة الرذيلة ويوقعه في كثير من المشاكل والصعوبات
وربما إلى الاجرام .

اخطار جهل الام

لعلنا لا نكون مخطئين في قولنا بأن المسئولية الرئيسية في تهذيب
الأطفال وتدريبهم على العادات الصالحة وتربيتهم تربية فاضلة انما تقع
على كاهل الأم . فان هي أحسنت وظيفتها ، وأدت رسالتها على الوجه
الأكمل ، فما أبنائها نمواً طيباً ، ونشأوا نشأة سليمة لا عوج فيها ولا
شدوذ ، وعاشوا سعداء هائنين وأعضاء عاملين نافعين في المجتمع . وان
قصرت في ذلك ، أو كانت عاجزة عن القيام بأعباء هذه المهمة
الخطيرة تحتم على أبنائها أن ينجسوا ثمرات جهلها واهمالها ، وترتب عليهم
أن يحملوا وزرها ويعانوا نتيجة سوء تربيتها وفساد توجهها خطيئات
جمة يقومون فيها ، والتعرض لأخطار الرذيلة والفساد .

وفي كثير من الحالات نجد أن الأم الجاهلة نفسها قد كانت
عاملاً قوياً في سلوك أبنائها الجنائي وحياتهم المضادة للمجتمع بتشجيعها
إياهم على اكتساب العادات السيئة ، وجعلهم أنانيين متكليين عليها
لا يستطيعون الاندماج بأفراد الأسرة الآخرين ، ولا الانسجام مع

الاصحاب والرفاق ، عاجزين عن احترام النظم والأصول ومراعاة أحكام التقاليد . وهذه الحقائق تدلنا على أن المشكلة الحقيقية قد لا تكون في البناء بل في الآباء ، لاسيما الأم . ومن هنا تبدو لنا أهمية تعليم الفتاة وتهذيبها وثقيفها وإعدادها لأن تكون أما فاضلة راقية تحسن ، كما قلنا في كلمة الاهداء ، صياغة نفوس أطفالها ، وتهذيب أخلاقهم ، وصقل عقولهم وصيانة أبدانهم ، فتخلق منهم أبناء سعداء أسوياء ، ورجالا أشداء أقوياء . ولا شك في ان أعظم كارثة تصيب الأولاد في مستهل حياتهم أن يكونوا أبناء لأمهات جاهلات ، وان أعظم خسارة تحمل بالأمه أن يكثر فيها أمثال هؤلاء الامهات .

ومهما يكن الامر فانه لمن واجب الاب ، اذا كانت الأم جاهلة ، ان لا يكل الأمر كله في التربية اليها ، وأن يرسم لها منذ البداية الخطوط الرئيسية الواجب عليها اتباعها ومراعاتها ، وأن يعاونها الى اقصى حد مستطاع في تطبيقها وتنفيذها ، وإلا عد شريكاً لها فيما ترتكبه من أخطاء ، ويصعب عليه فيما بعد التدخل جدياً في « الموضوع » من غير أن يثير تدخله هذا نقمة « الأولاد » عليه وكرههم له ونفورهم منه .

وجملة القول ان من أهم واجبات الآباء بذل كل جهد وتحمل كل عناء في سبيل العناية بتنشئة الأطفال نشأة قويمه سليمة ، وتنظيم علاقاتهم بهم على أسس صحيحة ، وضرورة الأخذ بيدهم نحو الاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس واتبع طرق الخير والفضيلة ، ومعاملتهم

بمقل وصبر وحكمة وأناة ، وأن يجعلوا لهم في ذلك سياسة ثابتة حازمة لا تذبذب فيها ولا التواء ، وأن يعاملوا كل ولد منهم حسب عمره ومركزه واستعداداته وتقدم نموه وتطوره ، ويقوموا بمعالجة المشاكل التي تعرض لهم بمجد وعناية ورفق واهتمام . فان على حسن قيامهم بذلك يتوقف مستقبل الصغار ويتعين مصيرهم في الحياة .

ولقد وجد هيلي وبروزر أثر قسوة الوالدين والتوجيه المنزلي الخاطيء في ٩١ ٪ من قضايا الأحداث المجرمين ، بينما لم يبد لها مثل ذلك إلا في ١٣ ٪ فقط بين المحافظين على القانون .

ووجد برت أثر التوجيه السيء في ٦١ ٪ في قضايا الجانحين ، و١٢ ٪ في قضايا غير الجانحين^(١) . ومن مجموع ١١٠٠٠ حدثت تقدموا للمحاكمة في أميركا وجد أن ٤٠ ٪ منهم قد نشأوا في بيوت يقوم فيها التوجيه في الأسرة على أسس خاطئة ضارة^(٢) .

٤ - فساد الجو الخلقي

إن كثيرا من المجرمين هم نتاج المنزل الذي يسوده الخلق الساقط كالأجرام ، واللغة البذيئة ، والنزاع الدائم بين الأبوين . فهذه الحالات وأمثالها تجعل الأحداث في الغالب يستخفون بالأفعال الاجتماعية ويستهيئون بالجريمة ويقدمون عليها دون تهيب . ولقد وجد برت أن ٢٦ ٪ من المجرمين الأحداث قد نشأوا في بيوت ذات جو خلقي

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) ايلكين ، المصدر نفسه ، ص ٢٤ - ٢٦ .

فلسد بينهما هو لم يلاحظ ظواهر ذلك إلا في ٦٪ بين الأولاد غير المجرمين .

فالبيت الذي تنتشر فيه الرذيلة والفساد يسبب الألم والتعاسة في قوس الأولاد ، كما يتيح لهم فرصة تقليد الأب أو الأم أو غيرهما من أعضاء الأسرة في نواحي شذوذهم وسوء سلوكهم ، ويأخذ الواحد منهم أحيانا - بسبب ذلك - في الاقدام على القدح والذم والاعتداء والتشرد والسطو والسرقة والتخريب نتيجة فقدان سيطرته على ذاته أو رغبته في التخفيف عن هموم نفسه ووساوسها^(١) .

فاذا أدرك الصغير أن أباه مجرم تريل السجن ، او ان والدته ساقطة الخلق اتجه بأفكاره نحو الرذيلة وعدم احترام القانون وعمد إلى محاكاة أفعالها بصورة شعورية أو لا شعورية . وان هو فطن إلى ان سلوك والديه هو أسوأ من سلوك الأفراد الآخرين ، ولا سيما الجيران ، أضاع احترامه لهما ، وب نفسه ايضا ، وتولد فيه شعور بالقصور والنقص يؤدي به مرات إلى مسالك الشر أو الاجرام . وظهر لسوندرز ومانهايم ورودز أن وجود شخص مجرم آخر أو أكثر في المنزل قد بان لهم في ٩٪ من قضايا المجرمين ، بينما لم ترد هذه النسبة عن ٣٠٪ في حالات الأشخاص العاديين^(٢) .

ومن مظاهر البيت الفاسد الادمان على المسكرات . وثبت لبرت

(١) بريت ، المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

(٢) سوندرز ومانهايم ورودز ، المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

ان ظاهرة الادمان على تعاطي الشراب هي بين المجرمين ثلاثة أضعافها عند غير المجرمين . ولا يعتبر السكر في المنزل عاملا مباشرا من عوامل اجرام الأبناء ، انما هو يؤدي غالبا الى التنافر والخصومة بين الوالدين والعنف وسوء معاملة الأولاد ، ويجر الأحداث المنافية للحياء والسلوك المخالف للأداب ، وهذه تحدث آثارا خطيرة في نفوس الصغار ^(١) .

واتفقت كلمة الثقات ان استمرار الخصومة والنزاع بين الأبوين سبب هام من أسباب جرائم الأحداث . فعندما يعيش الأبناء في جو مفعم بروح الخصومة والعداء والبغضاء ينتابهم القلق والاضطراب والهم والألم وعدم الاطمئنان للوالدين وفقدان الثقة فيهما ، والنظرة إليهما نظرة شك وارتياب . كما ان الصراع الدائر بين الوالدين يدفع الولد لالتزام أحد الجانبين أو كليهما بالتناوب ، طمعا في الحصول على بعض المنافع الخاصة ، وهو تصرف سيء ضار يعود على الأمانة والحجابة والتذبذب وثبت لشلدون وجويك Sheldon and Glueck أن ٧٠٪ من الأحداث المجرمين الذين قلما بفحصهم قد تربوا في بيوت استحكم العداء فيها بين الآباء والامهات ، أو بين الوالدين والأبناء ^(٢) .

فمن عوامل الشذوذ والاجرام في الأسرة حصول خلل في العلاقة بين الحدث وأبويه ، كأن يفضل عليه أحد إخوانه أو إحدى أخواته ، واثارة روح الحسد والبغية في نفسه . أو أن يكون زواج

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

(٢) مولانز ، المصدر نفسه ، ص ٥٦ - ٥٧ .

والديه فاشلا لم يقرن بالسعادة التي كانا يطعمان فيها ويجدان في ابنهما آثار هذا الزواج التمس فيعاملانه - كأن الذنب في ذلك ذنبه - بقسوة وعنف مما يثير الاضطراب في حياته العاطفية ويسبب اعوجاج شخصيته^(١). كذلك فإن الولادة غير الشرعية تلعب دورها هي الأخرى في دائرة الجريمة وتعتبر من أسبابها الهامة . فالولد غير الشرعي يعيش من غير أب يريه ويسهر على حسن تنشئته ، فيصبح عديم الخلق ، وربما نائراً في اتجاهاته وميوله ومعتقداته . وقال الدكتور بونجر W. A. Bonger وهو عالم جزائي ألماني : « يكون الولد الطبيعي عرضة لأن يصبح مجرماً ضعفاً ما يكون معرضاً له لو كان ولداً شرعياً . وإن كانت بنتاً غير شرعية فإن احتمال تعرضها للجريمة يكون عندئذ أربعة أضعافه فيما لو كانت بنتاً شرعية^(٢) .

وهكذا فإن الحدث الذي يعاني حياة عاطفية مضطربة ، ويعيش في جو يبعث في نفسه الألم والحسرة والقلق والحجل ، ينمو فيه شعور الكره للعالم والفرع منه وتتقوى عنده روح التحدي والتعدي والانتقام والاجرام^(٣) .

(١) ايلكين ، المصدر نفسه ، ص ٢٤ - ٢٦ . ودوجلاس توم ، المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٢) مولانز ، المصدر نفسه ص ٩٦ - ٩٧ .

(٣) وإن أهم ما يلزم عمله في مثل هذه الحالة ليس جلده أو معاقبته ومجازاته بل اصلاح ما يمكن اصلاحه في بيئته ؛ ومكافحة الاسباب والدوافع الاساسية التي أثرت فيه وحملته على الشطط والفساد .

الفصل الثالث

المدرسة

المدرسة هي البيئة الثانية للطفل وفيها يقضي جزءاً كبيراً من سني حياته لاستكمال بناء وضع أساسه في المنزل ، واكتساب العلم والمعرفة والتربية الحققة . فهي اذن عامل عظيم الأثر في تكوين شخصية الفرد وتقرير اتجاهاته ومسالكه في حياته المقبلة وعلاقاته في المجتمع الأكبر ولقد رأينا المحاكم ورجال الشؤون الاجتماعية في بعض الدول يعززون شذوذ فريق من المجرمين وأفعالهم الاجتماعية إلى تقصير المدرسة في أداء رسالتها وفشاها في إعداد أبنائها أعداداً صالحاً لمواجهة الحياة في أحوالها المختلفة ، وعـدم إيجاد عقلية متزنة فيهم تساعد على التكيف مع ظروف البيئة وأوضاع المجتمع . كما رأيناهم ينددون بمواقف الأساتذة من التلاميذ وإهمالهم تقوية صلاتهم بهم ، وتهاونهم في فهم نوازعهم ومطامعهم ورغباتهم مما لا يتفق وروح التربية الحديثة ومصلحة الأمة .

وبالاجمال فان هؤلاء الناقدين يؤيدون اتهاماتهم بأدلة كثيرة أهمها : إهمال شخصية التلميذ ، والتوجيه المدرسي الخاطيء ، وفساد الجو الأدبي في المدرسة ، وفرض مواضيع دراسية غير نافعة . وسنبحث كل حجة منها فيما يلي على انفراد .

اهمال شخصية التلميذ

جرت العادة في بعض المدارس اعتبار التلميذ كآلة الصماء تطبع عليها الحروف والكلمات والعبارات ، والاقتصار على حشو ذهنه بالمادة العامة من غير اكتراث بشخصيته ونفسيته ونواحي نشاطه وفاعليته ، وحشد أكبر عدد ممكن من الطلاب في الصف (الفصل) الواحد مما لا يتأتى معه تعليم مشر أو ارشاد مفيد أو اتصال نافع بين المعلم والتلميذ .

التوجيه الخاطيء :

أما التوجيه الخاطيء فيرتكز على أساس من السلطة خالية من العطف ، والتذبذب في المعاملة بين الشدة واللين ، ومعالجة المواقف المتشابهة بطرق وأحكام متناقضة مقترنة أحيانا بحالات الغضب والشدة أو التهم والاعتداء مما يحدو ببعض التلامذة ان عاجلا أو آجلا الى الثورة على العلم والتعليم ، والنفور من كل سلطة ونظام ، وتكون المدرسة والحال هذه عاملا قويا من عوامل الانحراف الخلقي والسلوك الاجتماعي . لهذا وجب أن يكون هنالك أسلوب واحد لحل القضايا المتماثلة ، ولزوم اتباع سياسة الحزم المشبعة بروح العطف . ومثل هذه السياسة تبعث الشهور بالعدل الاجتماعي في المدرسة واطمئنان التلامذة وحبهم لمدرستهم وزملائهم ومعلميهم . وحين يتوافر الحب والاطمئنان في نفس الطالب نحو مدرسته وكيف سلوكه بحسبها مها يكن تكوينه في المنزل . فهو ان كان مدلا قد يجد صعوبة في بادية الأمر في

الانسجام والتوافق مع مقتضياتها وأحوالها لكنه سرعان ما يعود النظام ويصل في النهاية إلى تحقيق هذا التوافق والانسجام . وان سبق له ان عاش في جو قاس عنيف فانه لا بد يرحب بما في الجو الجديد من رعاية وعطف^(١) .

الجو غير الصالح :

في كثير من المدارس لا يتوفر للطالب قسط من الحرية والشعور بالمسؤولية ، ولا يجد له مكانا ينمو فيه نمواً يتفق وطبيعته وحاجات المجتمع يحرره من المنزل تدريجاً ولا يفقده كيانه الفردي واحترامه لنفسه . وفي مثل هـ — ذا الجو البغيض يصيب التلميذ حس بالاخفاق والفاق والقصور والنزوع إلى بعض الأعمال غير الاجتماعية لاثبات ذاته ، والتمويض عن قصوره^(٢) .

المواضيع والاساليب غير الملائمة :

تفرض المدارس أحياناً في برامجها مواضيع لا تلائم حاجات التلميذ النفسية^(٣) ، وتتبع فيها أساليب التدريس القديمة ، ويختار لها أساتذة غير أكفاء يعتبرون أنفسهم حكماً بأمريهم لا يحاولون التعرف

(١) محمد عطية الابراشي ، التربية الحديثة ، القاهرة ص ٨ .
والقوصي ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٧-٢٢٨ . ودوجلاس توم ، المصدر نفسه ، ص ٢٧٧ .

(٢) القوصي ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٢ - ٢٢٥ .

(٣) فمما يدفع ببعض التلامذة إلى النشوز ما يشعرون به من ضغط في نفوسهم من جراء بقائهم عدة ساعات في كل يوم لتلقي دروس لا يميلون إليها ولا قابلية لهم على هضمها .

بتلامذتهم والوقوف على قدراتهم العقلية وحياتهم الوجدانية والقوى
الكائنة فيهم التي تبث فيهم الجد والنشاط أو تعرقل نجاحهم وتقدمهم
وميلهم للإنتاج . وانه يمكن اسداء كثير من الخير وتجنب كثير من
الشر^(١) ، لو شعر الطلبة في المواد التي تقدم لهم لذة وكسبا حقيقيا في عقولهم
أو شخصياتهم ، أو لو أن المعلمين قد اكتشفوا النواحي الطيبة فيهم
وعملوا على تقويتها وانماؤها .

فالمدرس في ميدان التعليم قائد لتلاميذه ، ويجب أن تكون
علاقته بهم كعلاقة الأخ الأكبر باخوانه الصغار يهيء لهم الجو الصالح ،
ويشارك معهم في مشاعرهم واحساساتهم وجميع نواحي نشاطهم . وعليه
أن يظهر لهم صريحا مخلصا طبيعيا لا يتصنع ولا يتكاف .

وقد يرد على هذه الأقوال بأن المدرسة غير مسئولة عن حوادث
التشرد والاجرام وانما المسئول عنها هو المنزل ، ولكن الناقدين يجيبون
على ذلك بأنه لو توافرت في الجو المدرسي ظواهر العطف واحترام
شخصيات الطلبة ولم يوضعوا في مآزق تسبب لهم القلق والفشل
والاخفاق لشعروا بأنهم ينتمون الى مجتمع راق سعيد وبذلك تقوم
المدرسة بتخفيف أثر المنزل أو معالجته .

لهذا فان على المدرسة أن تفهم رسالتها فيها واضحا وان يدرك
العاملون فيها حقيقة الصلة بينها وبين المنزل من ناحية ، وبينها وبين

(١) فلقد وجد بروت آثار المدرسة السيئة في ٧٠/٠ من قضاياها - بروت ،

المصدر نفسه ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

المجتمع الأكبر من ناحية أخرى، وأن تهى للتلاميذ جوا يقوي شخصياتهم وينمي ملكاتهم ومواهبهم، وتزودهم بالصفات الخلقية التي يحتاجونها فيما بعد في الحياة العامة.

وعلى الاستاذ أن لا يجيد معرفة المادة التي يعلمها فحسب بل يلزمه أيضاً أن يحسن معرفة الذين يعلمهم، وأن يبين أيدي المدرسين والمربين فرصة لاتتاح لأصحاب أية مهنة أخرى لاتقاز مئات الأفراد من الانسياق وراء الميول والنزعات المموجة التي كثيراً ما تدفع بهم إلى حظيرة الفساد والاجرام.

كما تتطلب اصول التربية الحديثة جعل الدروس والمدرسة محبوبة لدى التلامذة بما تدخله في جملة وظائفها من ألعاب وتمثيل ومناظرات ومحاضرات ومنافسات شعرية وأدبية ورحلات علمية وغيرها من أسباب الترفيه والتشويق والنشاط ودعم الشخصية والثقة بالنفس، وضرورة دراسة الطلاب ومعرفة ميولهم وتقويم خلقهم وحسن توجيههم وارشاد كل منهم لما يصلح له حسب استعداداته الخاص وقابليته الحقيقية. عندئذ تكون المدرسة قطعة من المجتمع أو صورة صحيحة عنه^(١).

الامية والجريمة :

تدل الاحصاءات الكثيرة أن عدد غير المتعلمين أكبر عدداً من المتعلمين بين المجرمين ولكن الأمية لا تكون وحدها سبباً في الاجرام

(١) الابراشى، المصدر نفسه، ص ١٠ - ١١. القوصى، المصدر نفسه، ص ٢١٣ - ٢١٦، ٢٣٠.

وإنما يرجع ذلك لعوامل أخرى نفسية وبيئية ذات أثر في السلوك ، أو تكون الأمية والاجرام نتيجتين لعامل مشترك واحد كالتقصير العقلي أو الانحراف الخلقي وغيرها .

وورد في احصاءات الولايات المتحدة عام ١٩١٣ أن نسبة الأمية بين مجموع السكان لا تزيد على ٧٪. بينما كان الأميون يؤلفون ٢٤٪ من السجناء الذين ارتكبوا جرائم اعتداء على النفس ، و ٢٠٪ ممن ارتكبوا جرائم القتل ، و ١٧٪ ممن خالفوا قوانين منع الخمر ، و ١٤٪ من الفاسقين باكره ، و ١١٪ ممن انتهكوا قوانين المخدرات ، و ١١٪ من الساطين . غير أن نسبتهم بين من ارتكبوا جرائم الاختلاس كانت أقل من ١٪ ، وبلغت ٣٪ بين المحتالين ، و ٦٪ بين مرتكبي السرقات .

أما الجرائم التي اقترفها غير الأميين فكان عددها فيمن تلقوا تعليما ابتدائيا أكثر من ضعفها فيمن تعلموا في السكليات . وكانت نسبة جرائم الأميين إلى جرائم من درسوا في الجامعات كنسبة ٣ إلى ١ . ومن ذلك نستدل على أهمية التعليم - لا سيما التعليم العالي - في رفع المستوى الخلقي والسلوك السوي ، وما يولده الجهل والتقصير العلمي من مشاكل وصعوبات في الحياة^(١) ، واندفاع في سبيل الفساد والضيال .

(١) وعلى الاخص فانه من العسير على المتعلم أن يجد عملا ، وأن يعيش خيرا من غير المتعلم ، ويجد لنفسه حولا ملائمة لما يعترضه من مشاكل وآلام . - راجع أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

الفصل الرابع

البطالة والفقر

البطالة والجريمة :

البطالة من الاسباب المهيئة للجريمة الدافعة اليها ، ولا شك في أن ألد أعداء الجريمة وفرة الأعمال . فالبطالة ان أصابت شخصاً أدت به إلى الكسل وضعف الهمة ووهن العزيمة ، وحملته أحياناً على تماطي المسكرات ولعب القمار والتردي في الرذيلة ، وساقته للحقد على المجتمع والثورة على النظم .

وهناك الوف من الناس يقعدون في كل سنة أسابيع وشهوراً دون عمل يزاوونه أو أجر يتقاضونه أو مورد يعتاشون منه على الرغم من رغبتهم في السعي وجدارتهم لممارسة صنوفا كثيرة من المهن والحرف . فتراهم عندئذ مثقلين بتكاليف لا طاقة لهم على احتمالها وهموم لا يستطيعون كتمانها أو الصبر عليها .

ودلت الاحصاءات التي اجريت في أوروبا وأميركا على ازدياد جرائم المراهقين من كلا الجنسين زيادة سريعة مفاجئة حوالي سن الخامسة عشرة وما بعدها ، وشدة انتشار الاجرام ابان الأزمات الاقتصادية الخانقة حيث تعم البطالة وتقل الأعمال وتنخفض الأجور . فالشاب اذ ينتقل من المدرسة إلى الحياة العملية يجد نفسه وجها

لوجه ازاء موقف جـديد عليه بالكلية يورثه كثيرا من القلق والاضطراب .

انه يرى أنه قد أصبح رجلا حراً مستولاً تملأ نفسه آمال جسام ويرنو إلى العمل لا ليعيش فحسب بل لبلوغ أعلى المراتب وتحقيق أعذب الأمنى والأحلام . فاذا هو لم يجد عملاً شمر بخيبة مرة وألم عظيم ، فيعمد عندئذ اذا كان قليل الصبر ضعيف الحيلة إلى التفكير في الانتقام من المجتمع الذي حال دون وصوله الدرجة التي يرجو بلوغها ، ويلجأ إلى طرق الثأر لنفسه المفجوعة في أجل أمانها ، وسبل الاجرام فيسلكها من سرقة أو نصب أو احتيال أو غيرها من ضروب السلوك اللا اجتماعي والعيش غير الشريف .

وظهر لسوندرز ومانهايم ورودز ان نسبة البطالة قد بلغت سنة ١٩٤٢ في لندن ١٩.٥٪ بين المجرمين الشبان في سن الخامسة عشرة ، و ٣١.٢٪ بين أولئك المجرمين في سن السادسة عشرة ، في حين ان تلك النسبة لم تزيد عن ٧.٠٪ بين المراهقين غير المجرمين الذين بلغوا الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمرهم^(١) .

ودل تقرير مكتب الاحصاء في الولايات المتحدة في إحدى السنين أن ٣١٪ من الجناة كانوا من العاطلين ، وان ازدياد البطالة قد أدى ابان إحدى الازمات الاقتصادية لازدياد حوادث الاجرام بقدر ٣٠٪

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ٨٤ ، ١٠١ .

عن معدلها القديم . أما جرائم التسول والتشرد فقد ازدادت في تلك
الأزمة ١٠٥٪ ، وجرائم السرقات البسيطة ٧١٪ ، وحوادث الاتجار
٣٧٪ ، والسرقات الكبيرة ٢٨٪ ، وحوادث الطلاق ٢٣٪^(١) .

كما أيدت دراسات نورود إيست ان الأشخاص أكثر قابلية
للاجرام أيام البطالة عما تكون عليه حالهم أيام العمل . وثبت له ان
المجرمين العائدين ماضيا أسوأ في البطالة من ماضي المجرمين الناشئين
أوالمبتدئين . وهو يقول بأن للبطالة أو العمل غير المنتظم Casual Work
أثراً قوياً في العود وتكرر الجرائم^(٢) .

ويستدل من تقارير كثيرة وضعت خلال أزمات البطالة في الغرب
على ان أعداداً كبيرة من العمال العاطلين كانت تذهب في كل يوم إلى دوائر
الشرطة أو إلى مديريات السجون طالبة منها اعتقالها كي تحصل على
القوت . كما كان العمال يعمدون اذا مارفضت طلباتهم هذه لارتكاب
السرقات وجرائم الاعتداء عن قصد علنا عليهم بذلك ينجحون في
دخول السجون والنجاة بأنفسهم من أخطار الفاقة والجوع .

ولقد حاول بعضهم البحث عما اذا كان للبطالة علاقة خاصة ببعض
أنصاف الجرائم أم ان صلتها بالجريمة عامة تشمل أنواعها كافة ، فظهر لهم ان
ازدياد الاجرام في ازمات البطالة يغلب ان يقتصر على حوادث السرقات

(١) عونى الدجاني ، المصدر نفسه ، ص ٣٦١-٣٦٢ . احمد عزت راجح ،

المصدر نفسه ، ص ٣٧٦ - ٣٧٩ .

(٢) نورود ايست ، المجرم المراهق ص ١٦٦ .

والاحتيال والاختلاس وجرائم المال ، اذ ان من يرتكب هذه الجرائم عادة هم العاطلون نتيجة الضيق وشدة الحاجة الى المادة . لكن نورود ايست ينكر ان يكون هناك اي ارتباط هام بين البطالة - لا سيما بطالة المراهقين - وبين الجرائم ضد الأموال ، وانما هو يجد مثل هذا الارتباط موجوداً بينها وبين الجريمة بوجه عام^(١).

الفقر والجريمة :

لقد ذكرنا من قبل شيئاً عن أثر حالة الاسرة الاقتصادية السيئة - أو الفقر - في نشأة الأطفال وسلوكهم ، ولكن أثر الفقر لا يقل أهمية وخطورة عن ذلك في سلوك الراشدين والكبار ، فهو عامل مهم عندهم من عوامل الأفعال المضادة للمجتمع ، ومصدر كثير من المشاكل الاجتماعية الخطيرة .

والفقر في الحقيقة بلاء عظيم اذا أصاب انسانا جعله يحيا حياة الكفاف ويعيش عيشة القلة والحرمان ، تحيط به المنقصات والآلام من كل جانب . واذا حل في منزل سلب منه الطمأنينة والراحة ومباهج النفس ومسراتها ، وأورث أهله الهم والقلق والاضطراب . واذا دام أسرة حمل معه اليأس ودفع برجلها ونسائها وأطفالها الى ساحة النضال العنيف الشاق طلبا للرزق الحلال أو الى السرقات والدعارة والكسب الحرام .

(١) نورود ايست ، المجرم المراهق ، ص ١٦٦ .

فللناس حاجات لا غنى لهم عنها ، ان اعجزهم نوالها بما يتفق
وأحكام الشريعة لجأوا إلى تحقيقها في كثير من الأحوال إلى
وسائل الاجرام^(١).

كما قد يورث الفقر عند بعضهم وهن الشخصية وضعف العزيمة
واقباس الأفكار الرديئة والمبادئ الهدامة وكرهية الحكومة والخذل
على المجتمع وازدراء القانون والنظام^(٢) ، ويحول دون تقدم الفرد وتحقيق
آماله وما يطمح إليه ، ويعمل على اضمحلال رغباته الصالحة والانتقام
في الفساد والذيلة لا سيما اذا اعتقد الفقير أن ليس لديه ما يخشى فقده
أو يحرص على المحافظة عليه والفخر به ، او ان هو لم يجد أحداً يشجعه
على ضرورة الصبر والاحتمال ويمت فيه روح الأمل في التقدم
وتحسن الحال .

ولقد دلت الاحصاءات الحديثة على عدم توزيع الثروة توزيعاً
عادلاً بين السكان في معظم البلدان . وظهر في الولايات المتحدة عام
١٩٣٩ أن ١٪ من السكان يملكون ٦٣٪ من الثروة القومية ، و ١١٪
منهم يملكون ٣٠٪ منها ، بينما لا يملك الـ ٨٨٪ الباقون سوى ٧٪
منها ، وحتى في هذه الحالة الأخيرة فان الفروق في الأملاك قد بدت
شاسعة بينهم^(٣).

(١) بل ان هذه الحالة نفسها تشاهد بين بعض الموسرين وأرباب
الثراء .

(٢) اذ يحسب الفقراء أن الحكومة لا تحمي الا الاغنياء ، والقانون لا ينفع
غير الاثرياء ، في حين أنهم (الفقراء) يشكلون عامة الشعب وغالبية
السكان .

(٣) عوني الدجاني ، المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

ودلت دراسات أخرى لأتفي حدث في الاصلاحيات الأميركية أن ١٩٪ منهم ينتسبون إلى عائلات فقيرة ، وأن ٩٠٪ من نزلاء السجون في ايطاليا هم من الفقراء .

ومن خص ٤٦٠٠ فرد من الجانحين في الولايات المتحدة ثبت ان ٧٠٪ منهم ينتمون إلى أسر تعسة شديدة الفقر ، و ٢٣٪ منهم قد نشأوا في عائلات فقيرة ، و ٤٪ منهم جاءوا من بيوت متوسطة الحال ، و ١٪ منهم لم تعرف حالاتهم . والمهم انه لم يظهر بين هـذا العدد الكبير كله فرد واحد ينتمي إلى أسرة « حسنة جداً » في حالتها المادية^(١) .

ومن نتائج الفقر غير ما ذكرنا انه يحول بين الأطفال وحصولهم على الرقابة الأبوية الصالحة ، ويمنعهم من التعليم ، أو يرغمهم على ترك مقاعد الدرس والانصراف للعمل في سن مبكرة للمساهمة مع الوالدين في تحصيل القوت واتقاذ الأسرة من براثن الجوع . كما يكون سببا من أسباب النزاع الدائم بين الزوجين ويؤدي بعض الأحيان إلى الهجران او الطلاق .

أما مسألة ترك الطلاب للمدرسة قبل الأوان فقد شغلت بال كثير من الأمم الغربية فاتجهت إلى علاجها . ودل بحث أجري في الولايات المتحدة لـ ٨٠٠ ولد انقطعوا عن المدرسة سعيا وراء الأعمال فوجد أن

(١) المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .

٢٦٢ منهم قد تركوها من الحاجة ، و ١٥٤ تركوها لأنهم آثروا العمل على الاستمرار فيها ، و ٢٩٦ لعدم رضاهم من الحياة المدرسية وتبرمهم من نظامها ، وتركها ١٠٥ لأسباب مختلفة يرجع أغلبها إلى تدخل ظروف اجتماعية في اتمام دراستهم^(١).

فهل من المستغرب بعد هذا كله أن نرى الفقر والاجرام صنوين يمشيان معاً جنباً إلى جنب ؟ وهل يثير الدهشة أن نرى عدداً غير قليل من المحتاجين والفقراء بين الجناة ؟ ليس الغريب هذا ولا ذاك ، لكن الغريب حقاً أن نشاهد معظم الفقراء والمحتاجين من الأسوياء أو السعداء ، بعيدين عن الرذيلة وساحة الاجرام^(٢).

وخلاصة القول في هذا الشأن أنه كلما كثرت الأعمال ، وخفت البطالة ، وارتفعت الأجور ، وتحسن مستوى العمل والمعيشة ، وكان العمل متلائماً مع ميول الفرد ويجد فيه التقدير والتشجيع أمكن ضمان حياة هائلة مخوفة بالنعيم والسعادة ، وانتهاج سلوك اجتماعي حميد ، وبذلك تهبط نسبة الجرائم هبوطاً كبيراً ، وتقل أعمال المحاكم ، ويترد تقدم المجتمع والأفراد على السواء .

(١) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٣٤١ - ٣٤٢ .
(٢) فالفقر لا يؤدي حتماً للجريمة . لكنه يعتبر عاملاً غير مباشر فيها يقوى الدوافع اليها . وإن كانت وطأته شديدة فقد يحمل على السرقة أو الدعارة وسائر أشكال الاجرام .

الفصل الخامس

رفاق السوء واوقات الفراغ

رفاق السوء والجريمة :

للرفاق سيئي الخلق تأثير كبير في الحث على الجريمة وخصوصا لدى الأحداث . فقد لاحظت برت آثار زملاء الأشرار في ٢٥٪ من قضاياها ، في حين وجد هيلي آثارهم بين ٦٢٪ من حالاته الـ ٣٠٠٠ (١) . ولكن هذا العامل في حد ذاته ثانوي غير مباشر أكثر مما هو عامل رئيسي ، وقما يكون له نتيجة خاصة دون أن يكون هنالك استعداد سابق في نفس الفرد يهيئه لقبول الاستهواء والانقياد إلى وحي الغير . فالنفس السليمة كالجسم السليم لديها حصانة من العدوى والاصابة بالأمراض . والرفاق على انواع : منهم الأتراب الذين هم في مثل سن الطفل أو الشاب ، ومنهم من هو أكبر أو أصغر منه سنا . وهؤلاء اما أن يلقنوه أساليب الجريمة أو يوحون اليه بها ويفرونه عليها أو يؤثرون فيه بأية طريقة أخرى (٢) .

ومن الرفاق زملاء في المدرسة أو العمل ، ومنهم القرناء في الطريق أو في أماكن اللهو والتسليية ، ومنهم أصحابه الذين يسكنون معه في

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ١٢٨ - ١٣٦ .

(٢) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٧٤٣ .

المنزل أو يزورونه فيه . وتحقق بعضهم ان أشد أنواع الرفاق خطراً على الصغير أو المراهق هم أترابه من نفس جنسه الذين لا يسكنون معه في منزل واحد بل يرافقونه في غدوده ورواحه ، ويكونون انفسهم من الجانحين أو المجرمين^(١) .

ويلاحظ أحياناً أن لرفاق الحدث تأثير سيء في حياته وان لم يكونوا مجرمين ، كما يحدث عند الأولاد الفقراء الذين يخالطون أبناء الأغنياء أو يعيشون بالقرب منهم ، فذلك يفرهم لأن يسلكوا سبيل غير شريفة تمكنهم في النهاية من مجاراتهم في البذخ والترف^(٢) .

أما خطر الرفاق الأكبر سناً فيبدو واضحاً على الأخص في البنات . فالبنات الغريرة الطائشة كثيراً ما تقع فريسة اغراء بعض الصديقات الفاسدات ، أو ضحية الاتقياد للنساء السافطات . وقد ظهر من احصاء جرى لتزيلات إحدى دور الإصلاح أن ٧٠٪ منهن قد وقعن في الجريمة نتيجة مثل هذا النوع من الاغراء .

كما قد تقع البنت في الرذيلة بتحريض ممن هم موكلون بأمر تربيته أو الاشراف عليها ، فيحملونها قسراً أحياناً على الاجرام . أو انها تسلك مسالك العوج والبغاء طمعاً في الحصول على المال لاشباع حاجات لاطاقة لها بدفع أئمانها قد عودها عليها فريق من المعارف أو الزوار^(٣) .

(١) المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(٢) برت ، المصدر نفسه ، ص ١٢٨ - ١٣١ .

(٣) أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ - ٣٥٠ .

هذا وليس نادراً أن يشترك الصغار أو الشبان في « عصابات »
للسرقة أو الاعتداء أو لارتكاب أي صنف آخر من صنوف الجرائم
ودل احصاء جرى لـ ١٢,٠٠٠ جاني صغير أن ٩٥٪ من السرقات التي
ارتكبوها قد قاموا بها في عصابات مؤلفة : من شخصين في ٢٨٪
من الحالات ، ومن ثلاثة أشخاص في ٣٠٪ منها ، ومن أربعة إلى
سبعة افراد في ٢٨٪ ، ومن أكثر من ثمانية أحداث في ٩٪ . كما ظهر
من سجلات المحاكم في شيكاغو أن الصغار في أكثر من ٨٨٪ من القضايا
يقترفون الاجرام في جماعات تتوزع الاعمال بين أفرادها كالكلبار .
فمنهم من يقود السيارة أو يهدد بالسلاح ، وآخرون يشغلون رجال
الشرطة أو يحطمون النوافذ والابواب ، وفريق يجمع الأموال المسروقة
ويولي بها الأدبار ^(١) .

ووجد سوندرز ومانهايم ورودز في أبحاثهم المشتركة أن الجرائم
الجمعية - جرائم العصابات Gangs قد بلغت في لندن ٧٢٪ من مجموع
جرائم الأحداث ، وفي المناطق الانكليزية الأخرى نحو ٧٤٪ من
ذلك المجموع ^(٢) .

يبد أن الاتصال بالآخرين والعيش بين الزملاء والأصدقاء أمر
لا يستغنى عنه أحد ، فذلك يجعل عملية « الأخذ والعطاء » - عند

(١) الصغار من الاطفال يرتكبون عادة السرقات الصغيرة . أما عصابات
كبارهم فيكون عدد أفرادها أقل وجرائمها أشد خطورة كالقتل والنهب
والاعتداء - المصدر السابق ، ص ٣٤٧ - ٣٥٠ .

(٢) سوندرز ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .

الحدث خاصة - أتم مما لو كان مقتصرًا في حياته على والديه أو اخوانه حيث يأخذ منهم عادة كل شيء دون مقابل . وان اختلاط الأحداث بمن هم في سنهم من أقارب وأصحاب أمر مرغوب فيه لتعويدهم على التحمل وصلابة العود ، واعدادهم لمواجهة الحياة الواقعية في المستقبل حيث لا تنفع العزلة ولا يفيد البعد عن المجتمع والانطواء على النفس ، بل يلزم الاندماج في صميم الجماعة والانسجام مع البيئة وضرورات الحياة بالاجتماع .

لهذا كان ضرورياً على الآباء والمربين تقوية الروح الاجتماعية عند الحدث مقرونة بالثقة بالنفس والاعتماد على الذات ، وحمايته في الوقت عينه من الاتصال أو الاختلاط بأصحاب السلوك السيئ ، والأخلاق الرديئة فينمو نمواً متكاملًا ، وتتكون شخصيته تكويناً صحيحاً^(١).

أوقات الفراغ والجريمة :

لقد ثبت أن ٧٠ - ٨٠٪ من الجرائم تقع بعد ساعات العمل أو المدرسة أي في أوقات الفراغ ، وان نسبتها في يومي السبت والأحد في انكلترا قد بلغت في رأي سوندرز ومانهايم ورودز سنة ١٩٤٢ أكثر من ٤٥٪ من مجموع جرائم الأسبوع ، وأن وقوعها بين الساعة ٤ - ٧ مساءً قد كان وفقاً للدراسات التي قاموا بها نحو ٤٣٪ من

(١) راجع القوصي ، المصدر نفسه ، ص ١٧٤ .

مجموع جرائم اليوم كله^(١) . وهكذا فاننا نرى المحاكم والسجون والاصلاحيات تكتظ في كل يوم بالمجرمين الذين أساءوا استعمال فراغهم ولم يحسنوا الاستفادة من أوقاتهم فيما يعود عليهم بالنفع والخير . ففي كل مدينة من المدن الكبرى على الأخص ضروب شتى للاغراء من دور للتسلية غير البريئة ، وأماكن للهو والعبث ، ومحلات للمراهنة والقمار وغيرها حيث تخلو مظاهر الحشمة واللياقة وتنعدم الرقابة الاجتماعية وينطلق الأفراد فيها أحراراً من كل قيد أو رادع ، يثرون الأموال جزافاً من غير حساب ، طلباً للذة المحرمة وقتل الوقت .

وأصل الداء في الأحداث والفتيان فقدان أسباب ارضاء لذاتهم الروحية واشباع عواطفهم الادبية . فالطفولة عهد اللعب ، والشباب دور المخاطرة والأحلام . فان لم يجد الطفل مكاناً يسربه ويلعب فيه ، والشاب شيئاً يرتاح اليه ويلبسه ، وقلت الملاعب والنوادي والمكتبات والمتنزهات ، انصرف الصغار للازقة والحارات ، وارتاد الشبان عوضاً عنها أماكن الفحش والرذيلة^(٢) .

ولقد قامت المس باروز Miss Barrows احدي حاكيات الاحداث في انكلترا بدراسة عدد من المجرمين الصغار في برمنجهام فبان لها ان من أهم عوامل الاجرام عندهم فقدان أسباب اللعب والتسلية

(١) راجع الجدولين رقم ٢١ و ٢٢ ص ٣٢١ و ٣٢٢ . - سوندرز ، المصدر نفسه ، ص ٢٢ . شيرستون ، المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

(٢) برت ، المصدر نفسه ، ص ١٥٥ . راجع أيضاً ص ٢٢٠ .

وان الجريمة واسعة الانتشار في الأماكن المكتظة بين الأولاد الذين حرموا من الوسائل الشرعية لتمضية ساعات الفراغ^(١).

ومن جهة ثانية فإن وفرة أسباب التسلية وزيادتها عن الحاجة أو عدم ملأمتها لطبيعة الشخص وتكوينه - كالجرائد والمجلات والكتب المثيرة للعواطف ، وأفلام السينما المفسدة للخلق - تعتبر هي الأخرى من عوامل الشر والأذى .

وفيما يلي - سوف نوضح بصورة خاصة أثر السينما والقمار في حوادث الاجرام .

السينما والجريمة :

انقسم العلماء فيما يتعلق بالسينما فريقين : فريق يذهب إلى أنها ضارة مؤذية ، وفريق يشيد بمحاسنها وفوائدها للفرد والمجتمع .

أما حجة خصوم السينما فهي أنها تخرس على الخطيئة والزيلة بما يظهر على شاشتها من مشاهد مؤذية تنطوي على مظاهر الفساد والخداع والاستهتار الخلقي والافعال الوحشية والاعتداءات المنكرة ، وما يسود أفلامها من جو أدبي غير راق تشيع فيه السخرية والهزء ، وما تمثله رواياتها من ألوان البذخ والترف مما قد يحمل الفرد - لاسيما الصغير - على تصور الحياة الواقعية بمثل صورها فيعمل على تقليدها والتشبهه بأبطالها ، كما تغذي حوادثها ومناظرها أحلام اليقظة عنده وأي

(٢) كاديرو ، المصدر نفسه ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

استعداد سابق فيه للميول الاجتماعية ، وتدفعه للانسياق في تيارات
اللهو والمجون وحياة المغامرة والفجور . أو هي قد تفصل له أساليب
ارتكاب الجريمة وأصول التفنن في خداع الشرطة وتضليل القضاء وإخفاء
معالم الجريمة والافلات من يد العدالة .

ولقد صرح بعض كبار المجرمين ابن السينما هي التي حملتهم على
ارتكاب أنواع شتى الجرائم ، وشجعهم على حمل الأسلحة ، وعلمتهم
أساليب السرقة والنشل ، وخصوصاً أساليب فتح الخزانات الحديدية
والدخول من النوافذ وقطع الأسلاك المتصلة بأجهزة الإنذار ، ومحو
أثر بصمات الأصابع والأقدام ، واستعمال المسدس للتهديد والارهاب
والمخدرات لتسهيل السرقات وأفعال الاعتداء ، والهرب من المبنى عليه ،
إلى غير ذلك من الأشياء التي يجملها عامة الناس ^(١) .

وأخطر ما يكون عليه أثر السينما في معالجتها الصلات الاجتماعية
بين الجنسين ، وما يراه المرء على شاشتها من تفاصيل الغزل والمداعبة
والعلاقات الزوجية شاخصة حية لا يمكن الوقوف على مثلها في مسرح
أو كتاب . وكل من اتصل بصغار الجانحين يعرف كيف تثير هذه
الصور الفرائز والميول الجنسية في المتفرجين من بنين وبنات في عهد
مبكر قبل مرحلة البلوغ ، وتخلق فيهم صراعا نفسيا أو قلقا يدفعهم
للمخاطرات العمياء والمغامرات العنيفة ^(٢) .

(١) راجع أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٣٥٢ - ٣٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٥٦ - ٣٥٩ .

أما أنصار السينما فيذهبون إلى تعداد فوائدھا العظيمة ، ويقولون بأن لها مثل علیا تدافع عنها ، وان تجارب الخبراء قد دلت علی عدم وجود أي ارتباطین الاجرام والذهب للسينما ، بل ان الاقدام علی الجريمة ومشاهدة السينما قد يكونان ناشئين عن سبب واحد مشترك بينهما كالحاجة للتسلية أو الرغبة للفرار من الآلام أو نتيجة القلق والحرمان وعدم الرضا بالواقع^(١) ، كما انهم يؤكدون بأن الشخص الشقي التعس هو الذي ينشد النسيان في عالم الصور والخيالات ، أي في عالم السينما ، ويصرحون بأن السينما للأفراد الهادئي المزاج أصحاب العقول بديل عن ارتكاب الأفعال الشريرة وليست من عواملها أو دوافعها^(٢).

وفي الواقع فان الأثر الذي تحدثه السينما يتوقف علی نوع المادة التي تقدمها ، والأشرطة التي تعرضها . ولا يصح الاطلاق والتعميم في موضوعها . فهناك أفلام علمية وأدبية وخلقیة واجتماعیة لا شك في نفعها وضرورة مشاهدتها ، كما ان هنالك روايات مبتذلة رخيصة تؤذي العين وتؤلم النفس وتفسد الأخلاق .

ومهما يكن الأمر فان السينما كغيرها من عوامل البيئة المختلفة لا يمكن أن تؤدي إلى أثرها السيء الهدام إلا فيمن توافر عنده استعداد

(١) برت ، المصدر نفسه ، ص ١٤٣ - ١٤٨ .

(٢) ايلكين ، المصدر نفسه ، ص ١٣ - ١٥ .

خاص يهيئه لذلك ، ومعظم ضحاياها هم من ذوي المزاج المختل أو العقل المريض ^(١) .

القمار والجريمة :

وهناك غير السيئ مما يلجأ اليه بعض الناس كلما سنحت لهم الفرصة أثناء الفراغ أعمال المراهنة أو القمار . وللمقامرة أخطار جسيمة على حياة الفرد وسلوكه ، فهي تقوي في نفسه بشكل غير صحي عوامل التهيج والافتعال الضار ، وتحدث عنده أملا في الحصول على مال غيره بطريقة سهلة دونما تعب أو مقابل ، وتقربه من أشخاص يغلب عليهم فساد الخلق وسوء الطباع ، وتعلمه فنون تجارة غير قانونية ، وتمهد له سبيل السرقة والاحتيال والاختلاس وغيرها من أشكال الاجرام .

وظهر لسوندرز وما نهايم ورودز في دراستهم العلمية النفيسة لمشكلة الجريمة في انكلترا ان نسبة الوسائل التي يلجأ إليها الأحداث المجرمون وغير المجرمين من الانكليز في قضاء أوقات الفراغ هي كما يدل عليه الجدول الآتي (جدول رقم ٢٥) .

(١) سوندرز ، المصدر نفسه ، ص ٩٣ . أحمد عزت راجح ، المصدر نفسه ، ص ٣٥٦ - ٣٥٩ . وهكذا فإننا نرى أن الاجرام - كما قلنا - نتاج لتفاعل ظروف البيئة مع ظروف الفرد نفسه ، وليس نتاجا لاحداها دون الأخرى .

جدول رقم ٢٥

نسبة وسائل قضاء أوقات
الفراغ عند المجرمين وغير المجرمين
من الأحداث الانكليز (١)

النسبة بين غير المجرمين	النسبة بين المجرمين	نوع التسلية
٪	٪	
١٥٨٩	١٣٨٤	قراءة
١١,٤	٠,٧	قراءة ورياضة
٦,٣	٥,١	قراءة وغيرها من الرغبات
٢٥٧	٨٧	رياضة
٢٠	٠,٤	» وغيرها
١٠,٦	٤,٠	أعمال يدوية
١٠٤	١٨٤	موسيقى
١٠,٣	٨,٣	ألعاب وغيرها
١٨٢	١٨	سينما
١٥,٢	٥٦,٢	لا شيء
١٠٠٠	١٠٠٠	المجموع

ومن هذا البيان يتضح ان وسائل التسلية مفقودة بالمرّة لدى ٥٦ ٪
من المجرمين ، وهذه النسبة تقارب أربعة أضعافها عند غير المجرمين .

(١) سوندرز ، المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

وخلاصة القول ان خير وسيلة للبعد عن رفاق السوء والتحرر من أذاهم والنجاة من أخطار الفراغ ، وصرف الوقت في نواحي نافعة مفيدة ، هي اتخاذ رفاق صالحين وانشاء النوادي والملاعب والمتنزهات والجمعيات الرياضية والاجتماعية والخيرية ودور الكتب والموسيقى وما شابهها . فمثل هذه الوسائل الصحيحة الراقية يمكن التغلب بها أحيانا كثيرة على مشكلة الرفاق وأوقات الفراغ ، ووقاية عدد كبير من المجرمين من الشذوذ والفساد وخصوصاً الأحداث .

٧٤٠	٧٤١
٧٤٢	٧٤٣
٧٤٤	٧٤٥
٧٤٦	٧٤٧
٧٤٨	٧٤٩
٧٥٠	٧٥١
٧٥٢	٧٥٣
٧٥٤	٧٥٥
٧٥٦	٧٥٧
٧٥٨	٧٥٩
٧٦٠	٧٦١
٧٦٢	٧٦٣
٧٦٤	٧٦٥
٧٦٦	٧٦٧
٧٦٨	٧٦٩
٧٧٠	٧٧١
٧٧٢	٧٧٣
٧٧٤	٧٧٥
٧٧٦	٧٧٧
٧٧٨	٧٧٩
٧٨٠	٧٨١
٧٨٢	٧٨٣
٧٨٤	٧٨٥
٧٨٦	٧٨٧
٧٨٨	٧٨٩
٧٩٠	٧٩١
٧٩٢	٧٩٣
٧٩٤	٧٩٥
٧٩٦	٧٩٧
٧٩٨	٧٩٩
٨٠٠	٨٠١
٨٠٢	٨٠٣
٨٠٤	٨٠٥
٨٠٦	٨٠٧
٨٠٨	٨٠٩
٨١٠	٨١١
٨١٢	٨١٣
٨١٤	٨١٥
٨١٦	٨١٧
٨١٨	٨١٩
٨٢٠	٨٢١
٨٢٢	٨٢٣
٨٢٤	٨٢٥
٨٢٦	٨٢٧
٨٢٨	٨٢٩
٨٣٠	٨٣١
٨٣٢	٨٣٣
٨٣٤	٨٣٥
٨٣٦	٨٣٧
٨٣٨	٨٣٩
٨٤٠	٨٤١
٨٤٢	٨٤٣
٨٤٤	٨٤٥
٨٤٦	٨٤٧
٨٤٨	٨٤٩
٨٥٠	٨٥١
٨٥٢	٨٥٣
٨٥٤	٨٥٥
٨٥٦	٨٥٧
٨٥٨	٨٥٩
٨٦٠	٨٦١
٨٦٢	٨٦٣
٨٦٤	٨٦٥
٨٦٦	٨٦٧
٨٦٨	٨٦٩
٨٧٠	٨٧١
٨٧٢	٨٧٣
٨٧٤	٨٧٥
٨٧٦	٨٧٧
٨٧٨	٨٧٩
٨٨٠	٨٨١
٨٨٢	٨٨٣
٨٨٤	٨٨٥
٨٨٦	٨٨٧
٨٨٨	٨٨٩
٨٩٠	٨٩١
٨٩٢	٨٩٣
٨٩٤	٨٩٥
٨٩٦	٨٩٧
٨٩٨	٨٩٩
٩٠٠	٩٠١
٩٠٢	٩٠٣
٩٠٤	٩٠٥
٩٠٦	٩٠٧
٩٠٨	٩٠٩
٩١٠	٩١١
٩١٢	٩١٣
٩١٤	٩١٥
٩١٦	٩١٧
٩١٨	٩١٩
٩٢٠	٩٢١
٩٢٢	٩٢٣
٩٢٤	٩٢٥
٩٢٦	٩٢٧
٩٢٨	٩٢٩
٩٣٠	٩٣١
٩٣٢	٩٣٣
٩٣٤	٩٣٥
٩٣٦	٩٣٧
٩٣٨	٩٣٩
٩٤٠	٩٤١
٩٤٢	٩٤٣
٩٤٤	٩٤٥
٩٤٦	٩٤٧
٩٤٨	٩٤٩
٩٥٠	٩٥١
٩٥٢	٩٥٣
٩٥٤	٩٥٥
٩٥٦	٩٥٧
٩٥٨	٩٥٩
٩٦٠	٩٦١
٩٦٢	٩٦٣
٩٦٤	٩٦٥
٩٦٦	٩٦٧
٩٦٨	٩٦٩
٩٧٠	٩٧١
٩٧٢	٩٧٣
٩٧٤	٩٧٥
٩٧٦	٩٧٧
٩٧٨	٩٧٩
٩٨٠	٩٨١
٩٨٢	٩٨٣
٩٨٤	٩٨٥
٩٨٦	٩٨٧
٩٨٨	٩٨٩
٩٩٠	٩٩١
٩٩٢	٩٩٣
٩٩٤	٩٩٥
٩٩٦	٩٩٧
٩٩٨	٩٩٩
١٠٠٠	١٠٠١

٢٥٨ خلاصة القول ان خير وسيلة للبعد عن رفاق السوء والتحرر من أذاهم والنجاة من أخطار الفراغ ، وصرف الوقت في نواحي نافعة مفيدة ، هي اتخاذ رفاق صالحين وانشاء النوادي والملاعب والمتنزهات والجمعيات الرياضية والاجتماعية والخيرية ودور الكتب والموسيقى وما شابهها . فمثل هذه الوسائل الصحيحة الراقية يمكن التغلب بها أحيانا كثيرة على مشكلة الرفاق وأوقات الفراغ ، ووقاية عدد كبير من المجرمين من الشذوذ والفساد وخصوصاً الأحداث .

خاتمة

انتهينا في أبحاثنا السالفة من بيان أهمية مشكلة الجريمة وخطورتها ومبلغ تكاليفها ، ودراسة عواملها ودوافعها المختلفة^(١) - فطرية ومكتسبة ، سواء أكانت ناشئة في ذات الفرد وشخصه أو قائمة في بيئته والعالم الخارجي الذي يعيش فيه - وهذه الأبحاث تؤيد حقيقتين قد أشرنا إليهما في مستهل هذا الكتاب وهما :

١ - انه لا يمكن الاقتصار في فهم الجريمة وأصول معالجتها على معرفة أعراضها الظاهرة والاكتفاء بوقائعها الخارجية فحسب ، بل لابد من دراسة شخصية المجرم والوقوف على أحواله وظروفه كافة . فالاحاطة بوقائع الجريمة وحدها لا تساعد المحكمة أو الطبيب النفسي إلا قليلا في ادراك وضع المجرم الحقيقي ، إذ ليست هذه الوقائع سوى أحد العناصر الكثيرة المنفرعة الواجب اعتبارها من غير أن تكون بالضرورة أكثرها قيمة وأهمية . ذلك ان مزاج المتهم وأخلاقه وحالاته العقلية والجسمية ، وحالة أسرته وبيئته المادية والأدبية وعلاقاته العائلية وسجله المدرسي وظروف عمله ووسائل تسليته وصفات رفاقه وطرق قضاء فراغه لها أعظم الأثر - كما رأينا - في شذوذه وسوء سلوكه .

(١) هنالك عوامل بيئية كثيرة أخرى للجريمة لم يتسع نطاق هذا الكتاب لمبحثها منها الاستعمار ، وفساد الجهاز الإداري في الدولة لاسيما الشرطة والقضاء ، ونقص التشريع ، وحالات السجون ، وبعض النظم والتقاليد وغيرها مما لا يخفى آثارها في تعقيد مشكلة الجريمة وزيادة حوادث الاجرام .

٢ - انه يجب على المحكمة أو الطبيب النفسي أن يصف عقوبة تلائم حال المجرم نفسه وليس الجريمة ، عقوبة تتفق وظروفه وحاجاته واستعداداته ، وتهدف لاصلاحه وتهذيبه وتقويم خلقه ، وجعله في المستقبل عضواً عاملاً نافعاً سوياً .

فعلماء النفس الجنائي ينكرون اليوم فائدة العقاب الزاجر كوسيلة ناجحة من وسائل قانون الجزاء ، وهم يعتقدون بأنه يصعب الاعتماد على سلاح « الخوف » دائماً في منع الجريمة ، ويؤكدون بأن العقوبة التي ترمي لاجداث الخوف وحده تبقى ذات أثر ضئيل - أو لا يكون لها أي أثر بالمرة - في مكافئها ، ويشيرون بأن شدة العقوبة وقسوتها قد أدت في الماضي إلى زيادة الاجرام الذي كانت ترمي لمنعه وقعه .

فواجب المحاكم إذن أن تعنى، في رأي هؤلاء العلماء ، باتخاذ المجرم من أدران الفساد العالقة به ، وحمايته من عوجه وانحرافه ، ووقاية المجتمع من عودته للجريمة ، وتحريره من عوامل الشذوذ الكامنة فيه أو المنبثقة عن البيئة المحيطة به ، أو تكيف بيئته حسب حاجاته واستعداداته ، وليس الاهتمام فقط بالمجازاة التي تعني الثأر والانتقام .

ويترب على المجتمع أن ينظر للمجرم - لاسباب الحدث - نظرة جديدة قوامها العطف والاشفاق والرغبة الصادقة في إصلاح شأنه . فما الجريمة في نظر علماء النفس ، سوى رد فعل طبيعي للوضع السيء الذي وجد المجرم

فيه نفسه ساعة الاجرام .

وما عسى أن يتوقع المجتمع غير الخطيئة والرذيلة من شخص شاء له سوء طالع أن يرث مزاجاً مختلاً لم يتم أحد على تعديله وتهذيبه ، أو ابتلي بآباء عودوه منذ الطفولة على الفساد وأثقلوا نفسه البريئة بعدد من العقد النفسية العنيفة ؟ أو ماذا عساه يأمل غير الشر والأذى من فرد جاء إلى هذا العالم قاصر العقل ضعيف الذكاء لا يقوى على كبح شهواته الجائعة ، أو مريضاً مشوه الخلقة لا يلمس من مظاهر العطف والمحبة شيئاً ؟ بل ماذا عساه يرجو غير الثورة والعنف والأذى من فتى تراكت عليه الموم والآلام من كل جانب فأصابه الاضطراب أو الذهان في وقت هو أكثر ما يكون حاجة للهدوء والاطمئنان ؟ أو ماذا عساه ينتظر أخيراً عدا السلوك المنحرف عن جادة الصواب من امرئ جاهل ألم به وبأسرته الفقر والبطالة وضنك العيش ، أو أحاط به رفاق سيئو الخلق لاضمير لهم . فهل من الحق أو العدل في شيء ، بعد هذا ، أن يتهم الناس المجرم بأنه عدو المجتمع شرير جدير بالاحتقار والقصاص ، وينظرون إليه شراً نظرة ازدراء واستنكار ، يكبلونه بالسلاسل ، ويلقون به في غياهب السجون ارواء لظماً الحقد الذي يغلي في الصدور ؟

ليس المجرم في اعتقادنا - رغم كل ما أوقعه من أذى وأحدثه من ألم وتخريب - إلا شخصاً سيئ الطالع ، مريض النفس أو الخلق أو العقل لا شريراً ، علينا أن نكشف ، كما نفعل في الأمراض الجسدية ، ما به من علل ، وما حوله من ظروف وأحوال ، ونعالجه كما يفعل الطبيب في العيادة

أو المستشفى بمرضى السل والكوليرا والتيفوئيد وغيرهم .
هذا ولا يجب أن ننسى - إنصافا للمجرم - أنه ما كان ليصبح
مجرما لو هيا له المجتمع ما هيا له للاسوياء من علم وتربية وأعمال ، أو لو
أنه قد اتاح له ما اتاح لغيره من عوامل الخير والفضيلة وحياة
الشرف والاجتهاد ، أو لو أنه قد ضمن له أسباب الصحة والسلامة .
لذا فقد عمدت الدول الراقية والحكومات الواعية لمسئولياتها
الاهتمام بالأبحاث والدراسات العلمية الخاصة بالجريمة ، فأنشأت لها
المعاهد والمختبرات ، وألفت اللجان والهيئات ، وخصصت الأموال
بسبغاء لدراسة عوامل الاجرام في بلادها ، وقامت بتنفيذ التواصي
الشاملة لأفضل طرق العلاج وأحسن وسائل الشفاء .
وأملنا لاشك وطيد في أن تسير امتنا العربية الناهضة ، وحكوماتها
المخلصة ، التطور الحديث في فهم مشكلة الجريمة وأصول علاجها ،
فتحقق بذلك غاية سامية تساعد على أداء رسالتها للعلم والمدنية .
كما نأمل أن تتمكن بدورنا تقديم آخر ما وصلت اليه البحوث
العلمية الحديثة في طرق التشخيص والعلاج لمشكلة الجريمة في الجزء
الثاني من هذا الكتاب .

تحت المصادر

باللغة العربية

- ابراهيم موريس الديك ، الاضطرابات الجنسية عند الرجل والمرأة ،
القاهرة ، ١٩٤٧ .
- أحمد عزت راجح ، علم النفس الجنائي ، بغداد ، ١٩٤٢ .
- أحمد محمد خليفة ، علم النفس الجنائي والقضائي ، بغداد ، ١٩٤٩ .
- أدلى ألفرد ، الحياة النفسية (ترجمة محمد بدران وأحمد محمد عبد الخالق)
القاهرة ، ١٩٤٤ .
- اسحق رمزي ، علم النفس الفردي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- أملى عبدالمسيح ، محمد كامل النحاس ، بهيجة بيومي سليمان ، أحمد
شاهين - تربية الطفل ومبادئ علم النفس ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
- برت سيرل كيف يعمل العقل الجزء الثاني (بالانكليزية وترجمة محمد
خلف الله) ، القاهرة ، ١٩٤٦ .
- برت وجونز وميلر ومودي ، كيف يعمل العقل ، الكتاب الاول (ترجمة
رياض عسكر ، القاهرة .
- حامد عبدالقادر ، محمد عطية الابراشي ، محمد مظهر سعيد ، - فى علم
النفس ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٩٣٣-١٩٣٦ .
- حسن عمر ، مقياس الذكاء ، القاهرة ، ١٩٢٨ .
- دوجلاس توم ، مشكلات الاطفال اليومية (ترجمة اسحق رمزي) ،
القاهرة ، ١٩٤٥ .
- سادلر ، العقل الباطن (ترجمة عباس حافظ) القاهرة .
- الشيخاشيرى - الدكتور ، أسرار المراهقة بالفتى ، القاهرة ، ١٩٣٤ .
- صبرى جرجس ، مشكلة السلوك السيكوباتى ، القاهرة ، ١٩٤٦ .
- عبدالعزیز القوصى ، أسس الصحة النفسية ، القاهرة ، ١٩٤٦ .
- عونى وفا الدجاني ، علم النفس الجنائي ، بغداد ، ١٩٤٠ .
- ماندر ، علم النفس فى الحياة (ترجمة نظمي خليل) ، القاهرة ، ١٩٤٤ .
- مباحث فى علم النفس الحديث بقلم طائفة من أساتذته (ترجمة حسن
أحمد السلطان) القاهرة ، ١٩٤٧ .
- متري أمين، ضعاف العقول وواجب الدولة نحوهم ، الاسكندرية ، ١٩٤٨ .

- محمد حسنين الغمراوي ، الغرائز وعلاقتها بالتربية ، القاهرة ١٩٢٥ .
- محمد خلف الله ، الطفل من المهد الى الرشيد ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
- محمد فتحي بك ، علم النفس الجنائي علما وعملا ، القاهرة ، ١٩٤٣ .
- مجلة علم النفس (جميع الاعداد من يونيو ١٩٤٥ - اكتوبر ١٩٤٨) .
- مصطفى الديواني ، حياة الطفل ، القاهرة ، - طبعة رابعة - ، ١٩٤٦ .
- يوسف مراد ، مبادئ علم النفس العام ، القاهرة ١٩٤٨ .

باللغتين الانكليزية والفرنسية

- Adler Alfred, Understanding Human Nature, N. Y. 1946.
- Oragn Inferiority and Its Physical Compensation, N. Y. 1907.
- Neurotic Constitution, N. Y. 1921.
- The Practice and Theory of Individual Psychology, N. Y., 1924.
- Problems of Neurosis, N. Y., 1931.
- The Pattern of Lifef, N. Y., 1931.
- What Life Should Mean to you, N. Y. 1931.
- Guiding The Child.
- Allen A. B., The Psychology of Punishment, London, 1943.
- Alexander F. The Psychoanalysis of the Total Personality, N. Y., 1930.
- Alexander, F., and Healy, W., Roots of Crime, N. Y., 1935.
- Alexander, F., and Staub, H., The Criminal, the judge, and the Public. London., 1931.
- Aichhorn, A.; Wayward Youth, London, 1936.
- Aschaffenburg G., Crime and Its Repression, Boston, 1913.
- Bagot, H. Juvenile Delinquency, London, 1941.
- Bags Thomas, Juvenile Delinquency and Reformatory Institutions.
- Bannister, Psychology and Health.
- Beat and Bott, The Management of Young Children.

- Benett, The Sex Education of Children.
- Berman, The Glands Regulating Personality.
- Binet A. and Simons, A method of Measuring the Development of Intelligence In Young Children 1915.
- Blanton, Child Guidance.
- Boenheim, Practical Child Psychotherapy.
- Boome and Richardson, The Nature and Treatment of Stammering.
- Breckinridge and Abbott, The Delinquent Child and The Home, N. Y., 1912.
- Brockway E. F., New Ways With Crime.
- Brooks, The Psychology of Adolescence.
- Brooks, Child Psychology.
- Brown G. F. The Psychodynamics of abnormal Behaviour, N. Y., 1940.
- Brown William, Psychology and Psychotherapy, London, 1945.
- 'Talks On Psychotherapy, London, 1923.
- 'Suggestion And Mental Analysis.
- Buhler C., Testing Child Development.
- The First Years of Life.
- From Birth To Maturity.
- Burlingham D., and Freud A., Infants without Families, London, 1943.
- Burnham, The Wholesome Personality.
- Burt C. The Backward Child.
- The Young Delinquent, 4th ed., London, 1944.
- Cadbury G. S., Young Offenders Yesterday and Today, London, 1938.
- Cadogan Sir Edward, The Roots of Evil, London.
- Cameron H. C., The Nervous Child, London, 1946.
- Cantor N. F., Crime, Criminals And Criminal Justice, N. Y., 1933.

- Carr-Saunders, Mannheim, Rhodes, Young Offenders,
Cambridge, 1942.
- Chaloner, The Mothers Encyclopaedia.
- Collins M., and Drever G., Psychology and Practical Life,
London 1936.
- Conklin, Heredity and Environment in the Development of
Men.
- The Mating of the Unfit, A study in Eugenics, 1912.
- Cooley E. q., Probation And Delinquency, N. Y., 1927.
- Craig, School Life and Mental Instability.
- Criminal Justice Bill, 1939.
- Curtim., Child Psychology.
- Dewey John, Human Nature and Conduct, N. Y. 1922.
- Dumas, Traité de Psychologie, Paris, 1928.
- East, Norwood., The Adolescent Criminal, London, 1942.
- Introduction to Forensic Psychiatry in the Criminal
Courts, London, 1927.
- East, Norwood, and Hubert W. H. De B., Report on the
Psychological Treatment of Crime, 1939.
- Ellis Havelock, Psychology of Sex, London, 1946.
- The Criminal (3rd. edition), London, 1907.
- Elkin W. A., English guvenile Courts, London, 1938.
- Ettinger C., The Problem of Crime, N. Y., 1932.
- Flexner and Baldwin, Juvenile Courts and Probation.
- Flugel G. C., Man, Morals And Society, London, 1945.
- Freud A., The Ego and Mechanism of Defence, London, 1936.
- Introduction to Psychoanalysis for Teachers, N. Y. 1936.
- Freud A., Introduction to the Technique of Child Analysis,
N. Y., 1928.
- Freud S., The Dynamics of Transference, 1924.
- Three Contributions to the Theory of Sexuality., N. Y.,
1910.
- Freud S., On the Psychopathology of Everyday Life, London,
1914.

- The Unconscious, 1925.
Freud S., Selected Papers on Hysteria, 1921.
Freud S., Analysis of a Phobia in a 5-year-old Boy, 1925.
— Introductory Lectures on Psycho-Analysis, N. Y., 1933.
Freud S., Inhibition, Symptom and Anxiety, London, 1936.
— The Meaning of Dreams, London, 1913.
Freud S., The Ego and the Id, 1927.
— Group Psychology and the Analysis of the Ego, London, 1922.
Freud S. Beyond the Pleasure Principle, London, 1922.
— Civilization and its Discontent, London, 1930.
Foster and Anderson, The Young Child and His Parents.
Fox, The Mind and Its Body.
Fried Lander K., The Antisocial Character Formation, N. Y., 1945.
— The Psycho-Analytical Approach to guvenile Delinquency, London, 1947.
Carofalo R., Criminology, 1914.
Gesell A. and Frances L. Infant And Child In The Culture of Today, N. Y., 1943.
Gillepise R. D., Neurotic Illness and Crime, London, 1944.
Gillin J. L., Criminology And Penology, N. Y., 1929.
Glover E., The Diagnosis and Treatment of Delinquency, London, 1944.
Glueck Bernard, Studies of Forensic Psychiatry, Boston, 1916.
Goddard H. H. The Kallikak Family, 1914.
— The Criminal Imbecile, 1915.
Goddard H. H. Feeble-Mindedness, Its Causes and Consequences, 1913.
Gordon, Juvenile Delinquency.
Goring Charles, The English Convict, A Statistical Study, London, 1913.

- Gotes and others, Educational Psychology.
- Grover and Blanchard, Introduction to Mental Hygiene.
- Gruenberg, Guidance of Childhood and Youth.
- Hadfield, Psychology and Morals.
- Hall Clarke, Children's Courts, London.
- The State and the Child.
- Hall G. Stanley, Adolescence, N. Y., 1904.
- Haive N., Encyclopaedia of Sexual Knowledge.
- Harris S. W., Probation and Other Social Work of the Courts, London, 1937.
- Hart B., Psychopathology, Cambridge, 1939.
- Hart H. H. Preventive Treatment of Neglected Children, N. Y., 1910.
- Haynes F. E., Criminology, N. Y., 1935.
- Hazlitt, The Psychology of Infancy.
- Healy W., and Alper B. S., Criminal Youth and the Borstal System, N. Y., 1941.
- Healy W., and Bronner R., Delinquents and Criminals, Their Making and Unmaking. N. Y. 1926.
- New Light on Delinquency and its Treatment, New Haven, 1938.
- Healy W., The Individual Offender, London, 1915.
- Mental Conflict and Misconduct, London, 1919.
- Heath, How We Behave.
- Henderson C. R., Penal and Reformation Institutions, N. Y., 1910.
- Henderson K. D., and Gillepise R. D., Textbook of Psychiatry, London (5th ed.) 1943.
- Henderson K. D., Psychopatic States, London, 1939.
- Hildreth, Psychological Service for School Problems.
- Hill J. C., The Teacher in Training, London, 1935.
- Hollander, Psychology of Misconduct, Vice and Crime, London.
- Hollingworth, The Psychology of the Adolescent.

- Holmes Arthur, *The Backward Child*, 1915.
- Horney K., *New Ways On Psycho Analysis*, N. Y., 1939.
- Hutchinson, *Motives of Conduct in Children*.
- Isaacs S. *Nursery Years*.
- , *Intellectual Growth in Young Children*.
- , *Social Development In Young Children*.
- Janet Pierre, *The Mental States of Hystericals*, N. Y., 1901.
- Jung, *Analytical Psychology*.
- Kanner, *Child Psychiatry*.
- Klein M., *The Psycho-Analysis of Children*, London, 1932.
- Kretshmer, *The Psychology of Men and Genius*.
- Kretschmer, *Physique and Character*.
- League of Nation, *Principles Applicable to the Functioning of Juvenile Courts and Similar Bodies*.
- , *Organization of Juvenile Courts and the Results Attained thereto*.
- Le Mesurier L., *Boys in Trouble*, London, 1939.
- Liebman J. L., *Peace of Mind* N. Y., 1946.
- Lombroso Cesare, *L'homme Criminel*, N. Y., 1911.
- Lord Hewart, *The Treatment of the Young Offender*, London, 1935.
- Lou, *Juvenile Courts in the United States*, N. Y., 1927.
- Mannheim Herman, *Criminal Justice And Social Reconstruction*, London, 1946.
- Mannheim H., *The Dilemma Penal Reform*, London, 1940.
- Mc Dougall, *An Outline of Abnormal Psychology*, London.
- Mc Dougall W., *An Outline of Psychology*, London, 1943.
- Mc Dougall W., *Social Psychology*, London, 1943.
- Menninger, *The Human Mind*.
- Mental Abnormality and Crime, *English Studies in Criminal Science*, London, 1944.
- Michael J., And Adler M. J., *Crime, Law And Social Science*, London, 1933.

- Miller, The Growing Child and Its Problems.
Moll Albert, The Sexual Life of the Child, N. Y., 1912.
Mullins C., Crime and Psychology, London, 1943.
Murchison, A Handbook of Child Psychology.
Neill, The Dread full School.
Neill A. S., The Problem Child.
——, The Problem Parent.
Page Leo, Justice of the Peace, London, 1936.
Pringl, Adolescence and High School Problems.
Reckless W., Criminal Behaviour, N. Y., 1940.
Reckless W. C., and Smith M., Juvenile Delinquency, N. Y.,
1932.
Russel C. E. B. and Rigby L. M., The making of the Criminal.
Sayles, The Problem Child at Home.
Sherman Mandel, Basic Problems of Behaviour.
Smith B. Hamblin, The Psychology of the Criminal, N. Y.
Smith Hamblin M. The Psychology of the Criminal, London,
1922.
Stinchfield. Speech Disorders.
Stutsman J., Curing the Criminal, N. Y. 1926.
Taylor, Readings in Abnormal Psychology.
Thom, Normal Youth.
Thomson, Instinct, Intelligence and Character.
Thouless, Social and General Psychology.
Thurston H. W., Concerning Juvenile Delinquency N. Y.,
1943.
——, Delinquency and Spare Time, N. Y., 1918.
Tucker and Pout, Sex Education in Schools.
Von De Velde, Ideal Marriage.
Valentine C. W. The Difficult Child and the Problem of
Discipline.
——, The New Psychology of the Unconscious.
——, The Psychology of Early Childhood, London,
1943.

- Van Waters M., Youth in Conflict, London, 1926.
Wallin W., Clinical And Abnormal Psychology, N. Y., 1927.
Waters, Youth in Conflict.
Watson J. A. F., The Child and the Magistrate, London, 1942.
Wexberg, Individual Psychology.
White W. A., The Mechanisims of Character Formation, N. Y., 1917.
Wills D. W. The Hawkspur Experiment, London, 1941.
Woodworth Robert S., Contemporary Schools of Psychology, London, 1945.
Year Book, National Probation Association, N. Y., 1933.
Zilboorg G., Mind, Medicine And Man, N. Y., 1943.

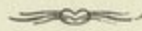
الفهرس

صفحة

١	الاهداء
٢	مقدمة الكتاب
(٥ - ٣٠)	مدخل البحث
٨	علم النفس (مدارسه وفروعه)
٨	تعريف علم النفس
١٠	المدارس النفسية
١١	علم النفس الجنائي
١١	موضوع علم النفس الجنائي وغرضه
١١	نشأة علم النفس الجنائي
١٢	فائدة علم النفس الجنائي
١٣	مشكلة الجريمة
١٣	تعريف الجريمة
١٦	خطورة مشكلة الجريمة
١٦	كثرة عدد المجرمين
٢٠	تنوع أصناف المجرمين
٢٢	تعدد أشكال الجريمة
٢٥	فداحة تكاليف الجريمة

الكتاب الاول

عوامل الجريمة



الباب الاول

الوراثة

(٣٥ - ٤٧)

٣٥	تعريف الوراثة وأثرها في السلوك البشري
٤١-٣٥	الفصل الاول : حجج انصار الوراثة
٣٨	دراسات كلاسيكية

صفحة

٣٩	دراسات التوائم
٤٧-٤١	الفصل الثاني : حجج أنصار البيئة
٤٢	أبحاث هيل وبرت
٤٣	دراسة أسرة الجوكس

الباب الثاني

اختلال المزاج

او

اضطراب الحياة الانفعالية

(٤٧ - ١١٧)

٤٧	الاستعدادات الفطرية والمكتسبة في الكائن الحي واصنافها
٩٩-٤٨	الفصل الاول : الغرائز والانفعالات الاولى
٤٨	تعريف الغريزة وجوانبها الثلاثة
٤٩	طبيعة الغريزة
٥٠	الغريزة والافعال المنعكسة والارادية
٥٥	الاختلال الانفعالي
٥٢	الشطط الانفعالي
٥٣	الخمود الانفعالي
٥٤	أثر الاختلالات الغريزية في السلوك
٥٥	تعليل مكدوجال
٥٦	اصناف الغرائز
٥٧	الغريزة الجنسية
٥٨	تعريف الغريزة الجنسية
٥٩	عناصر الغريزة الجنسية
٦٠	مراحل المناطق الشبقية
٦٢	موضوعات الغريزة الجنسية
٦٤	الشذوذ الجنسي
٦٥	عشق الجنس المشابه
٦٦	الفسق في الحيوان
٦٦	عشق التوائم
٦٧	عشق المسنين

صفحة

٦٨	عشق الاطفال
٦٨	مضاجعة المحارم
٦٨	حب العرض (كشف العورة)
٦٩	حب المشاهدة
٧٠	السادية
٧٠	سوء معاملة الاطفال
٧١	سوء معاملة الكبار
٧١	القتل الجنسي
٧٢	أكل لحوم البشر
٧٢	مص دماء البشر
٧٢	عشق الجثث
٧٢	المازوشية
٧٥	الغلمة او الشبق
٧٩	الغريزة الجنسية والجريمة
٨٤	غريزة اثبات الذات
٨٨	غريزة الخضوع
٨٩	غريزة المقاتلة
٩٠	غريزة الفرار
٩٢	غريزة التملك
٩٣	غريزة الوالدية (الامومة)
٩٣	غريزة النفور
٩٤	غريزة البحث عن الطعام
٩٤	غريزة الاستطلاع
٩٥	غريزة الاجتماع
٩٦	غريزة الانشاء
٩٦	غريزة التجول
٩٧	غريزة الضحك

الفصل الثاني : الانفعالات المركبة والمستتقة والميول الفطرية العامة ١١٧-١٠٠

١٠٠	الانفعالات المركبة
١٠٣	الانفعالات المستتقة
١٠٤	الثقة
١٠٥	الرجاء

صفحة		
١٠٦	القلق	٧٤١
١٠٦	القنوط	٧٤١
١٠٧	اليأس	٧٤١
١٠٨	الاسف والندامة	٧٤١
١٠٨	تأنيب الضمير	٧٤١
١١٠	الميل الفطرية العامة	٨٤١
١١٠	الايحاء	٨٤١
١١٤	المشاركة الوجدانية	٨٤١
١١٥	المحاكاة	٨٤١
	الباب الثالث	
	انحراف الخلق	
	(١١٨ - ١٩١)	
١١٨	تعريف الخلق	٧٥١
١٢٠	عناصر الخلق	٧٥١
١٣٩-١٢١	الفصل الاول : العواطف	
١٢١	تعريف العاطفة	٧٥١
١٢١	أوجه الفرق والشبه بين العاطفة والانفعال والعادة	٧٥١
١٢٣	تكوين العواطف	٧٥١
١٢٥	تطور العواطف	٧٥١
١٢٦	أنواع العواطف	٧٥١
١٢٦	العواطف المادية والمعنوية	٧٥١
١٢٧	العاطفة السائدة	٧٥١
١٢٨	عاطفة اعتبار الذات	٧٥١
١٣٠	عاطفتنا الاحترام والحب	٧٥١
١٣٣	عاطفتنا الهوى والمشاركة الايجابية	٧٥١
١٣٧	العواطف والجريمة	٧٥١
١٤٠-١٤٦	الفصل الثاني : العادات	
١٤٠	تعريف العادة	٧٥١
١٤١	تكوين العادات	٧٥١
١٤٣	أثر العادات	٧٥١

صفحة	
١٤٤	فوائد العادات ومضارها
١٤٥	اصلاح العادات الرديئة
١٦٦-١٤٧	الفصل الثالث : العقد النفسية
١٤٧	تعريف العقدة النفسية
١٤٨	الشعور واللاشعور
١٤٨	تعريف اللاشعور
١٤٩	محتويات اللاشعور
١٥١	أثر اللاشعور في السلوك
١٥١	النكوص
١٥١	الاسقاط
١٥٢	التحويل
١٥٢	التقمص
١٥٢	التبرير
١٥٣	التعويض
١٥٥	فرويد واللاشعور
١٥٦	فرويد وتقسيم الجهاز النفسى
١٥٧	الهو
١٥٧	الانا
١٥٩	الانا الأعلى
١٦٠	الفرق بين العقد النفسية والعواطف
١٦٢	أنواع العقد النفسية
١٦٢	عقدة زوجة الاب
١٦٣	عقدة السلطة والنفور
١٦٣	عقدة الام
١٦٤	عقدة أوديب
١٦٤	العقدة الجنسية
١٦٥	عقدة النقص
١٩١-١٦٧	الفصل الرابع : الامراض النفسية (العصاب)
١٦٧	تعريف الامراض النفسية
١٦٩	أنواع الامراض النفسية
١٦٩	الهستيريا

صفحة	
١٦٩	تعريف الهستيريا ووصفها
١٧٢	النوبات الهستيرية
١٧٣	الهستيريا والجريمة
١٧٤	النوراستانيا
١٧٤	تعريف النوراستانيا
١٧٥	أعراض النوراستانيا
١٧٦	أسباب النوراستانيا
١٧٦	أمثلة على النوراستانيا
١٧٧	القلق النفسي
١٧٧	تعريف القلق النفسي ووصفه
١٧٨	أعراض القلق النفسي
١٧٩	أسباب القلق النفسي
١٨٠	تأثير القلق النفسي في السلوك
١٨١	الافكار التسلطية
١٨٢	الافعال الجبرية
١٨٥	الجريمة العصابية

الباب الرابع

شدوذ العقل

(١٩٢ - ٢٧٨)

١٩٣	تعريف العقل
١٩٤	أقسام القدرات العقلية
٢١٧-١٩٥	الفصل الاول : القصور العقلي
١٩٥	بحث في الذكاء
١٩٥	تعريف الذكاء
١٩٦	صلة الذكاء بالمنح
١٩٨	نمو الذكاء
١٩٩	مقاييس الذكاء
١٩٩	اختبارات بينيه
٢٠٠	مقياس دزيفر وكولنز
٢٠٠	مقياس بيننر وباترسون

صفحة		صفحة
٢٠٠	تواهمات بورتيس	٢٢٢
٢٠٠	اختبار الكسندر	٢٧١
٢٠١	مقياس بالارد	٢٧١
٢٠١	توزيع الذكاء بين الافراد	٢٧١
٢٠٣	مراتب الذكاء	٢٧١
٢٠٤	تعريف القصور العقلي	٢٧١
٢٠٤	اصناف القصور العقلي	٢٧١
٢٠٥	العتة	٢٧١
٢٠٦	البلاهة	٢٧١
٢٠٧	الافن (الضعف العقلي)	٢٧١
٢٠٨	الغباوة	٢٧١
٢٠٩	القصور العقلي الثانوى (التأخر العلمى)	٢٧١
٢١٠	القصور العقلي والجريمة	٢٨١
٢١٦	الذكاء المتفوق والجريمة	٢٨١
٢٠١-٢١٨	الفصل الثانى : الذهان (المرض العقلي الوظيفى)	
٢١٨	تعريف الذهان	
٢١٩	اصناف الذهان وأعراضه	
٢٢٠	اسباب الذهان	
٢٢٢	اشكال الذهان	
٢٢٢	الفصام (الشيزوفرنيا)	
٢٢٢	تعريف الفصام	٢٨١
٢٢٤	انواع الفصام	٢٨١
٢٢٥	الفصام البسيط	٢٨١-٢٨٢
٢٢٥	فصام المراهقة	٢٨١
٢٢٦	الفصام الكتاتونى	٢٨١
٢٢٦	الفصام الهذائى	٢٨١
٢٢٨	الفصام والجريمة	٢٨١
٢٣٠	ذهان الهذاء (البارانويا)	٢٨١
٢٣٠	تعريف البارانويا وأعراضها	٢٨١
٢٣٤	سبب البارانويا	٢٨١
٢٣٥	أمثلة على البارانويا	٢٨١

صفحة	
٢٣٧	البرانونيا والجريمة
٢٤٠	البارافرينيا
٢٤٢	الذهان الدوري (ذهان الهوس والاكتئاب)
٢٤٢	تعريف الذهان الدوري
٢٤٣	وصف الذهان الدوري
٢٤٤	أعراض الذهان الدوري
٢٤٤	أعراض الهوس
٢٤٦	أعراض الكآبة
٢٤٧	أسباب الذهان الدوري
٢٤٨	مثال على الذهان الدوري
٢٤٩	الذهان الدوري والجريمة
٢٥٢-٢٧٠	الفصل الثالث : المرض العقلي العضوى
٢٥٢	تعريف المرض العقلي العضوى وأعراضه
٢٥٣	أشكال المرض العقلي العضوى
٢٥٣	جنون الكحول
٢٥٣	تعريف جنون الكحول وأعراضه
٢٥٦	جنون الكحول والجريمة
٢٥٨	جنون الشيخوخة
٢٥٨	تعريف جنون الشيخوخة وأعراضه
٢٥٩	سبب جنون الشيخوخة
٢٥٩	جنون الشيخوخة والجريمة
٢٦٠	الشلل الجنونى العام
٢٦٠	تعريف الشلل الجنونى العام وأعراضه
٢٦٢	مثال على الشلل الجنونى العام
٢٦٣	الشلل الجنونى العام والجريمة
٢٦٤	الصرع
٢٦٤	تعريف الصرع وأعراضه
٢٦٦	مثال على الصرع
٢٦٦	الصرع والجريمة
٢٦٨	الالتهاب السباتى
٢٧١-٢٧٨	الفصل الرابع : السيكوباتية
٢٧١	تعريف السيكوباتية ووصفها

صفحة	
٢٧٥	أسباب السيكوباتية
٢٧٥	مثال على السيكوباتية
٢٧٦	السيكوباتية والجريمة
	الباب الخامس
	اعتلال الجسم وعيوبه
	(٢٧٩ - ٣١٣)
٢٧٩	صلة النفس بالجسم
٢٨١	الطب النفسى الجسمى (السيكوسوماتى)
٢٨٣	العالم النفسى والعوامل الجسمية
٢٨٩-٢٨٥	الفصل الاول : الامراض والعاهاات
٢٩٨-٢٩٠	الفصل الثانى : شذوذ الجسم
٢٩٠	الخلقة غير الطبيعية
٢٩٠	نظرية لمبروزو
٢٩١	دراسات جورنج
٢٩٤	النمو الجسمانى الشاذ
٢٩٤	تصنيف كريتشمير
٢٩٤	دراسات نورود ايسست
٢٩٥	طول القامة
٢٩٥	الوزن
٢٩٦	اتساع الصدر
٢٩٦	دراسات هيلى وبرت
٢٩٩ - ٣٠٣	الفصل الثالث : طور المراهقة
٢٩٩	أهمية طور المراهقة
٣٠٠	ميزات طور المراهقة
٣٠١	طور المراهقة والجريمة
٣١٣-٣٠٤	الفصل الرابع : اضطراب الغدد الصم
٣٠٤	تأثير الغدد الصم على الجسم والسلوك
٣٠٧	أصناف الغدد الصم

صفحة	
٣٠٧	الغدة الدرقية
٣٠٨	الغدد المجاورة للدرقية
٣٠٨	الغدة النخامية
٣١٠	القطران (الغدتان الكلويتان)
٣١١	الغدة الصعترية
٣١٢	الغدة الصنوبرية
٣١٢	الغدة الحلوة
٣١٣	الغدد التناسلية

الباب السادس

فساد البيئة

(٣١٦ - ٣٦٦)

٣٢٤-٣١٦	الفصل الاول : البيئة الطبيعية
٣١٧	الموقع الجغرافى
٣١٨	المناخ والجريمة
٣١٩	فصول السنة والجريمة
٣٢٥	الفصل الثانى : الاسرة
٣٢٦	الحالة الاقتصادية السيئة فى الاسرة
٣٢٨	انحلال كيان الاسرة
٣٣٠	التوجيه الخاطىء وجهل الام
٣٣١	التوجيه بالشدة
٣٣٣	التوجيه باللين
٣٣٥	التوجيه المتذبذب بين الشدة واللين
٣٣٦	اهمال التوجيه بالمرءة
٣٣٧	أخطار جهل الام
٣٣٩	فساد الجو الخلقى فى الاسرة
٣٤٣	الفصل الثالث : المدرسة
٣٤٣	فشل المدرسة فى اداء رسالتها
٣٤٤	اهمال شخصية التلميذ
٣٤٤	التوجيه المدرسى الخاطىء
٣٤٥	الجو المدرسى غير الصالح
٣٤٥	المواضيع غير الملائمة وأساليب التدريس القديمة
٣٤٧	الامية والجريمة

جداول الكتاب

صفحة

١٧	جدول رقم ١ : بيان عدد الجرائم السنوية في العراق بين ١٩٣٧ - ١٩٤٦
١٨	جدول رقم ٢ : بيان عدد المجرمين المودعين في سجون العراق بين ١٩٣٦ - ١٩٤٦
١٩	جدول رقم ٣ : بيان عدد النساء المحكومات في العراق بين ١٩٣٥ - ١٩٣٩
٢١	جدول رقم ٤ : بيان وقوع الاجرام حسب العمر
٢٣	جدول رقم ٥ : بيان الجرائم الهامة في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٣
٢٤	جدول رقم ٦ : بيان عدد كل صنف من الجرائم في العراق بين ١٩٣٧ - ١٩٤٦
٢٦	جدول رقم ٧ : بيان تكاليف الجريمة في الولايات المتحدة
٢٧	جدول رقم ٨ : بيان أهم المصروفات السنوية من تكاليف الجريمة في العراق بين ١٩٣٦ - ١٩٤٥
٢٨	جدول رقم ٩ : بيان تكاليف المعارف والزراعة وأشغال الري في العراق بين ١٩٣٦ - ١٩٤٥
٢٩	جدول رقم ١٠ : الخسارة المادية الناجمة عن الجريمة في العراق بين ١٩٣٦ - ١٩٤٦
٨٠	جدول رقم ١١ : نسبة الجرائم الجنسية في انكلترا سنة ١٩٣٨ حسب الاعمار المختلفة
٨١	جدول رقم ١٢ : عدد المحكومين بجرائم جنسية في انكلترا بين ١٩٣٤ - ١٩٣٨
٨١	جدول رقم ١٣ : نسبة المجرمين العائدين (المكررين) في انكلترا سنة ١٩٣٨
٨	جدول رقم ١٤ : نسبة الجرائم الجنسية وغيرها لكل ١٠٠,٠٠٠ شخص من السكان فوق الـ ١٧ بين ١٩٣٤ - ١٩٣٨ (في انكلترا)

صفحة

٨٢	جدول رقم ١٥ : عدد الاشخاص المحكومين بجرائم جنسية فى انكلترا سنة ١٩٣٨
٢٠٢	جدول رقم ١٦ : توزيع الذكاء بين بعض تلامذة نورثمبرلاند
٢٠٣	جدول رقم ١٧ : توزيع الذكاء بين بعض تلامذة مصر
٢٠٤	جدول رقم ١٨ : مراتب الذكاء المختلفة ونسبتها بين مجموع السكان
٢٧٠	جدول رقم ١٩ : بيان الصلة بين الامراض العقلية ومختلف الجرائم
٣٠٢	جدول رقم ٢٠ : معدل عدد المجرمين الانكليز بين ١٩٣٠-١٩٣٧ فى مجموعات العمر المختلفة
٣٢١	جدول رقم ٢١ : نسبة ارتكاب الجرائم فى أيام الاسبوع المختلفة
٣٢٢	جدول رقم ٢٢ : نسبة الجرائم فى الساعات المختلفة
٣٢٣	جدول رقم ٢٣ : نسبة جرائم الاحداث فى أشهر السنة المختلفة
٣٢٤	جدول رقم ٢٤ : نسبة جرائم الكبار فى الأشهر المختلفة
...	جدول رقم ٢٥ : نسبة وسائل قضاء أوقات الفراغ عند المجرمين وغير المجرمين من الاحداث الانكليز

جدول الخطأ والصواب

لقد وقعت في هذا الكتاب عدة أخطاء مطبعية أهمها :

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
الباقين	الباقون	٥	٤٠
الثلاث	الثلاثة	٤	٥١
الصادرة	الصادر	١	٥٥
الاستية	الاستة	٦	٦١
غير المنفصلة	المنفصلة	١٩	٦١
Masturbation	Nasturbation	١	٧٧
مجرمين	مجرما	٨	٨٠
Prospective	Perspective	٦	١٠٤
نواح	نواحي	١٧	١٠٥
عليها	عليهم	١٣	١١٤
اعمالا	اعمال	الأخير	١٥١
الاحداث	والاحداث	الأخير	١٩١
سبولدنغ	سبولدنغ	٣	٢١١
أثراً بليغاً	أثر بليغ	٤	٢١٢
فلما	فلما	٩	٢١٥
(تحذف كلمتا ذهان الكحول وذهان الشيخوخة)		٩	٢١٩
على ضعف الذكاء	على الذكاء	قبل الاخير	٢٥٢
الجفون	الذهان	٩	٢٥٦
العوامل	العوامل	٥	٢٨٣
ليصبح في الأغلب	ليصبح	٢	٣٧٠

للمؤلف

محاكم الاحداث والمدارس الاصلاحية

بغداد ، ١٩٤٩

محاضرات في القانون الدولي العام

بغداد ، ١٩٤٩

الصهيونية - نقد وتحليل - القدس ، ١٩٤٥

« نفدت نسخة »

السياسة الانكليزية - الصهيونية في فلسطين

(بالفرنسية) ، باريس ، ١٩٣٨

« نفدت نسخة »

سيصدر قريبا

الأحداث المجرمون والمقشردون « بحث مقارن »

مجلس

تیمار نامه ای در بیان مشایخ و کرامات

۱۰۶۶ هجری

و کرامات و معجزات و شایسته

۱۰۶۶ هجری

۱۰۶۶ هجری در بیان مشایخ و کرامات

و کرامات مشایخ

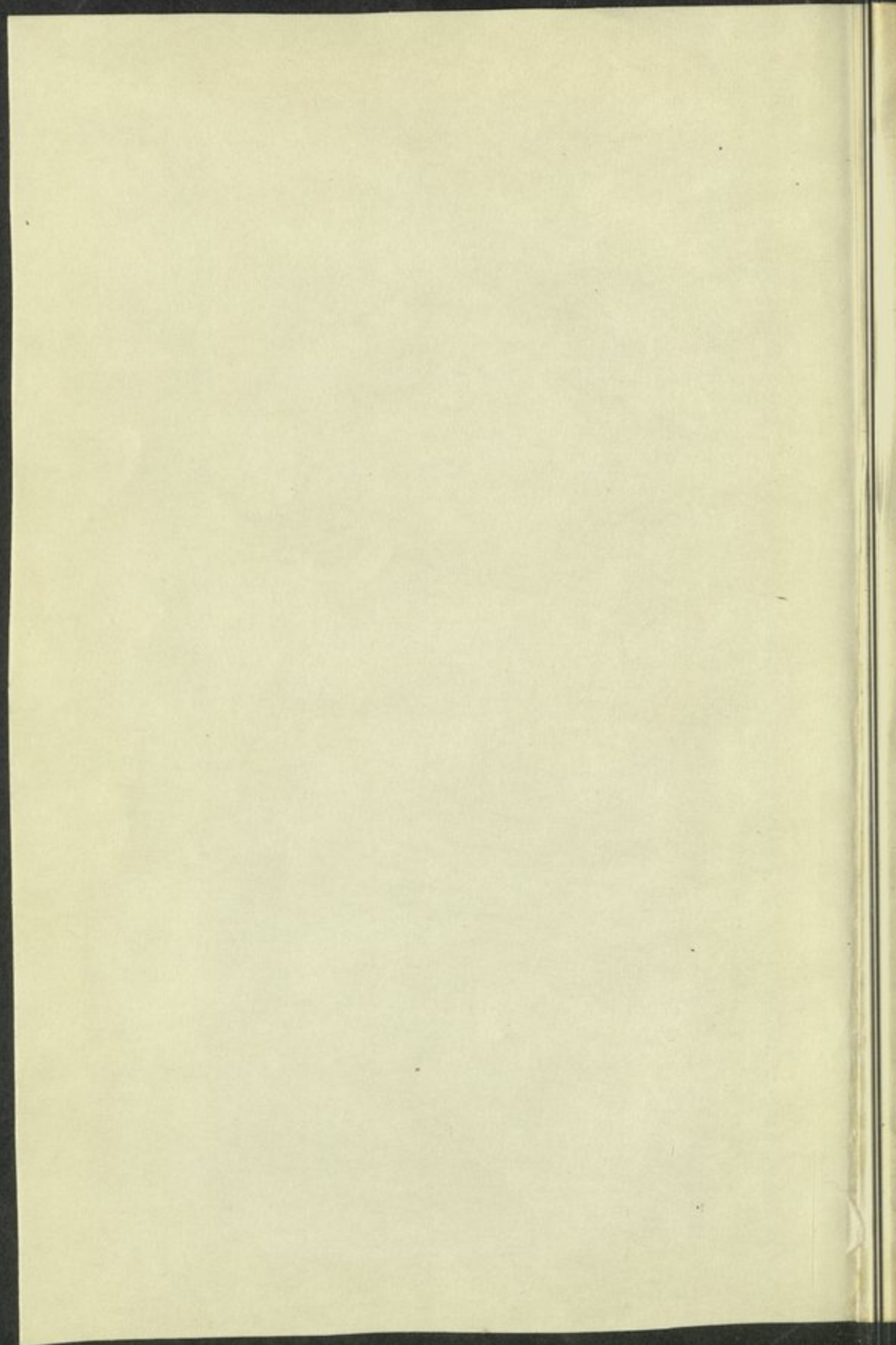
در بیان مشایخ و کرامات و شایسته

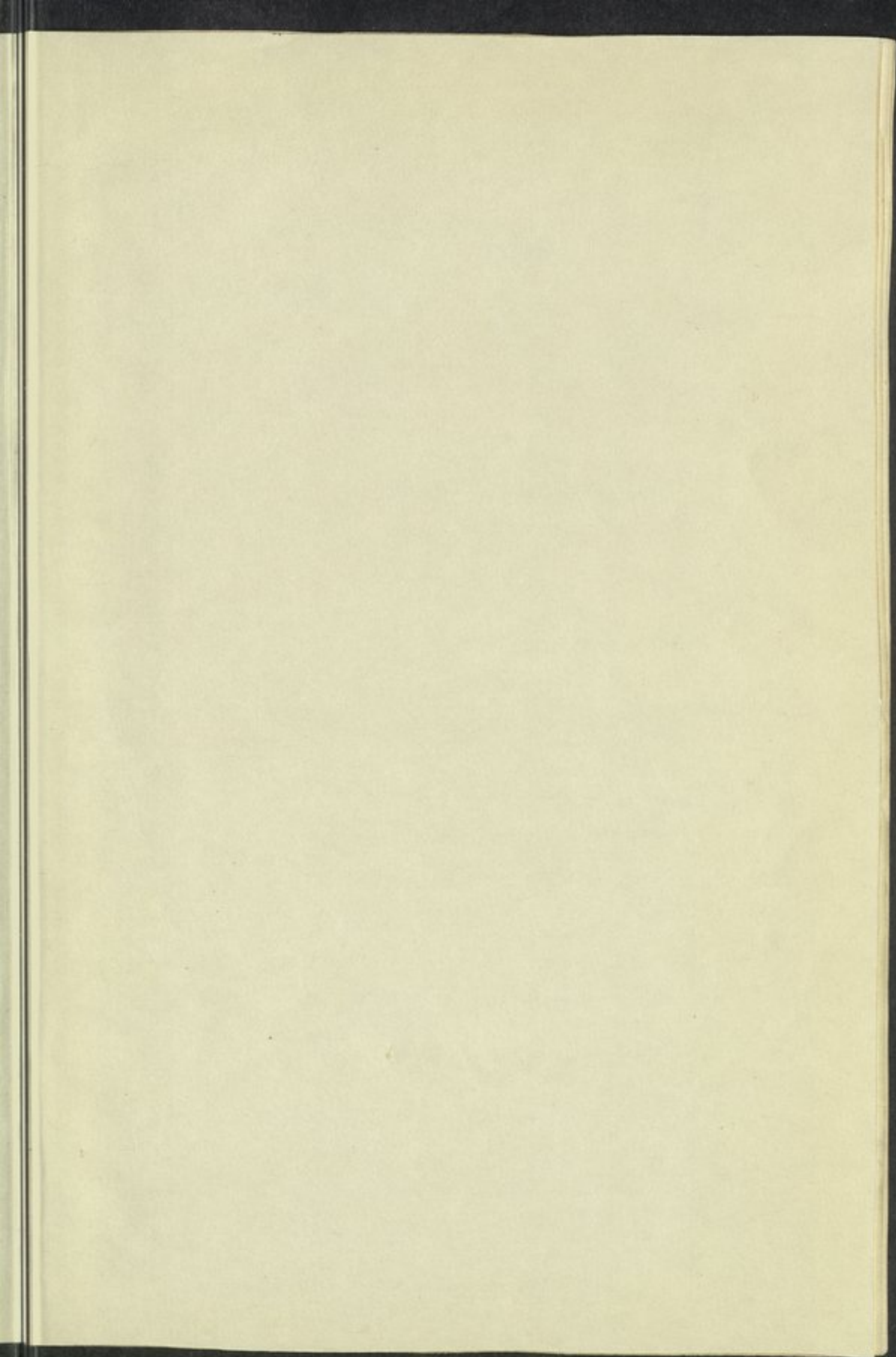
۱۰۶۶ هجری در بیان مشایخ و کرامات

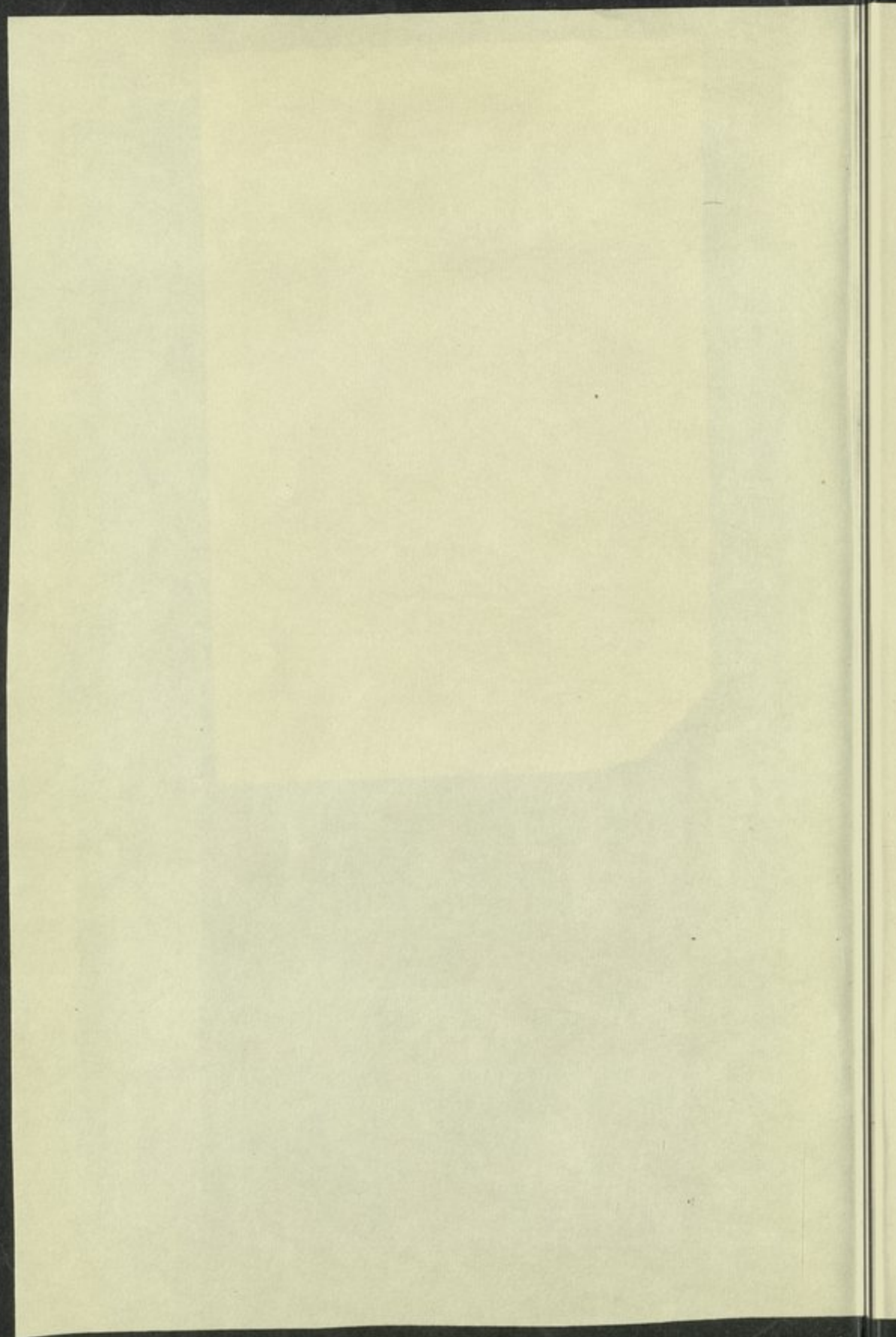
و کرامات مشایخ

تیمار نامه

در بیان مشایخ و کرامات و شایسته







DATE DUE

22 MAY 1975

JAFET LIB

22 JUL 1977

JAFET LIB

06 MAY 1994

بسیسو، سعدي

مبادئ علم النفس الجنائي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01023207

